

# فن التشبيه

بلاغة . أدب . نقد

الجزء الثالث

تأليف

عبد الحليم عبد الحليم

كلية دار العلوم . جامعة القاهرة



مستند الطبع والنشر

مكتبة النهضة المصرية

١٨ شارع كامل باشا صدقي « الفجالة سابقا »





# مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

• الرَّحْمَنُ . عِلْمُ الْقُرْآنِ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ . عَلَيْهِ الْبَيَانُ ،

( قرآن كريم )

# الفصل الأول

## محسنات التشبيه

هناك نكت بلاغية بعضها لا يتحقق جمال التشبيه بدونه ، وبعضها إذا توافرت له رفعت من قيمته ، وزادته حسنا على حسنه .

ومن العسير إحصاء هذه النكت ؛ لأن ما تزداد به الأشياء ملاحظة وقوة لا يكاد يحصى .

وقد حصر البلاغة بعض أهل الأدب والكلام في عشرة أقسام ، فرد عليه الباقلاني : بأن من قدر أن البلاغة في عشرة أوجه من الكلام ، لا يعرف من البلاغة إلا القليل ، ولا يفطن منها إلا لليسير<sup>(١)</sup> .

فمن هذه المحسنات : —

١ — إذا كان الغرض من التشبيه بيان الحال أو المقدار ، أن يراعى الإتيان به محسوسا ؛ لأن المحسوس أيسر فهما وأسهل إدراكا من المعقول ؛ ولأن فيه تمثيلا للغائب المبهم غير المعتاد بالحاضر الواضح المعتاد ، فيتجلى حسنه بظهور معناه وبيان المراد منه .

وأن يراعى في وجه الشبه أن يكون معروفا ؛ لأن النفس تهش لما تعرف وتأنس به وتقبل عليه ، ولهذا يقول الله — تعالى — : في معرض الامتتان



على أهل الجنة : « كُلُّكُمْ رَزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رَزَقُوا هَذَا الَّذِي رَزَقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مِثْلَهَا » .

وقد ذهب المفسرون في تعليل تشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة : أن الإنسان بالمألوف آنس ، وإلى المعهود أميل <sup>(١)</sup> .

ثم يجب أن يراعى في بيان المقدار خاصة - زيادة على ما تقدّم - أن يكون المشبه به على مقدار المشبه في وجه الشبه بغير زيادة ولا نقص .

وكلما كان القدر المشترك أبعد من الزيادة والنقص ، كان التشبيه أدنى إلى القبول والنسليم ، وأبرأ من العيب والهجنة ؛ لأن الدقة في التحديد هنا مطلوبة ومرعية ، وعليها يتوقف كمال التشبيه وجماله وسلامته من التهافت .

٢ - إذا كان التشبيه مقلوباً ، أو إذا كان الغرض منه تقرير المشبه لدى السامع ، يراعى أن يكون المشبه به محسوساً ، وأن يلحظ فيه أن يكون أتمّ نصيباً وأكمل اختصاصاً بوجه الشبه المحسوس من المشبه ، ليتحقق معنى المبالغة وليتأكد في النفس ، وهما الثمرة المقصودة منه .

٣ - إذا كان الغرض من التشبيه بيان إمكان الوجود ، أو التحسين أو التقبيح ، يراعى أن يكون المشبه به حكماً صحيحاً مسلماً ، وبرهاناً مقنعاً مقبولاً سائغاً ، وأن يكون وجه الشبه فيه أظهر وأشهر ليستعان به على إزالة عناد المعارض ومكابرتة ، وتمهيد خضوعه وإذعانه .

٤ - في تشبيه الاستطراف ، يراعى أن تكون الصورة أنيقة بديعة



تخلب اللب وتبهر العقل ، وتبعث في النفس نشوة وأريحية ، وتثير فيها نوازع الشوق إلى استجلاء الجمال الفني ، وتزيد في إرهاف الذوق وظمته إلى المتعة بطرائف البيان .

وأن يكون المشبه به نادر الحضور في الذهن مطلقا لبعده عن متناول التصور ، أو نادر الحضور فيه عند حضور المشبه لبعد إدراك النسبة بينهما إلا لدى الأذكياء الملمهين ؛ لأن من طبيعة النفس أن تتفتح للأمر النادر ، وتشوف إلى الجديد المستحدث ، وتُشيع عن المكرر والمعاد .

٥ - أن يضع الأديب نُصب عينيه بعامة صبّ الأمور المعنوية في قوالب المحسوسات تحقيقا لَكُنْه التشبيه ، وإبرازا للأصل الذي قام عليه وأنشئ من إجله ؛ وهو توضيح الشيء الخفي ، وتقريب المعنى البعيد .

٦ - أن يكون وجه الشبه صحيحا دقيقا بيّنا شاملا للطرفين ، مؤديا إلى الغرض من التشبيه ، كاملا وافيا بتحصيل ما عُلّق عليه ، بريئا من السوقية والابتذال الذي يلحقه بكلام الحشوة والدهماء .

٧ - أن تراعى جهة التشبيه مراعاة تامة دقيقة فلا يحدث انحراف عن الغاية المقصودة ، حتى لا يقود إلى الخطأ أو القبح كما سنفصله بعد ، وكما عرضنا له في الجزء الثاني .

وفي ذلك يقول ابن طباطبا : ينبغي للشاعر أن يتأمل شعره وتفسيق أبياته ، ويقف على حسن تجاورهما أو قبحه ، فيلائم بينهما لتنظم معانيهما ويتصل كلامه فيهما كقول ابن هرمة :



وإني وتركي ندى الأكرمين      وقد حى بكفى زنادا شحاحا<sup>(١)</sup>  
كتاركة ييضها بالعراء      وملبسة ييض أخرى جناحا<sup>(٢)</sup>  
وقول الفرزدق يهجو جريرا :

فإنك إذ تهجو تميما وترثى      سراييل قيس أو سُحوق العاثم<sup>(٣)</sup>  
كمهريق ماء بالفلالة وغره      سراب أذاعته رياح السائم

يريد أن جريرا — وهو من تميم — يهجو الفرزدق وآله بنى دارم  
صفوة تميم ومناط نخرها ، ويمدح « قيس » ، وهم أعداء تميم جاهلية وإسلاما  
طلبا لرشوته لهم بالأكسية ، فعيره بذلك ؛ لأن جريرا في الحقيقة إنما  
يهجو نفسه وقومه .

وكان يجب في الشعر أن يكون بيت لابن هرمة مع بيت للفرزدق ،  
وبيت للفرزدق مع بيت لابن هرمة ، فيقال :

وإني وتركي ندى الأكرمين      وقد حى بكفى زنادا شحاحا  
كمهريق ماء . . . . .

ويقال :

فإنك إذ تهجو تميما وترثى      سراييل قيس أو سُحوق العاثم  
كتاركة ييضها بالعراء      . . . . .

(١) شحاحا بالفتح : لا يورى ، كناية عن استجدائه البغلاء .  
(٢) كتاركة : يريد بها النعامة ؛ لأنها ربما خرجت للمطعم فنكرت ييضها وحضت ييض  
غيرها ، ولهذا ضرب بها المثل في الحق .  
(٣) سُحوق العاثم : البالية .



حتى يصح التشبيه للشاعرين جميعا ، وإلا كان تشبيها بعيدا غير واقع  
موقعه الذى أريد له (١) .

وإنعام النظر فى معانى الآيات ، يظهر لنا الخطأ فى الترتيب الأول ،  
وصحته فى الترتيب الثانى ؛ لأن من يترك استمناح الأجواد الكرماء المتحقق  
بذلهم ، ويستميع الأشقاء اللئام الذين لا تندى أيديهم ، يشبه من يريق ماء فى  
يده اعتمادا على سراب غرّار لا يجديه شيئا !

وكذلك من يهجو قومه ويضع منهم بذمه ، ويمدح أعداءهم ابتغاء ما يناله  
من عرض حقير ، أشبه الناس بالنعامة الحمقاء التى تجفويبضها فيعطب ويموت !  
وترخم على بيض غيرها فتمنحه الحياة والبقاء .

٨ — أن يفرق بين ما به المشابهة وما به الامتياز ، فلا ينظر إلى جميع  
الأوصاف بل إلى الأوصاف الخاصة التى تكون عناصر وجه الشبه ،  
متجاهلا غيرها مما لا يوجد فى الطرفين معا ؛ كقول ابن المعتز فى وصف الخمر:  
وكان كفيه تقسم فى أقدا حنا قطعاً من الشمس

وقول تاج الدولة القضاعى فى حسناوين ؛ إحداهما فى ثوب ديباج  
أحمر والأخرى فى أسود :

أرى بدرين قد طلعا	على غصنين فى نسق
وفى ثوبين قد صبغا	صباغ الخد والحدق
فتلك الشمس فى شفق	وهذى البدر فى غسق

فلم يقصد من هذه التشبيهات غير المشاركة فى الألوان دون غيرها من  
الصفات .



وليس كل شيء يُشبهه بشيء يقع التشبيه به من جميع الجهات حتى لا يُغادر منها شيء ، وقد يكون إنما شبه به ببعض ما فيه لا بأكمله <sup>(١)</sup> .

وبمراعاة الشرط المتقدم يكون التشبيه جامعاً بين الاتفاق التام والاختلاف التام ، وبالجمع بين هذين يتحقق معنى الحسن والإبداع والسحر والخلابة .

٩ - أن يحصل بالتشبيه على الفوائد المقصودة منه ، وهي الوضوح والمبالغة والاختصار والتأكيد .

فقول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العنّاب والحشف البالى

من التشبيه المقصود به إيضاح الشيء ؛ لأن مشاهدة العناب والحشف البالى أكثر من مشاهدة قلوب الطير رطبة ويابسة <sup>(٢)</sup> .

وقول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن رُحلت أن المنتأى عنك واسع  
يجمع المقصودين من الظهور والمبالغة .

أما الظهور ، فلأن علم الناس بأن الليل لا بد أن يدرك النابغة أظهر من علمهم بأن النعمان لا بد أن يدركه .

وأما المبالغة ، فإن تشبيهه بالليل الذى لا يصده حائل ، أعظم وأخف وأبلغ في المدح .

(١) الموازنة للأمدى - ٣٧٦

(٢) سر الفصاحة - ٢٣٦-٢٣٧



وقول النابغة أيضا :

متوَّج بالمعالى فوق مفرقه      وفى الوغى ضيغم فى صورة القمر  
يحمل معناه إلى الذهن جلياً قوياً فخا من طريق موجز مختصر ، لا يتأتى  
بإسهابنا فى وصفه بالجمال والشجاعة .

وسر ذلك : أن الصور العقلية يسهل انتزاعها من الألفاظ الخاصة ،  
ومن الأمور الجزئية والبسيطة ، أكثر من الألفاظ العامة ، والأمور الكلية  
والمركبة .

فالشطر الأخير من البيت المتقدم يتضمن على قصره من المعانى  
ما لا يستطيع تأديته من غير طريق الصور الخيالية إلا بتطويل وإفاضة ، مع  
الخلو من المبالغة والقوة والتأثير والتقرير التى حوّاها هذا الكلام الموجز  
القصير .

هذه القواعد التى ذكرناها قواعد رئيسة فى حسن التشبيه .

أما الأشياء التى يزيد بها حسنه فكثيرة ، منها : —

١ — أن تجتمع عدة تشبيهات فى بيت واحد أو ألفاظ يسيرة ، كقول  
لعمري القيس المشهور :

له أبطالا ظي ومساقا نعامه      وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

فأتى بأربعة أشياء مشبهة بأربعة أشياء .

وذلك أن مخرج قوله :

له أبطالا ظي . . . . .



إنما هو على أنه له أبطلان كأبطلا الظبي ، وكذا ساقان كساق النعامة ،  
وإرخاء كإرخاء السرحان ، وتقريب كتقريب التنفل <sup>(١)</sup> .  
وكقول ابن الساعاتي :

ما الجوّ إلا عنبر والدّوح إلا م جوهر والأرض إلا سندس  
سفرت شقائقها فهم الأفحوان م بلشها فرنا إليه النرجس  
فكان ذا ثغر ، وذا خد يحا وله ، وذا أبدأ عيون تحرس

هذا رأى قدامة ، ولعله يريد من اجتماع عدة تشبيهات أن تكون  
الصورة غنية بألوان مختلفة من الأخيلة ، لتكون ممتعة من جهة ودالة على  
مهارة منشئها من جهة أخرى .

ونحن لا نستطيع أن نقر هذا الرأى فى كل حال ، فكثيراً ما تكون  
كثرة التشبيهات فى البيت الواحد من أسباب ثقله وفسولة تركيبه وتعقيد  
معناه ، وكثيراً ما يكون التشبيه الواحد مليئاً بالجمال والخصب والحيوية  
بحيث لا تطاوله هذه التشبيهات المجتمعة فى عمق الخيال ودقة المعنى وبداعة  
التصوير وبعد المسلك .

٢ - أن يشبه شيء بأشياء فى بيت أو لفظ قصير كقول بعض النساء :

هم الربيع والسَّنام المعتمد والذروة العليا والركن الأشد

٣ - أن يشبه شيء فى تصرف أحواله بأشياء تشبهه فى تلك الأحوال ،

كقول امرئ القيس - يصف الدرع فى حال طيها .

ومشدودة السك موضونة تضام فى الطي كالبرد <sup>(٢)</sup> .

(١) نقد الشعر - ٦٧-٦٨

(٢) السك : الممار ، والموضونة المنسوجة حلقتين حلقتين : أى إذا طويت صفرت واطقت

حتى تصير كالبرد .



ثم وصفها في حال النشر فقال :

تفيض على المرء أروانها كفيض الأني على الجدجد<sup>(١)</sup>  
وقول ليلي الأخيلية ترى توبة بن الحمير :

فتى كان أحيا من فتاة خريدة وأشجع من ليث بخفان خادر<sup>(٢)</sup>  
وقول العسكري :

إذا اهتز للهيجاء فهو مهند أو اهتز للإفضال فهو غمام  
وقول بعضهم :

جالوس في مجالسهم رزان وإن ضيف ألم فهم وقوف  
إذا نزلوا حسبهم بدورا وإن ركبوا فإنهم حتوف

٤ - أن يقع على صورة التشكيك - وهو نوع مما يسمى تجاهل العارف ومزج الشك باليقين - وتعريفه : أنه إخراج ما تعرف صحته مخرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيذا .

وقد رأيناهم ، العرب ، احتالوا للكلام حتى قربوه من فهم السامع بالاستعارات والمجازات التي استعملوها وبالتشكيك في الشبهين .

وهو من ملح الشعر وطرف الكلام ، وله في النفس حلاوة وحسن موقع بخلاف ما للغلو والإغراق .

وفائدته الدلالة على قرب الشبهين حتى لا يفرق بينهما ولا يميز أحدهما من الآخر .

(١) الجدجد كفرقة : الأرض الصلبة القوية : أي إذا نشرت فاضت على لابسها فيض الفيض القوي على الأرض الصلبة اليابسة .

(٢) خفان كشداد : مأسدة مشهورة بقوة أسودها .



مثاله من المنشور ما كتبه العسكري إلى بعض أهل الأدب : سمعت  
بورود كتابك ، فاستفزني الفرح قبل رؤيته ، وهز عيني المرح أمام  
مشاهدته ، فما أدري أسمعت بورود كتاب ، أم ظفرت برجوع شباب !  
ولم أدر ما رأيت : أخط مسطور ، أم روض مطور ! وكلام منشور ،  
أم وشى منشور ! ولم أدر ما أبصرت في أثناؤه : أبيات شعر ! أم عقود  
در ! ولم أدر ما حملته : أغيث حل بوادي ظمآن ، أم غوث سيق إلى لطفان .  
ومثاله من المنظوم قول زهير :

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
فإن تكن النساء مخبئات فحق لكل محصنة هدا<sup>(١)</sup>  
فقد أظهر أنه لم يعلم أنهم رجال أم نساء .  
وهذا أملح من أن يقول : هم نساء وأقرب إلى التصديق .

وقول ذي الرمة :

فياظية الوعساء بين جُلاجل وبين النقا آ أنت أم أم سالم<sup>(٢)</sup>  
فلو قال : أنت أم سالم على نفي الشك ، بل لو قال : أنت أحسن من الظبية  
لما حلّ من القلوب محل التشكيك .  
وقول جرير .

فإنك لو رأيت عبيد تيم وتيم قلت أيهما العبيد ؟

(١) الهداء : هداية العروس إلى زوجها .

(٢) الوعساء : رملة لينة ، وجلاجل بضم الجيم وفتحها ويروى بالهاء : اسم موضع  
بعينه ، والنقا : السكيب من الرمل ، وأدخل الألف بين الهمزتين من قوله : آ أنت كراهية  
اجتماع همزتين ، كما دخلت بين النونات في قولهم : اضربنان كراهية اجتماعها .



قلو قال : عبيدهم أو خير منهم لما ظُنَّ به الصدق ، فاحتال في تقريب المشابهة ؛ لأن في قربها لطافة تقع في القلوب وتدعو إلى التصديق .

وقول أبي النجم يصف عرق الخيل :

كانه من عرق يُسربله كُكُرسف النداف لولا بالله<sup>(١)</sup>

فإنه لو قال : إنه الكرسف لم يكن في حسن هذا ؛ لأنه يشهد بتقارب الشبهين إلى أن وقع في الشك .

ومن ذلك قول أعرابي :

أيا شبه ليلى مالىلى مريضة وأنت صحيح إن ذا لمحال  
أقول لظي مرّ بي وهو راتع أننت أخو ليلى فليل يقال

وقول أعرابي آخر :

أقول والنجم قد مالت مياسره إلى الغروب تأمل نظرة حار<sup>(٢)</sup>  
ألحّة من سنا برق رأى بصرى أم وجه نُعم بدا لي أم سنا نار  
بل وجه نعم بدا والليل معتكر فلاح من بين حجاب وأستار

وقول المتنبي :

أريقك أم ماء الغمامة أم خمر بني برودّ وهو كبدى جمر<sup>(٣)</sup>  
أذا الغصن أم ذا الدّعص أم أنت فتنة وذياً الذي قبلته البرق أم ثغر

(١) الكرسف بضم الكاف : القطن .

(٢) الحار : مرخم حارث .

(٣) البرود : الشديد البرد .



وقول ابن هانيء الأندلسي :

فتكات لحظك أم سيوف أريك وكثوس خمر أم مَرَّاشف فيك

وقول بعضهم :

أأنت ديار الحى أيتها الربا الأنيقة م أم دار المها والنعام  
وسرب ظباء الوحش هذا الذى أرى بربك أم سرب الظباء النواعم  
وأدمعنا اللاتى عفاك انسجامها وأبلاك أم صوب الغمام السواجم  
وأيا مننا فيك اللواتى تصرمت مع الوصل أم أضغاث أحلام نائم

وهذا النوع كثير فى الأشعار ، والشك هنا أحلى فى الصدور وقعا وأندى على الأكباد رفيفا من اليقين .

هـ - أن يكون قد وطئ له بكلام سابق كقول ابن الرومى فى وصف سوداء :

يفترّ ذاك السّواد عن يقق من ثغرها كاللآلىء الفائق  
كأنها والمزاح يُضحكها ليل تفرّى دجاء عن أفلق

وفضل كلام ابن الرومى عن سواه : أنه قدم فى التشبيه لمعناه مقدمة أيدته ووطأت له الآذان ، وأصغت الأفهام إلى الاستحسان ؛ وهو قوله :  
يفترّ ذاك السّواد (١) . . . . .

وقول الأعشى :

وعرّيت من ملك وخير جمعته كما عرّيت بما مُنِمَّر (٢) المغازل



وقول إبراهيم الصولي :

أراك إذا أيسرت خيَّمت عندنا      مقيما وإن أعسرت زرت لما  
فما أنت إلا البدر إن قلّ ضوءه      أغبّ وإن كان الضياء أقاما

وقول المتنبي :

سقانا وحيانا بك الله إنما      على العيس نور والحدور كائمه

لما جعل هؤلاء الحسان زهرا وجعل الخدور كائمه دعا لهن بالسقيا  
كما تسقى الأزهار ، وفرّج عن ذلك أن جعلن تحية يحيا بها كما جرت العادة  
أن يحيا بالزهر والريحان ، وهو من المعاني الغزلة الرقيقة .

وقول أبي فراس الحمداني :

وقور وربعان الصبا يستفزها      فتأرن أحيانا كما يارن<sup>(١)</sup> المهر

وقول محمد الشامي :

لا يحسن الشعر إلا في محاسنه      كالدر أحسن ما يبدو على الجيد

فأنت ترى في هذه الأبيات جميعها أنه قد تقدّم التشبيه ما يدل عليه ،  
حتى ليكاد يتصور في ذهنك لوثاقة العلاقة بين الكلام السابق واللاحق .

٦ - أن يجمع فيه بين لونين من الشعر كالنسيب والمدح مثلا .

فمن ذلك قول القزّاز يمدح ابن صمّادح :

نفي الحب عن مقلتي الكرى      كما قد نفي عن يدي العدم

---

(١) أرن : مرح ونشط .



فقد قرّ حبك في خاطري كما قرّ في راحتيه الكرم  
وفرّ سلوكك عن فكرتي كما فرّ عن عرضه كل ذم  
فجّي ومفخره باقيا ن لا يذهبان بطول القدم  
فأبقى لي الحب خال وجدّ م وأبقى له الفخر خال وعم  
وقول إبراهيم بن محمد الأنصاري :

خطرت كمباد القنا المتأطرّ ورنّت بألحاظ الغزال الأعفر<sup>(١)</sup>  
وأنتك بين تطاعن وتداعب في فتك قسورة وعطفة جوذر  
فجمع بين الحماسة والنسيب .

وهذا اللون يسميه أهل البيان : الافتنان ، .

٧ — أن يكون لطيف الصياغة، عذب الألفاظ ، خفيف الظل كقول  
أبي سعد المخزومي :

والورد فيه كأنما أوراقه نُزعت وردّ مكانهن خدود

فلم يزد على التشبيه المجرد ، لكنه كساه هذا اللفظ الرشيق ، فصرت إذا  
قسته إلى غيره وجدت المعنى واحداً ، ثم أحسست في نفسك هزة ، ووجدت  
طربة تعلم لها أنه انفرد بمفضيلة لم ينازع فيها<sup>(٢)</sup> .

٨ — أن يكون تشبيهه حالة وجود بحالة عدم ، أو حالة عدم بحالة وجود .

فمن الأول — وقد جاء كثيراً في أشعارهم — قول امرئ القيس :  
كأنني لم أركب جواداً للذة ولم أنبطن كاعبا ذات خلخال

(١) الأعفر : ما يملو بياضه حمرة من الظباء .

(٢) الوساطة للقاضي الجرجاني — ١٤٧ .



ولم أسياً الزق الروى ولم أقل      لخلي كرى كرة بعد إجفال  
وقول متمم بن نويرة في أخيه مالك :  
وكنا كندمانى جذيمة<sup>(١)</sup> حقة  
فلما تفرقنا كانى ومالكا  
وقول أشجع السلمي :

كان لم يمت حتى نسواك ولم تقم      على أحد إلا عليك النوايح  
وقول إبراهيم بن المهدي :  
كان لم يكن كالغصن في ميعه الضحا  
كان لم يكن كالدر يلمع نوره  
كان لم يكن زين الفناء ومعقل م      سقاء الندى فاهتز وهو رطيب  
بأصدافه لما تشينه ثقوب  
النساء إذا يوم يكون عصب  
وقول أبي نواس :

تضحك الدنيا إلى ملك      قام بالآثار والسنن  
سن للناس الندى فندوا<sup>(٢)</sup>      فكان المحمل لم يكن  
وقول ابن الأحنف :

كان لم يكن بيني وبينكم هوى      ولم يك موصولا بحبلكم حبل  
وإني لأستحي لكم من محدث      يحدث عنكم بالملالة والمطل

وقول ابن زيدون :

(١) جذيمة الأبرش ملك الحيرة .

(٢) ندوا : أى أخصبوا .



كأننا لم نبت والوصل ثالثا      والدهر قد غضر من أجفاننا واشينا  
سران في خاطر الظلماء يكتمننا      حتى يكاد لسان الصبح يفشينا  
وقول ابن يحيى :

إن يغدروا أو يفجروا أو يبخسوا لم يحفوا  
وغدوا عليك مرجلين كأنهم لم يفعلوا  
وهو من بارع الهجاء ، وفيه تتمثل صفاقة الوجه وصلابته أدق تمثيل ،  
وكان قائله نظر إلى الحديث الشريف : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .  
وفيه يقول قدامة : ومن جودة هذا الهجاء أن الشاعر تعمد أضداد  
الفضائل على الحقيقة فجعلها فيهم ، لأن الغدر ضد الوفاء ، والفجور ضد  
الصدق ، والبخل ضد الجود .

ثم أتى بعد ذلك بضد أجل الفضائل وهو العقل حيث قال :  
وغدوا عليك مرجلين . . .

لأن هذا الفعل إنما هو من أفعال أهل الجهل والبهيمة والقيحة التي هي  
من عمى القوة المنيرة كما قال جالينوس في كتابه : في أخلاق النفس . (١)

والشعر عندي لا يحتمل هذا التحليل العقلي الفلسفي ، وليس هو من  
مراد الشاعر العربي الذي لا يفهم هذه النظريات المعقدة ، وإنما غرضه أن  
يهجوهم بصفات تعير بها العرب ، ويخزي منها الرجل الشريف .

ثم زادهم سباً مقدعاً فذكر أن هذه الصفات تندي لها جباه من لصقت



بهم ، ويطأطئون لها رموسهم خجلا ، ولكن هؤلاء لتجردهم من الحمية والكرامة والنخوة والأنفة ، ولنضوب وجوههم من الحياء وموت ضمائرهم ومشاعرهم يرون عليك - وقد رجلوا شعورهم إمعانا في الصفاقة والاستهتار وافتتا الأنظار - كأنهم لم يأتوا شيئا منكرا على حين أنهم أتوا بأنكر الأشياء .

والذي ذكره قدامة مرده إلى مذهبه الذي اعتنقه ؛ وهو أن المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبيح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة ، ويخطيء كل من يمدح بهذا ويذم بذلك ، ويستدل بإنكار عبد الملك على ابن قيس الرقيات في قوله فيه :

يعتدل التاج فوق مفرقه على جبين كأنه الذهب

وقوله له : تقول في هذا وتقول لمصعب :

إنما مصعب شهاب من الله م تجلت عن وجهه الظلماء

وزبدة رأى قدامة أتى بها الشاعر في قوله :

وعيب الفتى فيما أتى باختياره ولا عيب فيما كان خلقا مركبا

وقد ذكر الخفاجي أن الأمدى أنكر على قدامة مذهبه ، وقال : إنه خالف فيه مذاهب الأمم كلها عربيا وعجميا ؛ لأن الوجه الجميل يزيد في الهيبة ويتمن به ، ويدل على الخصال الحمودة .

فإن كان قدامة يعتقد أن ذاك ليس بفضيلة لما كان الإنسان قد خلق عليه ، فهذا حكم جميع الفضائل الإنسانية ؛ فإن الكريم قد خلق كريما والشجاع شجاعا والعاقل عاقلا ، وكما لا يقدر القبيح الوجه على أن يستبدل صورة غير صورته ، كذلك لا يقدر الجاهل على أن يستفيد عقلا فوق



عقله ، ويلزم قدامة ألا يجيز المدح بشرف النفس وكرم الأصل ، لأن ذلك  
يجرى مجرى الصور ولا صنيع للممدوح في شيء منهما والأمر في هذا ظاهر .  
فأما إنكار عبد الملك بن مروان على ابن قيس الرقيات مدحه له بالتاج ،  
فإنما أنكره ، لأن التيجان من زى ملوك العجم ، ولم يكن خلفاء العرب  
يعرفونها ، فقال له : تمدحني كما تمدح ملوك الأعاجم ، وتمدح مصعباً كما تمدح  
الخلفاء .

والأمر كما قال عبد الملك ، لأن مدح الخليفة بأنه شهاب من الله  
— تعالى — أبلغ من مدحه باعتدال التاج فوق مفرقه <sup>(١)</sup> .

وهذا الذي ذكره الأمدى صحيح ، ولو لم يكن في ذلك إلا ما جبلت  
عليه النفوس من الميل إلى الوجوه الحسان لكفى .

وما يدل على خطأ قدامة في تهوينه من قيمة الجمال : ما جاء في الآثار  
من أن الله لم يبعث رسولا إلا جميل الوجه كريم الحسب حسن الصوت .

وكان الرسول — صلوات الله عليه — حسن الصورة ، وقد سئل على  
— كرم الله وجهه — : أكان وجه رسول الله مثل السيف ؟ فقال : لا ،  
بل مثل القمر .

وقد جاء في صفته الشريفة : كأن الشمس تجري في وجهه ، وفيه يقول  
شاعره حسان :

فأجمل منك لم تر قط عيني      وأكمل منك لم تلد النساء  
خلقت مبرأ من كل عيب      كأنك قد خلقت كما تشاء  
وكان أبو بكر إذا رآه يقول :

أمين مصطفى بالخير يدعو      كضوء البدر زايله الظلام



وكان عمر إذا رآه ينشد قول زهير :

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر  
ونظرت إليه السيدة عائشة يوما فتبسمت ، فسألها عن ذلك فقالت :  
كأن أبا كثير الهذلي عنك بقوله :

وإذا نظرت إلى أميرة وجهه برقت كبرق العارض المتهلل  
وكان - عليه الصلاة والسلام - يدعو إلى جمال الباطن بجمال الظاهر  
كما قال جرير بن عبد الله البجلي : أنت امرؤ قد حسن الله خَلْقَكَ فأحسن  
خُلُقَكَ .

كما كان يستحسن أن يكون الرسول حسن الوجه حسن الاسم ،  
وفي ذلك يقول : « إذا أبردتم بريداً<sup>(١)</sup> فليكن حسن الوجه حسن الاسم ،  
وقد ذهب بعض المفسرين في قوله - تعالى - : « يزيد في الخلق  
ما يشاء ، ! أنه الوجه الحسن والصوت الحسن .

والحكمة يقولون : إن حسن الصورة أول سعادة الإنسان ؛ لأن الله  
- تعالى - باطيف حكمته لم يخلق الصورة مختارة الصفات سليمة من  
الآفات ، إلا وأضاف إليها ما يناسبها من العقل والصفات .

وقالوا : قلما توجد صورة حسنة تدبرها نفس رديئة .

والمأمون يقول : إن الروح إذا وقع أثرها في الظاهر كانت صباحة ،  
وإذا وقع أثرها في الباطن كانت فصاحة .

ورحم الله شوقي إذ يقول :

---

(١) أى إذا أرسلتم رسولا .



والحسن من شرف الوجوه وخيره ما أوتى القـــــــــــــواد والزعماء

وقد كان الفرس يقيمون بالوجه الحسن كما كانت العرب تتمدح بجمال الوجه ؛ قال ابن عنقاء الفزارى فى عُميلة الفزارى :

غلام رماه الله بالخير يافعا له سيمياء لا تشقّ على البصر<sup>(١)</sup>  
كان الثريا علّقت فى جبينه وفى حده الشعرى وفى وجهه القمر

وقول البحترى :

ولما حضرنا سُدّة الإذن أُخِّرَتْ رجال عن الباب الذى أنا داخله  
فأفضيت من فورى إلى ذى مهابة أقابل بدر التم حين أقابله  
وكل ما اشتراطوه فى ذلك ألا يُسفّ المادح فى مدحه حتى يشبهه النسيب  
كقول المتنبى :

أغار من الزجاجة وهى تجرى على شفة الأمير أبى الحسين

وقول مهيار فى الصاحب أبى القاسم بن عبد الرحيم :  
إذا الصاحب استقبلت غُرة وجهه بدا قمرٌ واف وماس قضيب  
أما تشبيه حالة العدم بحالة الوجود — ضد الأول — فكقول عنتره  
فى ناقتة — وهو من التشبيه المقلوب — :

وكأنَّ ربًّا أو كُحَيْلاً معقداً حشَّ الوُقود به جوانب قُمُوم<sup>(٢)</sup>

(١) رواية المبرد فى الكامل : رماه الله بالحسن ، وقد انتقده أبو رياش ، وقال لا يرويه بالحسن إلا أعمى البصيرة ، لأن الحسن مولود . رغبة الأمل — ١ — ١٠٨  
(٢) الرب : الطلاء ، والكجیل : القطران ، والمعقد : المغلى حتى ينثر .



يَنبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبِ جَسْرَةٍ زِيَاةٍ مِثْلَ الْفَنِيْقِ الْمَكْدَمِ<sup>(١)</sup>

شَبَّهِ الْعِرْقَ السَّائِلَ مِنْ رَأْسِهَا وَعَنْقَهَا بِطَلَامٍ أَوْ قَطْرَانٍ وَضَعَ فِي قَمَقَمٍ  
أَوْ قَدَّتْ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى غَلَى وَسَالَ .

وَعِرْقُ الْإِبْلِ أَسْوَدٌ ؛ لِذَلِكَ شَبَّهَ بِالطَّلَامِ وَالْقَطْرَانِ ، وَشَبَّهَ رَأْسَهَا  
بِالْقَمَقَمِ فِي الصَّلَابَةِ .

٩ — أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَحْسُوسَاتِ النَّاصِعَةِ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَى أَوْ يَسْمَعُ أَوْ يَشْمُ  
أَوْ يَذَاقُ ، وَقَدْ يَمْلَأُوهُ الشَّاعِرُ قُوَّةً وَخَصْبًا فَيَخِيلُ إِلَيْنَا أَنَّ الْحَيَاةَ تَدْبُ فِيهِ  
وَأَنَّ لَهُ سَعْيًا وَحَرَكَةً ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ بَعْضَ الصُّورِ الْبَيَانِيَةِ يَبَاغُ مِنْ رَوْعَتِهَا  
وَعَظَمِ حَيَوِيَّتِهَا وَصَدَقَ أَدَائُهَا وَرَقْرَقَةُ مَائِهَا وَصَفَاءُ قَوَالِهَا وَشِدَّةُ إِشْعَاعِهَا ، أَنَّهَا  
تَصِلُ إِلَى هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ .

فَمِنْ التَّشْبِيهَاتِ الْبَصْرِيَّةِ الَّتِي تَنْوِبُ عَنِ التَّصْوِيرِ قَوْلُ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ .  
قَوْسٌ ظَهَرَ الْمَشِيبُ وَالضَّعْفُ وَالذَّهْرُ مِ يَاصُ ————— أَحْ كَاهُ عِبْرُ  
كَأَنِّي وَالْعَصَا تَدْبُ مَعِيَ قَوْسٌ لَهَا — وَهِيَ فِي يَدِي — وَتَرُ  
وَقَوْلُ آخَرٍ :

وَمَا لِحُبِّ إِلَّا شِعْلَةٌ قَدَحَتْ بِهَا عَيُونُ الْمَاهِيَةِ بِاللَّحْظِ بَيْنَ الْجَوَانِحِ  
وَقَوْلُ صَاعِدِ الْأَنْدَلُسِيِّ فِي وَرْدَةٍ لَمْ تَتَفَتَّحْ حَمَلَتْ إِلَى الْمَنْصُورِ أَبِي عَامِرٍ  
الْأَنْدَلُسِيِّ :

وَدُونِكَ يَا سَيِّدِي وَرْدَةٌ يَذْكُرُ الْمَسْكَ أَنْفَاسَهَا  
كَعِذْرَاءٍ أَبْصَرَهَا مَبْصَرُ فَعَطَّتْ بِأَكْثَامِهَا رَاسَهَا

(١) الذِفْرَى : مَا خَلْفَ الْأُذُنِ ، وَالْجَسْرَةُ : الْمَوْثِقَةُ الْخَلَاقُ ، وَالزِيَاةُ : الْمَتَبَخَّرَةُ ، وَالْفَنِيْقُ :  
الْفَجَلُ الْمَكْرَمُ ، وَالْمَكْدَمُ : الْمَعْضُوزُ .



وفي رواية : أتتك أبا عامر .

وقول الصنوبرى فى وصف بحمرة :

بحمرة طاف بها الغلمان      أبدع فى صنعتها الزمان  
كأنها فىما حكى العيان      فوارة وماؤها دخان  
فى بركة حصباؤها نيران      إذا تبدت حزن الرياحان  
وسرت الجيوب والأردان

وقوله :

أرأيت أحسن من عيون النرجس      أم من تلاحظهن بين المجلس  
در تشقق عن يواقيت على      قُضِب الزبرجد فوق بسط السندس  
وقول أبى عبيدة :

فيا طيب ذاك القصر قصر أومنزلا      بأفصح سهل غير وعر ولا ضنك  
بغرس كأبكار الجوارى وتربة      كأن ثراها ماء ورد على مسك  
كأن قصور القوم ينظرون نحوه      إلى ملك موف على منبر الملك  
وقول الناشئ :

قُضِب الزبرجد قد حملن شقائقا      أثمارهن قراضة العقيان  
وكان قطر الطل فى أهدابه      دمع مرته فواتر الأجفان<sup>(١)</sup>

وقول المتنبى فى المغيث العجلى :

أقامت فى الرقاب له أياد      هى الأطواق والناس الحمام  
شبه نعمه فى رقاب الناس بالأطواق فى رقاب الحمام ، ووجه الشبه  
الملازمة .

(١) مرته : عصرته .



وطوق الحمامة يضرب بها المثل لما يلزم ولا يبرح ويقيم ويستديم .

وقوله في مدح سيف الدولة :

صدمتهم بخميس أنت غرته وسمهرية في وجهه غمم

شبه الجيش بالفرس ، وسيف الدولة في مقدمته بالغرة في وجهه ،  
والرماح المشرعة في أيديهم بالغمم ، وهو كثرة شعر الناصية .

وقوله في الكأس :

كان بياضها والراح فيها بياض مُحْدَق بسواد عين

وقوله :

كان بنات نعش في دجها خرائد سافرات في حداد

ومن البدائع وصف قدح لابن الرومي أهداه إلى يحيى بن المنجم :

وبديع من البدائع يسبي	كل عقل ويَطِّي <sup>(١)</sup> كل طرف
دق في الحسن والملاحة حتى	ما يوفيه واصف حق وصف
كفم الحب في الملاحة أو أشفى <sup>(٢)</sup>	م وإن كان لا يُنساغي بحرف
تنفذ العين منه حتى تراها	أخطأته من رقة المُستشف
كهواء بلا هباء مشوب	بضياء أرَّقق بذاك واصف
وسط القدر لم يكبر لجرع	متوال ولم يصغر لرشف
لا عجول على العقول جهول	بل حلیم عنهن في غير ضعف

(١) يطّي: يدعو ويستميل

(٢) أشفى: أصفر وأضيق ، وهذه رواية القالي في أماليه ١-٢٨٣ وفي الديوان :

بل أحلى .



ما رأى الناظرون قدأً وشكلاً      فارساً مثله على بطن كف  
فيه لوز مُعقرب عطفته      حكاء الغيوب أحسن عطف  
مثل عطف الأصداع في وجنات      من غزال يزُهي بحسن وظرف

ومن التشبيهات المسموعة<sup>(١)</sup> قول يزيد بن عوف العليمي — يذكر  
صوت جرع رجل قرى اللبن — :

فعب دخالا جرعه متواتر      كوقع السحاب بالطراف الممدد

فهذا المشبه إنما يشبه صوت جرع اللبن على عصب المرىء من حلق  
الإنسان ، بصوت المطر على الخباء المصنوع من الآدم .

ومن جودته أن الأصوات تختلف ، وأن اختلافها إنما هو بحسب  
الأجسام التي يحدث الأصوات اصطكاكها .

وليس يدفع أن اللبن وعصب المرىء اللذين أحدث اصطكاكهما  
صوت الجرع ، قريبا الشبه من الأديم الموتن والماء اللذين حدث عن  
اصطكاكهما صوت المطر ، لأن المرىء من جنس الآدم ، واللبن من جنس  
الماء فصوتاهما متشابهان .

والغرض من هذا التشبيه المبالغه .

وكذا قول الأشجعي في تشبيه حلب عنز بصوت الكير إذا نفخ :

كأن أجيج الكير إرزام شخبها      إذا امتاحها في محلب الحى ماتح<sup>(٢)</sup>

---

(١) نقد الشعر — ٦٥ — ٦٦

(٢) الأجيج والإرزام : الصوت ! والشخب : ما خرج من الضرع من اللبن ، والماتح  
المستدر اللبن .



وقول بعضهم :

تسمع الماء كصوت المسجل بين ورديها وبين الجحفل<sup>(١)</sup>

وقول أبي الفضل الميداني :

شفة لهاها زاد في ألمي في رشف ريقتها شفاء سقامي

قد ضمنا جناح الدجى وللثمننا صوت كقطك أروس الأقلام

وقول ابن مقبل :

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الغلام وراء الغيب بالحجر

شبه خفقان القلب الذي لا يرى تحت الأبهر - وهو العرق المتصل به -  
بصوت الحجر الذي يرمى به الصبي من خلف حجاب ولا يراه .

وخص الغلام لأن الصبيان كثيراً ما يلعبون بالحجارة .

وقول المتنبي :

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة فما المجد إلا السيف والفتكة البكر

وتركك في الدنيا دويّاً كأنما تداول سمع المرم أنمله العشر

شبه دوى الذكر بالدوى الذي يسمعه المرم حينما يسد أذنيه بأنامله .

وقول شوقي :

حلو التسلسل موجه وخريره كأنامل مرّت على أوتار

ومن التشبيهات ذوات الحركة قول بعض الأعراب :

حنقني حانيات الدهر حتى كأنى خائل يدنو لصيد

---

(١) المسجل : حمار الوحش له حشرجة يشبهون بها كثيراً ، والمسجل أيضاً : المبرد ،  
والجحفل : جمع جحفة : بمنزلة الشفة للخيل والبغال والحمير .



قريب الخطو يحسب من رآنى      ولست مقيّداً أمشى بقيد  
وقول المجنون<sup>(١)</sup> — وهو أحد المحسنين فى هذا المعنى — :

كان القلب قيل غداة يُغدى      بلىلى العامرية أو يُراح  
قطاة عزّها<sup>(٢)</sup> شرك فباتت      تحاذبه وقد علقَ الجناح

وقوله :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى      فهبّ أحزان الفؤاد وما يدرى  
دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما      أطار بليلى طائر أكان فى صدرى  
وقول قيس لبنى :

أتبكي على لبنى وأنت تركتها      وكنت عليها بالملأ<sup>(٣)</sup> أنت أقدر  
فإن تكن الدنيا بلبنى تقلبت      فللدهر والدنيا بطون وأظهر  
كأنى فى أرجوحة بين أحبل      إذا فكرة منها على القلب تخطر

وقول بعض الأعراب :

ألا بأبى من ليس والله نافعى      بنيل و من قلبى على النأى ذا كره  
و من كبدى تهفو إذا ذكر اسمه      كهفو جناح ينفض الطل طائره  
وقول ابن ميادة .

كأن فؤادى فى يد ضبثت<sup>(٤)</sup> به      محاذرة أن يقطع الحبل قاضيه  
وقول بشار :

يروّعه السرار<sup>(٥)</sup> بكل شىء      مخافة أن يكون به السرار

(١) نسبه العسكرى فى ديوان المعانى إلى قيس لبنى ، وفى بعض الروايات أنه لنصيب .

(٢) عزّها : غلبها . (٣) الملأ : الصحراء .

(٤) ضبث به : قبض عليه بكفه . (٥) السرار : التحدث خفية .



كَأَنَّ فُؤَادَهُ كَرَّةٌ تَنْزَى      حِذَارُ الْبَيْنِ لَوْ نَفَعَ الْحَذَارُ  
وَقَوْلُ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ :

أَعْيذكُ أَنْ تَشْقَى بِقَتْلِ فِإَنِّى      أَخَافُ عَلَيْكَ اللَّهُ إِنْ سُمِّتَنِى حَتْفِى  
إِذَا الْقَلْبُ أَوْ مَا أَنْ يَطِيرُ صَبَابَةٌ      ضَرَبْتُ لَهُ صَدْرِى وَأَلْزَمْتَهُ كَفِّى  
كَأَنَّ جَنَاحِيهِ إِذَا هَاجَ شَوْقُهُ      يَدَا قَيْنَةٍ هُوَ جَاءَ تَضْرِبُ بِالْدَفِ  
وَقَوْلُ أَبِي نَوَاسٍ :

كَأَنَّمَا حِينَ تَمْشِى فِي وَصَائِفِهَا      تَخْطُو عَلَى الْبَيْضِ أَوْ خُضِرَ الْقَوَارِيرِ  
وَقَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ :

كَأَنَّ قَلْبِى وَشَاحَاهَا إِذَا خَطَرَتْ      وَقَلْبِهَا قُلُوبُهَا فِي الصَّمْتِ وَالْخَرَسِ (١)  
وَقَوْلُ الْمُتَنَبِّى :

يَخْدُنُ (٢) بِنَا فِي جُوزِهِ وَكَأَنَّمَا      عَلَى كَرَّةٍ أَوْ أَرْضِهِ مَعْنَا سَفَرُ  
وَقَوْلُهُ :

كَأَنَّمَا قَدَّمَا إِذَا انْفَقَلَتْ      سَكْرَانٍ مِنْ خَمْرٍ طَرَفَهَا ثَمَلِ  
وَقَوْلُهُ :

وَكَأَنَّ بَرْقًا فِي مَتَوْنٍ غَمَامَةٌ      هَنْدِيَّةٌ فِي كَفِّهِ مَسَالُولا  
وَقَوْلُهُ يَهْجُو ابْنَ كَيْغَلَخَ :

مَا زِلْتَ أَعْرِفُهُ قَرْدًا بِلا ذَنْبٍ      خَلَوْا مِنَ الْبَاسِ مَمْلُوءًا مِنَ النِّزَقِ  
كَرِيشَةٍ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٌ      لَا تَسْتَقِرُّ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الْقَلَقِ

(١) القلب بالضم : السوار. (٢) يخدن : يسرعن ، والجوز : الوسط ، والضمير للقفرة.



وقول السرى الرفاء يصف دولابا :

الماء يلعب كالأراقم موجه      والسفن بالأذنان فيه عقارب  
والصوت من دولاب كل متوج      أطفال زنج للرضاع نوادب  
فانظر إليه كأنه وكأنما      كيزانه والماء منها ساكب  
فلك يدور بأنجم جعلت له      كالعقد فى شوارق وغوارب

وقوله - يمدح الأمير الحسين الحمدانى ويصف جيشه - :

إذا ماج الحديد ضحا عليه      حسبت البر بجرأ ذا أطراد  
وقول شاعر :

كأنما الليل راكب فرسا      منهزما والصباح فى طلبه  
وقول آخر :

لدى أقحوانات يُطفن بناضر      من الورد محمر الثياب نصيد  
إذا الريح هزته توهمت أنها      ثغور هوت قصداً لعض خدود  
١ - أن يظهر فيه أن المشبه به محتاج إلى المشبه كقول المتنبي فى الخصيبي :

لم نفتقد بك من مزن سوى لئق      ولا من البحر غير الريح والسفن  
ولا من الليث إلا قبح منظره      ومن سواه سوى مالىس بالحسن  
وقوله فى مدح أبى سهل الأنطاكي :

يا صائد الجحفل المرهوب جانبه      إن الليوث تصيد الناس أحيانا  
وقول آخر :

حيته بشقائق فى مجلس      ورأى الرقيب فشق ذاك عليه  
فاحر من خجل فأنبت خده      أضعاف ما حملت يدى إليه



وقول آخر :

مليح يغار العصف عند اهتزازه      ويخجل بدر التم عند شروقه  
فما فيه معنى ناقص غير خصره      وما فيه شيء بارد غير ريقه

وقول آخر :

ولما رأيت البحر في الجود آية      ومن جوده الدر الثمين المقلد  
تسامت من في الناس علمك الندى      فقال أمير المؤمنين محمد

١١ - أن يختار له الألفاظ المعبرة المترققة بمعانيها الحية النابضة، والتي

تتموج منها الأشعة وتتوهج على لحظ العيون، وتحف بها ظلال ذات قيم  
شعورية تشير إلى معان أخرى ترف على المعاني الأصلية رفيف الهالة على  
صفحة القمر.

وإنك لتلمس هذا في قول المتنبي :

كان الفجر حب مستزار      يراعى من دُجنته رقيباً  
كان نجومه حلّ عليه      وقد حذيت قوائمه الجبوبا (١)  
كان دجاء يجذبها سهادى      فليس تغيب إلا أن يغيبا  
أقلب فيه أجفاني كاني      أعدُّ بها على الدهر الذنوبا

وقوله يصف بحيرة طبرية :

لولاك لم أترك البحيرة والغو      رُدفى وماؤها شيم  
والموج مثل الفحول مزبدة      تهدر فيها وما لها قَطَم (٢)  
والطير فوق الحباب تحسبها      فرسان بلق تخونها اللجم  
كانها والرياح تضربها      جيشا وغى هازم ومنهزم



كانها في نهارها قمر  
فهي كماوية<sup>(١)</sup> مطوقة  
حَفَّ به من جنانها ظلم  
جَرَّد عنها غشاؤها الأدم

وقول ابن خفاجة :

وليل تعاطينا المدام وبيفنا  
نعاوده والكأس يعَبَق نفحها  
ونُقِل<sup>(٢)</sup> أقاح الثغراو سوسن الطلى  
إلى أن سرت في جسمه الكأس والكرى  
فأقبلت أستهدى لما بين أضلعي  
وعاينته قد سَلَّ من وشى برده  
ليان بحس واستقامة قامه  
أعانق منه الغصن في مغرس النقا  
فإن لم يكنها أو تكنه فإنه  
تسافر كلتا راحتي بجسمه  
فتهبط من كشحيه كفى تهامة

فهذه القطع وكثير غيرها تطالعك بصور مبهجة ، تواق بصرك ، ونغم  
شجي يطرب سمعك ، وعبير شذى يخدر أعصابك ويهدد شجونك ،  
ويحملك إلى أفق موشى منضور الجنبات بديع الرؤى مسكر المناظر ، تهيم  
فيه مع الأوهام السارة والأحلام اللذيذة !

(١) الماوية : المرأة ، والأدم : الجلد .

(٢) النقل بالفتح والضم : ما يتنقل به على الشراب ، والطللى : جمع طاية بالضم وهي  
العنق ، شبهها بالسوسن في بياضها



وهكذا تظهر قيمة الألفاظ المختارة بعناية في إبراز المعاني جياشة بالحركة عميقة المغزى مليئة بالقوة ، كأنما تهم أن تفيض من معارضها فيضا وتفسكب في أذنك .

فالأصوات الكلامية التي يستخدمها الشعراء إن أجيد استخدامها كانت أداة مفيدة في أيديهم ، فبفضلها تشخص المعاني المجردة ، وتصب في قوالب مرئية محسوسة ، وبذلك تكتسب قوة ونصوعا .

وما هذا التشخيص إلا واحد من مئات من طرائق التعبير وأساليبه عند الشعراء يريدون بها ألا يقتصروا في أداء المعنى على مجرد سرده وبسطه بطريقة مستقيمة مباشرة ، لأنهم إن فعلوا كانوا يخاطبون العقل ومهمتهم أن يثيروا بالفاظهم المختارة وصورهم الجيدة كل ما يمكنهم أن يثيروه في أنفس القراء من مشاعر وذكريات .

ومن أهم هذه الطرائق التي يصطفيها الشعراء في أداء المعاني : التشبيه والاستعارة ؛ وذلك لأن الشاعر يرى بين الأشياء التي تبدو منفصلة لا علاقة لأحدهما بالآخرى روابط وصلات ، فإذا ما ربط بعضها ببعض كانت له استعارة أو تشبيها<sup>(١)</sup> .

١٢ — أن يعقد صلة بين الأشياء المتباعدة التي لا يقع في الظنون أن تتشابه وتتماثل كالذي أنشده الشعبي :

إذا أنت لم تعشق ولم تدر ما الهوى      فأنت وعير في الفلاة سواء  
وجعل له بعضهم عجزاً آخر فقال :



فكن حجراً من يابس الصخر جليداً

فإن الإنسان باديء ذي بدء لا يرى معنى لمساواة الخلي من العشق  
بالحمار الوحشي أو الحجر الجليد !

ولكن أرباب الغرام الذين ابتلوا به ، وفلاسفة الحب الذين درسوا  
علمه وأسبابه ، يرون أنه لا يصدر عن غليظ الطبع ، أغلف القلب ، كشف  
الذوق ، مطموس البصر والبصيرة ، محجوب العقل عن رؤية الجمال  
واستجلاء أسرارهِ وتذوق بدائعه ، وأن العشاق في العادة موسومون بخفة  
الروح ، وعذوبة النفس ، وسلاسة الحاشية ، ورقة الشمائل ، ولطف الشيم ،  
والارتياح للمعروف ، والرحمة بالباطسين ، والعطف على المعذيين ، والنفور  
من القسوة والبخل والعدوان وعبادة الماديات ، إلى غير ذلك من القيم  
الإنسانية العليا التي ترفع البشر إلى درجة الملائكة المقربين !

وإلى بعض ذلك أشار مجنون ليلى في قوله :

ويرتاح للمعروف في طلب العلا      لتُحمد يوماً عند ليلى شمائله  
وقال البهاء زهير :

وإني لأهوى كل من قيل عاشق      ويزداد في عيني جلالاً ويشرف  
بعضهم من يهوى ويطلب قربه      فتكثر آداب له وتظرف

ومن هنا صحَّ لهم أن يجعلوا المجرد من الصبابة عدلاً للحمار والحجر ؛  
لأنه في نظرهم حرم الشعور النبيل والعاطفة السامية والقلب الكبير الخفاق  
بأجل الأحاسيس وأرقها وأرفعها !

لذلك لا نعجب إذا سمعنا قول العباس بن الأحنف :

وما الناس إلا العاشقون ذوو الهوى      ولا خير فيمن لا يحب ويعشق



وقول أبي طالب الرقي :

ولقد ذكرتكَ والظلام كأنه يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

وقول بعضهم :

وما سرنى أنى خلى من الهوى ولو أنلى ما بين شرق إلى غرب

وقد تكون هذه الدعاوى جامحة ولكنها مسلبة عند أصحابها على الأقل .  
على أن الأبحاث الحديثة تسند دعواهم ؛ فقد قام بعض أساتذة جامعة شيكاغو بأبحاث نفسية لدراسة الحب في حياة الإنسان ، وقد أجمع هؤلاء الأساتذة على أن الحب هو ترمومتر الحياة ، فحيث يوجد الحب يوجد الإحساس بالجمال ، وحيث يوجد الإحساس بالجمال يوجد النظام ، وحيث يوجد النظام يوجد الحرص على الحياة .

ومعنى ذلك : أن الحياة الحب ، والحب الحياة كما قيل :

وأن من حرم نعمته كان قميناً أن يلحق بعالم العجاوات بل بعالم الجمادات وكذا قول الآخر :

إذا ما كنت ذا قلب قنوع فأنت ومالك الدنيا سواء

فإن النظرة العجلى العابرة لا تسوى بين الفقير المعدم القنوع ، المحروم من مباحج العيش ومتع الحياة وزينة الدنيا ، وبين ذى الجاه العريض والنفوذ المبسوط والثراء الواسع ، ولكن إذا روينا في الأمر وأصغينا لصوت العقل وحكمنا التجارب ، وقسنا الأشياء بمقاييس المنطق السليم والحكمة البليغة بان لنا أن السعادة الحق ليست في تسمن المناصب ، وزخرف الحكم ، وبريق الأموال ، وسعة الضياع وأبهة القصور ، وكثرة الأثاث والرياش ، وتناول



الأطعمة الفاخرة والأشربة المشبعة ، وليكنها في هدوء النفس ، وسكينة القلب ، واطمئنان البال وراحة الضمير ، والقناعة في غير ذل ولا ضراعة بما قسمه الله ، وابتغاء مرضاته بالعمل الصالح المرجو ثوابه في حياة أخرى سرمدية البقاء !

وهذه الدرجة العليا من السعادة الخالية من حرقة الهم ، ولوعة الحزن وجوى الحسد ، وشقاء التكالب والتهالك على الحطام الزائل ، قد تجدها عند سكان الأكواخ ولابسي الجلايب الزرق الذين يعيشون على الكفاف ، وتفتقدوها بين أرباب القصور الشم والحلل الحريرية ، والسيارات الغالية والأرصدة المدخرة ؛ لأنهم فقدوا كنزاً أنفوس من كل ما حوته أيديهم من ذخائر وأعلاق هو كنز الرضاء والقناعة ، حتى لو كان لأحدهم جبل من ذهب لمتى آخر من فضة ، فهم في شقاء دائم وكبد مقيم !

وما أجمل قول الشاعر<sup>(١)</sup> :

إذا عوفي المرء في جسمه      وخوله الله قلباً قنوعاً  
وألقي المطامع عن نفسه      فذاك الغنى وإن مات جوعاً

ولقد صدق من قال : ما أكثر لذات الحياة ! في كل شيء وفي كل عمل لذة ! بل إن النضال للبقاء فيض من اللذة ، والمغامرة المشيرة لا يعرفها الخاملون من الأغنياء ، وهم الذين يقعون بسرعة فريسة الملل والسأم !<sup>(٢)</sup>

وكقول المعري في قصيدته الخالدة :

وشبيه صوت النعي إذا قيس م بصوت البشير في كل ناد

(١) نسب في المواهب الفتحية - ٢ - ١٩٩ إلى علي - كرم الله وجهه -

(٢) فلسفة السعادة للدكتور محمد فتوح - ٦٧ -



أبكت تلمكو الحمامة أم غنّت م على فرع غصنها المياد  
فهو هنا يسوى بين صوت البشارة الشجى المطرب ، وصوت النعى  
القابض المحزن !

وهذا أمر عجيب فى الظاهر حتى تبدو استحالة التسليم به ، ولكننا حينما  
ننعم النظر فى عواقب الأمور ونحواتها ؛ فنرى الدنيا على حقيقتها دار  
فناء وقرارة شقاء ، ومنزل ضنك وبؤس ، وأن الحياة تنتهى فيها بالموت  
الحتم والفناء الذى لا معدى عنه ، وأن كل فرح مصيره الترح ، وكل هناء  
غايته الشقاء ، وكل لذة إلى ألم ، وكل شباب إلى هرم ، وكل صحة إلى سقم ،  
وأن هذا المولود الذى تطلقت له الوجوه وابتسمت له الثغور ، ودقت  
لمقدمه البشائر ، سيثييع يوما بالعويل والنحيب ولطم الخدود وشق الجيوب  
إلى قبر أغبر ، جلسه فيه الوحدة وأنيسه الوحشة ، حكمنا مطمئنين : أن الدنيا  
ظل زائل وسناد مائل ، ولون حائل ، وسراب خداع غرّار ، وأن صيحة البشير  
ونعقة الناعى ، وزمر الزامر ، ورنّة الشكلى ، ودق الطبول ، ولدم الخدود  
تستوى عند ذى اللب اللبيب ، والرأى الأريب ، والنظر الثاقب البعيد ،  
وأن المعرى صادق كل الصدق فى هذه اللمحة الفلسفية الدقيقة العميقة !



## الفصل الثاني

### موقع الالفاظ حسنا وقبحا في التشبيه

قد يحىء التشبيه صائبا محكما دقيقا ، ولكن الذوق لا يستسيغه لقبح لفظه أو قبح دلالاته ، فتممجه النفس وتنبو عنه الأذن ، ويشيل في ميزان البلاغة ، ولو أنه انتقى له اللفظ البارع الأنيق لجمع بين الحسنين .  
فمن ذلك قول امرئ القيس (١) :

وتعطو برخص غير شئن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إسحل

الأساريع واليساريع : دود يكون في البقل والأماكن الندية ، تشبه به أنامل النساء ، كما تشبه بالغنم إذا كانت مطرقة .

والإسحل : شجر تدق أغصانه في استواء فتشبه به الأصابع .

شبه الشاعر أنامل محبوبته في لينها ونعومتها بدود هذا المكان المسمى ظبيا .

وشبها في دقتها واستوائها بمساويك هذا الشجر المسمى بالإسحل .

وتبعه في بعض هذا التشبيه ذو الرمة بقوله :

خرا عيب أمثال كأن بنانا بنات النقا تخفى مرارا وتظهر (٢)

---

(١) المعلقات السبع لزوزنى - ٢٣

(٢) الخرا عيب : جمع خرعوبة بالضم وهى الشابة الحسننة الخلق ، أو البيضاء اللحية .  
المسجمة اللينة الرقيقة .



وبنات النقا : هي الأساريع .

وقال الجاحظ : هي شحمة الأرض وشحمة الرمل ، بيضاء حسنة تشبه بها كف المرأة .

وقال أبو سليمان الغنوي : هي أعرض من العِظاة ، بيضاء منقطة بحمرة وصفرة أحسن دواب الأرض<sup>(١)</sup> .

وقال القالي : يقال لدودة تفسلخ فتصير فراشة : يسروع وأسروع . ويقال : هي الدودة التي تكون في البقل ، ويقال هي بنات النقا ، وبنات النقا : دود أبيض يكون في الرمل تشبه الأصابع ، ثم ساق بيت ذي الرمة : خرايب أمثال<sup>(٢)</sup> . . . . .

وسواء أكانت الأساريع هي بنات النقا أم غيرها ، وبالرغم من اتفاقهم على حسن شكلها وقرب شبهها بالأصابع ، فهي لا تخرج عن كونها ضرباً من الديدان تستقذرها النفوس بمحض الفطرة مهما أسهب اللغويون في نعمتها بسمات الجمال !

وفي ذلك يقول ابن رشيقي : والأساريع أحسن البنات ليناً وبياضاً وطولاً واستواء ودقة وحمرة رأس ، كأنه ظفر قد أصابته الحناء ، وربما كان رأسها أسود ، إلا أن نفس الحضري المولّد إذا سمعت قول أبي نواس في صفة الكأس :

تعاطيكم كفّ كأن بناتها إذا اعترضتها العين صف مدارى

أو قول ابن الرومي :

(١) الحيوان ٦ - ١١٩ (٢) الأمل ٢ - ١٦٣

(٣) المدارى : الأمشاط جمع مدوى بالسكسر .



سقى الله قصرأ بالرُصافة شاقني      بأعلاه قصرى الدلال رُصافى  
أشار بقُضبان من الدر قُمّت      يواقيتَ حمراً فاستباح عفافى  
أو قول ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة      مقومة أثمارهن عقيق  
كأن ذلك أحب إليه من تشبيه البنان بالدود فى بيت امرئ القيس ،  
وإن كان تشبيهه أشد إصابة <sup>(١)</sup> .

وقد نستطيع أن نهد العذر لامرئ القيس فإنه كان جاهلياً وإن كان  
ملكاً ومن أبناء الملوك ، ولذى الرمة فقد كان يصب على قوالب البدو وإن  
عاش فى العصر الأموى ، ولكننا لا نستطيع أن نعتذر عن أبى تمام فى قوله :  
بسّطت إليك أناملاً أسروعا      تصف الفراق ومقلة ينبوعا  
وقد نشأ فى الحضارة وناغى الترف والنعيم .

ولم يوقعه فى هذا القبح إلا التقليد للمتقدمين دون تبصر وتميز ، ولعله  
لم ير الأساريع فى حياته كلها .

ومن الإنصاف أن نعترف بأن انتشار المدنية وكثرة الرفاهية فى العصر  
العباسى بشطريه أفادت على الشعراء معانى جديدة مستملحة فى تشبيهات  
الأنامل البضة المخضبة كما رأينا فى شعر أبى نواس وابن الرومى وابن المعتز  
المتقدم :

وكما نرى فى قول الخليفة الراضى :

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها      فى خدّها وقد اعتلقت خضابا



فاخضرّ تحت بنانها فكأنها غرست بأرض بنفسج عذابا  
وفي رواية: (١)

فكأنها بأنامل من فضة غرست بأرض بنفسج عذابا  
وقول الناشء - وهو أحسن الواصفين لهذا المعنى - : (٢)

من كف جارية كأن بنانها من فضة قد طُرِّفت عذابا (٣)  
وكان يمناها إذا نطقت بها تُلقى على يدها الشمال حسابا  
وقوله :

لنا قينة ترنو بناظرتين بما في قلوب الناس عالمين  
تخال تطاريف الخضاب بكفها فصوص عقيق فوق قضب لجين  
وقوله :

متعانقين مكاتمين هواهما قد قام بينهما العتاب فطابا  
يتناقلان اللفظ من جفنيهما فكأنما يتدارسان كتابا  
وإذا هدت عين الرقيب تخالست كفاهما خلس السلام سلابا  
بأنامل منه بلوح مدادها وأنامل منها كسين خضابا  
فكأنما يجنى لها من كفه عبا وتجنّيه له عذابا  
وقول كشاجم :

فما أنسها لا أنس منها إشارة بسبابة اليمنى إلى خاتم الفم  
وأعلنت بالشكوى إليها فأومأت حذار من الواشين ألا تكلم

(٢) خزانة الأدب للعموى ٢١٧

(٤) طرفت المرأة بنانها : خضبتة .

(١) نهاية الأرب - ٢ - ٨٩

(٣) ديوان المعاني - ١ - ٢٥٤



فلم أر شكلاً واقعاً فوق شكله      كعناية تومى بها فوق عندهم  
وقول الشريف الرضى :

والمستنى وقد جدّ الوداع بنا      كغفأ تشير بقضبان من العنم  
وقول ابن المعتز :

أثمرت أغصان راحتها      لجسنة الحسن عناها  
وفي التطايف السود يقول بعض الأندلسيين :  
خضبت أناملها السواد وقلما      أبصرت أقلاما بغير سواد  
ويقول ابن المعتز :

وكف كأن الشمس مدت بنانها      إلى الليل تجلوه فقمعها الليل  
ويقول بعضهم :  
وحوراء اللواظ بين قلبي      وبين جفونها حرب البسوس  
ترى ماء النعيم يجول فيها      كمثل الخمر في صافي الكشوس  
كأن بنانها أقلام عاج      مرصعة الرءوس بآبنوس  
كما أنه من الإنصاف أيضاً أن نذكر : أنه ورد من الشعر القديم في  
وصف الأنامل ، ما خالف نهج امرئ القيس وذى الرمة ، وسامى شعر  
المحدثين في رفته وحسنه وطرافته كقول النابغة في المتجردة زوج النعمان  
ابن المنذر :

سقط النصف ولم ترد إسقاطه      فتناولته واتقتنا باليه —  
بمخضب رخص كأن بنانه      عنم على أغصانه لم يعقد



وقد زاد التشبيه حسناً بقوله : لم يعقد : أى إنه لم ينضج ويدرك فييبس ويسود .

وقول الأسود بن يعفر<sup>(١)</sup> :

يسعى بها ذو تومتين مقرطق قنات أنامله من الفرصاد<sup>(٢)</sup>

وقد ذكر العسكري : أنه أجود ما قيل من قديم الشعر في معناه<sup>(٣)</sup>

ومن هذا النوع المستهجن قول بعضهم يصف روضاً :

كأن شقائق النعمان فيه ثياب قد روين من الدماء

فإن الشقائق شديدة الحرارة جداً ، وبينها وبين الثياب الراوية من الدماء مشاكلة محسوسة لا تخفى .

فالتشبيه مصيب ولكن فيه بشاعة بذكر الدماء التي تعاف الأنفس اللطيفة رؤيتها .

ولو قال من العصفور مثلاً أو ما شاكاه لكان أوقع في النفس وأقرب إلى الأنس<sup>(٤)</sup> .

ومثله قول القصار :

طرب الشقائق للحمام وقد شدا فوق الغصون فشقّ فضل ردائه

فكأنه الحبشي يضع جسمه فثيابه مخضلة بدمائه

(١) يعفر كينفع ، وفي طبقات الشعراء للجمحي بضم الياء والفاء .

(٢) التومة بالضم : اللؤلؤة ، والقرط فيه حبة كبيرة ، والمقرطق : لباس القرطق بالضم وهو لباس قصير شبيه بالقباء وأصله بالفارسية : كرتة ، والعامية تقول : شاية ، وقد أخطأ بعض الشعراء فظن المقرطق لباس القرط ، وإنما هو مقرط ، والفرصاد بالكسر : صبغ أحمر .

(٣) ديوان المعاني ١ - ٢٥٤

(٤) العمدة ١ - ٢٠٥ - خزانة الأدب للحموي - ٢٢٥



وقول شوقي :

والجُلُنَّارُ دم على أوراقه      قانى الحروف كخاتم السَّفاح  
فذكر الدم هنا وتصور منظره يقبض الصدر ويحزن القلب ، ولا تغنى  
عن ذلك شيئاً جودة التشبيه وطرافته .

وقول أبي محجَّج الثقفى فى وصف قينة :

ترفع الصوت أحياناً وتخفضه      كما يطنّ ذباب الروضة الفرد  
فإن أحذق القيان لا تستطيع أن تبارى ذباب الروض فى رفعه صوته  
مرة وخفضه أخرى على هذا النسق الرتيب الذى يجرى عليه طبيعة لا تكلفا .  
ولكن أى قينة ولو كان صوتها مثل صوت الحمار نكراً ، ترضى أن  
تشبه بالذباب كما يقول ابن رشيق !  
على أنه سرق بيت عنتره :

وخلا الذباب بها فليس يبارح      غرداً كفعل الشارب المترنم  
وقلبه فأفسده (١)

وقول العمانى الراجز :

ياربّ جارية حوراء ناعمة      كأنها عومة فى جوف راقود (٢)  
وهذا تشبيه أقل ما يوصف به أنه مقزّز يدعو سامعه إلى الغثيان !  
وقد حدث حماد عن أبيه إسحاق الموصلى (٣) : أن الأصمعى دخل إليه

---

(١) العمدة - ١ - ٢٠٦

(٢) العومة بالضم : دويبة كالصرد ، وهو طائر أبيض البطن ، والراقود : دن  
كبير أو طويل الأسفل يطلّ بالقار داخله . (٣) الموشح - ٢٩٧



يوما وعنده أخ للعماني المتقدم ، فأراد أن يعث بالأصمعي فقال : من هذا ؟  
أهو الباهلي الذي يقول ؟<sup>(١)</sup> :

فما صفحة مآدومة بإهالة بأطيب من فيها ولا أقطر طب<sup>(٢)</sup>  
فقال الأصمعي - قبل أن يستتم كلامه - هو على كل حال أصلح من  
قول أخيك العماني :  
يارب جارية .

فألقمه حجرا !

وقول مسلم بن الوليد :

فغطت بأيديها ثمار نخورها كأيدي الأسارى أثقلتها الجوامع  
والتشبيه مصيب جداً ، ولكن عيبه جاء من أيدي الأسارى المثقلة  
بالأغلال ، فإنه لا يصح في الذوق أن تشبه بها أيدي الحسان التي تستر  
رمان الصدور !

وقد أخذه مسلم من قول النابغة :

يُحْطِطْنَ بالعيدان في كل منزل ويخبئن رمان الثدى النواهد

وقول الحاجر في وصف العذار :

وما اخضر ذاك الخال نبثا وإنما لكثرة ماشقت عليه المرائر<sup>(٣)</sup>

وقد قالوا فيه : ما زاد على أن جعل خد محبوبه مسلخاً<sup>(٤)</sup> ، مسلخانة ،

(١) نسب في ديوان الحماسة إلى بعض الأعراب .

(٢) الإهالة بالكسر : الشحم أو ما أذيب منه أو كل ما يؤتمد به أو الزيت ، والأقط

كسكتف ورجل ولابل : شيء يتخذ من الخيض الفغمي ( الرايب )

(٣) شق المرائر : كناية عن الشدة والهول .

(٤) خزانة الأدب للحموي - ٢٢٥



فالتعليل حسن ، ولكن عيبه جاء من ناحية اللفظ وهو شق المرائر على الخد لما فيه من معنى التقدير !

وبعضهم لم يكتف بشق المرائر على خد الحبيب حتى سفك عليه الدماء بقوله :

وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه عذارك إلا من دم ومرائر

ولو أنه توخى الإحسان وقصد الإصابة وتحرى الجودة لقال كما قال أبو الحسن الحاج الأندلسي :

ومعذر رقت محاسن وجهه فقلوبنا وجدا عليه رفاق<sup>(١)</sup>  
لم يكس عارضه السواد وإنما نفضت عليه صباغها الأحداق  
فقد علل سواد العارض بعلّة طريفة تصور حسن المحبوب أبدع تصوير ،  
وترتفع بقدره إلى غاية الغايات !

وقول بعضهم في مدح بعض الملوك :

فإن كان أملاك الزمان أراقما فإنك فيهم دائم الدهر ثعبان  
وصحيح أن الثعبان أضخم من الأرقم وأهول منه منظرا ، ولكن  
لا يسوغ في الذوق السليم تشبيه العظام به .  
ولو أنه عدل إلى التشبيه بالحية لخلص من الملام ، لأن اسم الحية  
أشرف من اسم الثعبان .

وقد جرت عادتهم أن يصفوا بها الكبراء من الناس ، والعادات رسوم  
محترمة معتبرة ، ولذلك سموا الرجل : حية ، وقالوا : هو حية الوادي :  
للحامي حوزته وللمنيع الجانب ، وهم حيات الأرض : لدواهيها وفرسانها ،

---

(١) المعذر بالتشديد والكسر : من نبت عذاره .



وهو حية ذكر : للشهم ، ورأسه رأس حية : للذكي ، وأكلت حياتنا  
حياتكم : إذا قتلت فرسانهم فرسانهم .  
وقال ذوالإصبع العدو أنى يذكر قومه :

عذير الأرض من عدوا ن كانوا حية الأرض

وقال طرفة يصف نفسه :

أنا الرجل الضرب الذى تعرفونه خشاش كرأس الحية المتوقد<sup>(١)</sup>

وقال أبو نواس يمدح الخصيب والى مصر :

وأطرق حيات البلاد لحية خصيبة التصميم حين تسور

وقول السرى الرقاء فى مدح سيف الدولة :

تعتد نجدته عدى عدة وتخاله صيد الأراقم أرقاً

وقد تسامل الخفاجى<sup>(٢)</sup> : إذا كان التنين هو الحية ، وكانوا كثيراً

ما يشبهون الممدوح بالحية ويقولون : هو صل صفاة ، وحية واد ، وأرقم  
وأسود وغير ذلك كما قال أبو الطيب :

يمد يديه فى المغاضة ضيغم وعيناه من تحت التريكة أرقم<sup>(٣)</sup>

وقال آخر :

إنى على رأس العدو وتحت لغام قسطة وحية واد

وقول الرضى :

نبهت منى يا أبا الغيداق أصم لا يسمع صوت الرافى

---

(١) الضرب : الرجل القليل اللعم ، والعرب تتمدح بذلك لأن السمن عنوان الكسل  
والبلادة ، والخشاش بتثليث الحاء : الماضى فى الأمور .

(٢) سر الفصاحة - ١٥٥ - ١٥٦

(٣) المغاضة بضم الميم : الدرع الواسعة ، والتريكة البيضة من الحديد .



ذا ربيعة تهزأ بالدرياق كأنما أم من الإطراق<sup>(١)</sup>

وقال حريث بن عتاب :

أترجو الحياة يا بن بشر بن مسهر      وقد علقت رجلاك في ناب أسودا  
من الصم تكفي مرة من لعابه      وما عاد إلا كان في العود أحدا  
وأمثال هذا كثير ، فكيف يكون ذكر التنين عيباً ، ولا يكون ذكر  
الأرقم والصل والأسود عيباً ومعنى الجميع واحد !

والجواب أننا لم ننكر التنين لأجل معناه فيقال لنا : إن معنى التنين  
والحية واحد ، وإنما عيبناه من أجل مدحه ، لأن هذه اللفظة لم تستعمل  
في المدح وتلك الألفاظ قد استعملت فيه ، وليس يمتنع أن يكون للشئ  
الواحد اسمان يستعمل أحدهما في موضع ويستعمل الآخر في موضع آخر .  
وهذا شئ إنما أصله العرف والعادة دون أصل وضع الأسماء في اللغة ،  
ألا ترى أن الإنسان إذا مدح ، ذكر الرأس والكاهل والهامة ، وإذا هجا  
ذكر القفا والأخادع والقذال وإن كانت معاني الجميع متقاربة ، وليس يحسن  
أن يخاطب الملوك فيقال لبعضهم : وحق يافوخك أو قحذوتك أو أخادعك  
أو قذالك أو قفاك ، قياساً على أن يقال له : وحق رأسك ، لأن الاستعمال  
يختلف في الألفاظ وإن كان المعنى فيها غير مختلف على ما قدمناه .

على أن بعضهم كان يستقبح المدح بالحيات ، فقد ذكروا<sup>(٢)</sup> : أن محمد  
ابن علي العباسي قال لكثير عزة : تزعم أنك من شيعتنا وتمدح آل مروان !

(١) أم بالبناء المجهول : شج رأسه .

(٢) الموشح - ١٤٤



فقال كثير : إنما أنا أسخر منهم ، وأجعلهم حيات وعقارب وآخذ أموالهم .

يشير بذلك إلى قوله في عبد الملك :

يقلّب عيني حية بمحارة إذا أمكنته شدة لا يقيها

ويكون النكير أشد والاستهجان أكثر حينما يكون التشبيه متعلقاً بالمطعوم والمشروب ، وما يدخل في الاستمتاع عامة ، لأن مجافاة الذوق فيه واضحة .

وذلك كقول يزيد بن معاوية في الخمر :

إذا شجّها الساقى حسبت حباها عيون الدّبي من تحت أجنحة النّمل (١)

وقول الأخطل :

عُقار كعين الديك صرفاً كأنها لعاب جرّاد في الفلاة يطير

وقول أبي الهندي من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية - وهو أول من وصف الخمر من المسلمين (٢) :

نبّهت ندماني وقلت له اصطبّح يا بن الكرام من الشراب الأصهب

صفراء تبرّق في الزجاج كأنها حدّق الجرّادة أو لسان الجنّد

ومثله قول آخر :

صفراء من ماء الكروم كأنها ماء المفاصل أو لعاب الجنّد (٣)

وقول الحسين الخليع :

(١) الشج : المزج ، والدبي : صفار الجرّاد . (٢) فوات الوفيات - ٢ - ١٥١

(٣) المفاصل : ما بين الجبلين .



فضّت خواتمها في نعت واصفها      عن مثل رقرقة في جفن مرهء (١)  
 كان تأليف ما حاك المزاج لها      سلخ تحلله عن ظهر رقصاء (٢)  
 وقد علق المغفور له الدكتور زكي مبارك على هذا الوصف بقوله :  
 ونحن لا نستسيغ اليوم في وصف الخمر : بأنها بدت مثل رقرقة في جفن  
 مرهء ، ولا يسرنا أن يكون الحجب ألف فوقها صورة تشبه ظهر الحية  
 للرقشاء (٣).

وأنا أقول : إن هذه الصورة مستقبحة في كل زمان ومكان ، فإن  
 الذوق العام لا يختلف في مثل هذه الأوصاف التي تنفر منها النفوس وتمجها  
 الطباع بإصل الجبلّة .

وقول أبي نواس :

وإذا ما الماء واقعهما      أظهرت شكلا من الغزل

لؤلؤات ينحدرن بها      كأنحدار الذر من جبل (٤)

وقول كشاجم :

عذبت في الرشف منها شفة      مصها أطيب من نيل الأمل

وعليها حمرة في لعس      تستعير اللون من صبغ الخجل

هي فيما خلت آثار دم      من فؤادي علّ فيه ونهل

وتشبيه حمرة الشفة بآثار الدم ليس وراه مزيد في القبح ، وبخاصة إذا

(١) المرهء : التي ابيضت حاليق عينيها من ترك الكحل .

(٢) السلخ : الجلد المسلوخ ، والرقشاء : الحية .

(٣) الموازنة بين الشعراء - ٢٨٢

(٤) الذر : صفار النمل .



قرن بذكر الرشف والمص ! ولا يشفع له أنه من دم القلب .

وقول ابن عون الكاتب :

تلاعبها كُفُّ المزاج محبة لها وليجري ذات بينهما الأُنس  
فُزِدَ من تيه عليه كأنها عزيزة خدر قد تخبَّطها المسّ  
فبشاعة هذا التشبيه - كما يقول الحموي - تمجها الأذواق الصحيحة  
وتنفر منها الطباع السليمة ؛ فإن أهل الذوق لا يطيب لهم أن يشربوا شيئاً  
يشبه زبد المصروع !

وقول أبي القاسم بن بابك :

وأغيد معسول الشمائل زارني على فرق والنجم حيران طالع  
فنازعت الصهباء والليل دامس رقيق حواشي البرد والنسر واقع<sup>(١)</sup>  
عُقار عليها من دم الصَّب نقطة ومن عبرات المستهام فواقع

وقول بعض المولدين :

هات مداما كان فيها تصبُّ أحداقها الديوك

ومن الذي يلذ له أن يتحسّى عصير أحداق الديوك ! وأى خيال سمح  
لهذا الشاعر بهذا التشبيه الباعث على الاشتزاز .

وأين غاب عنه قول الموصلي في هذا المقام :

وكأس مدام يحلف الديك أنها لدى المزج من عينيه أصفى وأنور  
شبهها بعين الديك لأنها يضرب بها المثل في الصفاء ، ويشبه بها الشراب  
الصافي .

---

(١) النسر : كوكبان يقال لأحدهما : الواقع وللآخر : الطائر .



ويقول الموصلي : سمعتني أعرابية وأنا أنشد البيت المتقدم ، فقالت :  
يا أبا محمد ، بلغني أن الديك من صالحى طيوركم وما كان ليحلف كاذباً<sup>(١)</sup> !  
وجمال التشبيه هنا أن الموصلي جعل الخمر كعين الديك فى الصفاء  
والنقاء والبريق ، ولم يجعلها نفس عين الديك التى هى مزيج من لحم ودم كما  
جعلها الأول ، والفرق شاسع بين المذهبين .

ولعل أقبح من كل ما تقدم قول السرى الرفاء .  
يسيل فم الزق الروى كأنه جراحة زنجى يسيل نجيعة  
وقوله :

اشرب فقد شرد ضو      الصبح عنا الظلما  
وصوب الأبريق فى الكأ      س مداً عندما  
كانها إذ مجها      مقهقها ييكى دما

ولا يقل عنه شناعة قول البارودى :  
ألا عاطنيها بنت كرم تزوجت      على نغمت العود بابن سماء  
إذا اتقدت فى الكأس خلت وميضها      على وترات الكف نضح دماء  
فإنه بقدر ما أحسن فى بيته الأول المرقص ، أساء فى بيته الثانى بذكر  
نضح الدماء ، وقد جاءه ذلك من التقليد لمن سبقوه بلا تبصر .

وقد يقال ولكنهم يستحسنون قول الأعشى :

وسبيئة مما تعتق بابل      كدم الذبيح سلبتها جريالها

فما الفرق بين دم الذبيح ، ونجيع الزنجى السائل من جراحته ؟  
والجواب : أن الفرق واضح بين دم الذبيح المذكى ، الطيب اللحم ،



الحلال الأكل ، وبين دم ينشعب من جرح آدمى حيّ ، على أثر طعنة جائفة  
أو حادثة تكتنفها الأوجاع والآلام !

وصفوة القول : أن هذه التشبيهات المتقدمة في وصف الخمر تملأ  
النفوس انقباضاً منها ورغبة عنها !

ومن الغريب أن أكثرها وقع من شعراء عرفوا بالإبداع في وصفها ،  
وسار لهم في ذلك ذكر تناقله الناس ، ولولا أنهم شهروا بحبها والاستهتار  
بها لقلنا : إنهم يدعون إلى التنفير منها ، إذ لا يتأتى لناسك متعبد أن يقول  
في تقييدها أكثر مما قالوا !

والعادة المتبعة فيما نحن بسبيله ، أن يتحاشى الشاعر الألفاظ المشيرة  
لانقباض الصدر واشتمزاز النفس ، ويتخير ما تطرب له الأذن وينشرح له  
الصدر ، ويهش له القلب ، لأنه إنما يتكلم عن شيء يخالط الجوف ويمتزج  
بالبدن كقول السرى الرفاء .

وصفراء من ماء السكروم شربتها	على وجه صفراء الغلائل غضة
تبدت وفضل الكأس يلمع ساطعاً	كأثرجة زينت بإكليل فضة

وقول العسكري :

وكأس تمتطى أطراف كف	كان بنانها من أرجوان
أنازعها على العيلات شرباً	لهن مضاحك من أقحوان
يلوح على مفارقها حجاب	كأنصاف الفرائد والجمان

ومن قبيح ما جاء في المطعوم قول الحكم الخضرى - يصف غليان  
القدر بما فيها من قطع اللحم - :



كَأَن جُذُول النَّابِ فِيهَا إِذَا غَلَّتْ دَعَامِيصُ تَخْشَى صَائِدًا فَتَعُومُ<sup>(١)</sup>  
يَصِفُ قَطْعَ اللَّحْمِ إِذَا دَوَّمتْ بِهَا الْقَدْرُ فِي حَالِ غَلِيَانِهَا بِصَغَارِ الضَّفَادِعِ  
الَّتِي تَسْبِغُ عَلَى أَدِيمِ الْمَاءِ خَوْفَ اصْطِيَادِهَا .  
وَلَا مَرِيَّةَ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ يُغْنِي النَّفْسَ وَيُوحِشُ الصَّدْرَ ، لِأَنَّ مَنْظَرَ  
الدَّعَامِيصِ مُسْتَنَكِرٌ قَبِيحٌ ؛ وَمِنَ الْغَرِيبِ أَنَّ قِدَامَةَ يَصِفُهُ بِالْجُودَةِ .<sup>(٢)</sup>  
وَقَوْلُ الْعَسْكَرِيِّ فِي الْفَالُودِ :

حَمْرَاءُ فِي بَيْضَاءِ فَضِيَّةٍ وَظُرْفُ كَافُورٍ وَحَشْوُ الْخَلُوقِ<sup>(٣)</sup>  
يُطَوِّفُ الدَّهْنَ بِأَرْجَائِهِ إِطَافَةُ الدَّمْعِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ  
وَتَشْبِيهِ الدَّهْنِ فِي الْفَالُودِ بِالدَّمْعِ الْمَطِيفِ بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ بِشَعِّ مُسْتَكْرِهِ  
غَيْرِ مُسْتَسَاغٍ ، وَهُوَ خَلِيقٌ أَنْ تَصْدَفَ بِهِ النَّفْسُ عَنْ تَنَاوُلِهِ .  
هَذَا إِلَى أَنَّ الْمِشَابَهَةَ غَيْرَ مُحْكَمَةٍ بَيْنَ رَكْنِي التَّشْبِيهِ ، فَالدَّمْعُ لَا يَطُوفُ  
بِجَفْنِ الْمَشْوِقِ بَلْ يَتَرَقَّرُ فِيهِ أَوْ يَنْتَثِرُ مِنْهُ .

فَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا مِنْ قَوْلِ بَعْضِ الْعَصْرِيِّينَ يَصِفُ أَلْوَانًا مِنَ الْفَطَائِرِ<sup>(٤)</sup> :

وَأَنْ أَنْسَى فُلْنَ أَنْسَى فَطَائِرُ سَمْنُهَا يَجْ—رَى  
كَأَنَّ اللُّوزَ مَنْضُودًا بِهَا سَمَطٌ مِنَ الشَّذَرِ<sup>(٥)</sup>  
كَأَنَّ أَدِيمَهَا الصَّ—أَفَى تَوْشَحُ صَفْرَةُ الصُّفْرِ<sup>(٦)</sup>

(١) الْجُذُولُ : أَصُولُ الشَّيْءِ جَمْعُ جَذَلٍ بِالْكَسْرِ ، وَالنَّابُ : النَّاقَةُ الْمُسَنَّةُ ، وَالِدَعَامِيصُ :  
هَيْدَانُ سَوْدَاءٍ تَسْكُونُ فِي الْغَدْرَانِ إِذَا نَشَتْ .

(٢) تَقْدِيرُ الشَّعْرِ — ٧٠ (٣) الْخَلُوقُ بِالْفَتْحِ : الطَّيْبُ .

(٤) أَلْحَانُ الْأَصِيلِ — ٧٢ (٥) الشَّذَرُ : قِطْعُ الذَّهَبِ .

(٦) الصُّفْرُ : النِّجَاسُ الْأَصْفَرُ .



وقوله : (١)

وعجّل بها كأكفّ الملاح	تأنّقن في صبغها بالخضاب
ومحشوة بالزيب الأحمّ	ومسقية بالشهاد المذاب
إذا جال فيها بنان الأديب	تنسّم منها أريج الملاب (٢)
وإن أوغلت يده في الصميم	أتت ————— بكل عجيب عجّاب
ذخائر في جوفها أودعت	كما سكن الدر جوف العباب

ومن ذلك النوع المستقبح قول المأموني في أقراص السحور :

عندى للأكل إذا	ما قت للتسحر
ملّة ————— بسمنها	وسمسم لم يقشر
مثل البدور الطالعا	ت في صدور الأشهر
أو أوجه الترك إذا	أثر فيها الجُدرى

فقد شوه هذا الشعر الخفيف الظل ، اللطيف العذب بالبيت الأخير ، ولا أدري كيف يستطيب أكل أقراص كالوجوه المجدورة ، وإن كانت بيض الألوان كوجوه الترك !

وقريب منه قول ابن خلاد في خبز الأرز بالملح — وإن كان أقل هجنة — :

رغيف بملح طيب النشر خلطة	خوارجه تغنيك عن أرج العطر
عليه من الشونيز آثار كاتب	وجلباب وراق يُنقّط بالخبز (٣)

(١) ألحان الأصيل — ١٠٨ (٢) الملاب كسحاب : العطر أو الزعفران .

(٣) الشونيز : بضم الشين وفتحها : الحبة السوداء .



ومن سسم قد زعفروه كأنه قراضة تبر في لجينية غر  
والشاهد في البيت الثاني .  
وقول مهيّار في رمانة حمراء :

ما أم أولاد كثيرة العدد تروى رضاءا وهى بكر لم تلد  
تبسم عن عذب الرضاب بابر د لولا دم بصبغه قلت بر د  
وقول ابن سعد الخير في وصفها :  
وساكنة في ظلال الغصون بروض تروك أفنانه  
تضاحك أترابها فيه إذ غدا الجو تدمع أجفانه  
كما فتح الليث فاه وقد تضرّج بالدم أسنانه  
وقول ابن الرومي في التوت :

ومختضبات من نجيع دماها إذا جنيت في بكرة الغدوات  
تسكاد بأن تطفأ إذا ما لمستها فأرحمها من سائر الثمرات<sup>(١)</sup>  
وقول ابن شرف فيه — وقد أهداه — :

انظر إلى توت الجنان الذى وافى به الناطور فى جام  
يحكى جراحا دماها سائل لدى جسوم من بنى حام  
فانظر كيف جاء هذان الشاعران إلى هذه الفاكة المشتهاة ، وألقيا عليها  
ظلا من تصويرهما تجعل العيون تقضى بها والنفوس تعزف عنها !

ولكن تأمل قول محمد بن روح — يصف الرمان السفرى فى أبيات  
كتبها إلى بعض من أهداها إليه — :

ولابسة صدفا أحمرأ أتتك وقد ملئت جوهرا

(١) تطفأ : تشدح وأصله تطفأ .

(٢) الناطور : حافظ الكرم والنخل والزرع ، وهو من ألفاظ السواد وليس بعربي خالص



كَأَنَّكَ فَاتِحُ حُقِّ لَطِيفٍ      تَضَمَّنَ مَرْجَانَهُ الْأَحْمَرَا  
 حَبِوْبًا كَمَثَلِ لِثَاتِ الْحَبِيبِ      رُضَابَا إِذَا شُدَّتْ أَوْ مَنْظُرَا  
 وَلِلسَفَرِ تُعْزَى وَمَا سَافَرْتَ      فَتَشْكُو النَّوَى أَوْ تُقَاسِي السَّرَى  
 بَلَى فَارَقْتَ أَيْكَهَا نَاعِمًا      رَطِيبًا وَأَغْصَانَهَا نُضْرَا  
 وَجَاءَكَ مَعْتَاذُهُ إِذْ أَتَيْتَكَ م      بِأَكْرَمِ مَنْ عَوْدَهَا عَنْصُرَا  
 بَعُودَ تَرَى فِيهِ مَاءَ الْهِنْدِ      وَيُورِقُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَشْمُرَا  
 هَدِيَّةً مِنْ لَوْ غَدَتِ نَفْسُهُ      هَدِيَّتَهُ ظَنَّهُ ————— قَصْرَا

وقول بعض الأندلسيين في التوت — وقد أهداه — :

تفاءلت بالتوت الجنى لزورة  
فأهديته غصّاً حكي حديق المهما  
وذا لاسيج لما حكي باسموداده  
وذلك فال ما علمت صدوق<sup>(١)</sup>  
له منظر بالحسن منه يروق  
وذا لاحمرار اللون منه عقيق<sup>(٢)</sup>

ومن المضحكات : أن محمد بن الجهم سأل عليا الأسواري : كم آخذ من الدواء الذي جئت به ؟

**قال : مقدار بعرة !**

نجاه بلفظ قدر ولم يبين المراد ؛ لأن البعير يختلف في الكبر والصغر ، ولا يعرف أبعرة ظي أراد أم بعرة شاة أم بعرة جمل (٣) ؛

فهمه الألفاظ التي تقدمت في كل هذه التشبيهات الماضية ليست قبيحة في ذاتها ، ولكنها قبيحة لأنها استعملت في مواضع تعد من مجالى الحسن

(١) ما : في ما علمت زائدة . (٢) السبع : خوز أسرد .

(۳) الصناعتين - ۲۴۸



ومواضع الجمال ، فشاهت بها التشبيهات مع أنها من حيث إصابة الموقع  
ومراعاة الجهة بالغة الشأو البعيد والمدى المستطيل .  
ومن ثم نراها مستحسنة سائغة ، واقعة موقعها غير نائية ولا مستكرهة  
إذا استدعاها المقام ، وذلك في المواضع الآتية .

١ - إذا كان الغرض الهجاء ، فيفتن الشاعر ما شاء له الخيال في تشويه  
الصورة تشويهاً محكوماً بقواعد الفن ، كقول جرير :

إذا ضحكك شبهت أنيابها العلا      خفافس سوداً في صرارة قلب (١)  
وإنما خص أنيابها العليا دون السفلى ؛ لأنها تبدو في التبسم والتسكلم  
وعند التثاؤب .

وقول حماد عجرد في بشار :

ما صور الله شبيهاً له	من كل من من خلقه صوراً
أشبه بالخنزير وجهاً ولا	بالكلب أعراقاً ولا مكسراً (٢)
ولا رأيت أحداً مثله	أنجس أو أطفس أو أقذراً (٣)
لو طليت جلده عنبراً	لننت جلدته العنبراً
أو طليت مسكاً ذكياً إذا	تحول المسك عليه . . . .

وقوله أيضاً :

ما خلق الله شبيهاً له	من رجته طوراً ومن إنسه
والله ما الخنزير في ثقله	من ربه بالعشر أو خمسه
بل ريحه أطيب من ريحه	ومسه ألين من مسه

(١) الصرافة : البقية . (٢) المكسر كمنزل : المخبر والأصل .

(٣) الطفس محركا : قذراً الإنسان لعدم تعهده نفسه .



ووجهه أحسن من وجهه      ونفسه أنبل من نفسه  
وعوده أكرم من عوده      وجنسه أشرف من جنسه  
ويقول الجاحظ في ذلك : وأنا — حفظك الله — أستظرف وصفه  
الخنزير بهذا المكان وفي هذا الموضع حيث يقول :  
وعوده أكرم من عوده . . .

أين عود الخنزير من الكرم .<sup>(١)</sup>

وقول ابن الرومي يهجو بخيلا :

أبدت في أوليات لؤمك ما      قدّرت في أخرياتك الآخر  
كالقطران الذي يرى أبداً      في رأسه ما اقتنى من العكر  
وهذا من قول الناس : أول الدن دردى<sup>(٢)</sup> .

وقول البازري في رجل قبيح القم :

وقد علت أسنانه صفرة      تكدر العيش المرىء المريع<sup>(٣)</sup>  
ولحمها من ورم فاسد      كالرئة المحبوس فيها نجيع

وقد أعجب الحموي بهذا الهجوم فقال فيه : لو جمع المتأمل بين المشبه  
المهجو وبين المشبه به ، وشاهد التخيل الغريب عيانا صدق صحة الدعوى .<sup>(٤)</sup>  
وقول ابن طباطبا في مجدور :

ذو جُدَرى وجهه      يحكيه جلد السمكة

(٢) ديوان المعاني — ١ — ٢٠٦

(١) الحيوان — ١ — ١١٣ — ١١٤

(٣) المريع : الحصيب .

(٤) خزانة الأدب — ٢٢٦



أو حِجَرِ الحِمامِ كم      من وسخ قد دلكه  
أو وكر زُبُورِ إذا      فرّخ فيه تركه  
أو سَلْحَةِ جامدة      قد نقرتها الدّيكَة

وقول بعضهم :

إذا كنت لا علم لديك تفيدنا      ولا أنت ذوجود فترجوك للقري  
ولا أنت ممن يُرتجى لكرهية      عملنا مثالا مثل شخصك من ...  
وقول عبدان الخوذى فى قينة :

لنا قينة تحمى من الشُّرب شربنا      فقد أمنوا سكرأ وخوف خمار  
تُكشر عن أنيابها فى غنائها      فتحكى حمارأ شم بول حمار  
وقد يرد ذلك فى غير الأناسى كقول ابن شرف القيروانى فى التين :

لا مرحبا بالتين لما أتى      يسحب كالليل عليه وشاح

ممزق الجلباب يحكى لنا      هامة زنجى عليها جراح

٢- أن يكون القصد حكاية حال تحسن معها المبالغة كقول الأبيوردى :

نزلنا بنعمان الأراك وللندى      سقيط به ابتلت علينا المطارف (١)

وقفت به والدمع أكثره دم      كأنى من جفنى بنعمان راعف

فهذه الحال لا ينكر جريان الدمع معها دماء ، فإنها حال لا ثقة بجريانه  
على هذه الصفة ، لأن هذا الشاعر لما نزل بنعمان الذى هو منزل أحبابه  
ووجده مقفراً منهم ، لاق بحاله أن يجرى الدم لشدة الأسف دما .

ومثله قول ابن قاضى ميلة :

ولما التقينا محرمين وسيرنا      بليك رباً والركائب تعسف

(١) نعمان الأراك بالفتح : واد بين مكة والطائف أو جبل .



نظرت إليها والمطى كأنما غواربها منها معاطس رُغف  
 فهذا التشبيه غاية في هذا الباب ، وجريان الماء من غوارب المطى لا تق  
 بحكاية حالها ، فقد تضمنت لطف الكناية عن التعسف في شدة السرى (١) .  
 ويلحق بهذا كل ما شاكلة كقول ذى الوزارتين أبي الحسن بن اليسع ،  
 وقد أنشده المعتمد بن عباد (٢) :  
 ولما التقينا للوداع غدِيةً وقد خفقت في ساحة القصر رايات  
 بكينا دماً حتى كأن عيوننا بجرى الدموع الحمر منها جراحات  
 وهو ينظر إلى قول القائل :  
 بكيت دماً حتى لقد قال عاندي أهذا الفتى من جفن عينيه يرُغف  
 وأحسب هذا البيت مأخوذ من قول أبي تمام :  
 أما الرسوم فقد أذكرن ما سلفا فلا تكفن من شأنك أو يكفها  
 لا عذر للصب أن يقنّى السلو ولا للدمع بعد مضى الحى أن يقفا  
 حتى يظل بماء — افح ودم في الربع يُحسب من عينيه قد رُغفا  
 وأبو تمام أخذه من قول أبي وجزة :  
 عيون ترمى بالرُغاف كأنها من الشوق صردان تدب وتلمع  
 وقد قيل في تفسيره : شبه الدمع — وقد عصفره الدم — بالرغاف ،  
 وشبه العيون — وهى تفيض بالدمع تارة وتحبسه أخرى — بالصردان  
 تنفض تارة وتظهر عرضاً من الأرض تارة :  
 ويبت أبي تمام أجود لفظاً ونظماً (٣) .

(١) خزانة الأدب للحموى — ٢٢٦ (٢) قلائد العقيان — ٩  
 (٣) وفيات الأعيان — ٢ — ٣٨ (٤) الموازنة — ٤٤٢ — ٤٤٣



٣ - أن يكون الغرض وصف شيء لا يستكمل دقته بغير هذه الألفاظ  
كقول ابن الحاجب في احمرار الشمس عند المغيب :  
وكانها عند الغروب ب جفون عين الأرم

وقول ابن طباطبا في الشمس المنقبة بالغيم .  
وأقذيت عين شمسنا فحككت من خال الغيم طرف عشاء .  
وقول الأليبري بصف المريّة (١) :

قالو المريّة فيها نظافة قلت إيه  
كانها طست تبر ويُبصق الدم فيه

وقول الوراق :

أبدى لنا لما بدا قرعة يحار في تشييمها اللب  
فقلت هل تشبه يقطينة فقال لو كان لها لب

وقول جرير يهجو الأخطل بتورم أنفه من السكر :  
وشربت بعد أبي ظهير وابنه سكر الدنان كأن أنفك دمل  
وقد جرت العادة أن أنوف السكارى المدمنين تتورم ؛ قال الجاحظ :  
وأيت جماعة ممن يعاقرون الشراب قد عظمت آنافهم وصارت لها خراطيم  
منهم روح الصائغ وعبد الواحد صاحب اللؤلؤى وجماعة من ندمان حماد  
ابن الصباح ، وعبد الله أخا نهر من عسكر ، وناساً كثيرين (٢)

وقول عبد الله بن عتبة في وصف السكران نفسه :  
وشربك من ماء الكروم كأنه إذا جج صرّفا في الإناء خضاب

---

(١) المريّة كغنية من مدن الأندلس ، وموضع آخر بها .



صريع مدام والندامى يلونه      وفى الشدق قىء سائل ولعاب  
وقد عد العسكرى هذا الشعر والذى قبله أبدع ما قيل فى بابه .<sup>(١)</sup>  
وقول أبى البيداء الرياحى — وهو مما أنشده الجاحظ — :

وشعر كبعر الكبش فرق بينه      لسان دعى فى القريض دخيل  
وهذى الكلمة على قبجها لا يوجد خير منها فى هذا المكان، فإنها واضحة  
الدلالة إلى حد تصوير المعنى المراد ؛ وهو عدم التناسب والتلائم بين  
أبيات الشعر .

وذلك أن بعر الكبش لا يقع إلا متفرقا .

وقول جورج ديهاميل : أوكد أن القصة اليومية هى إحدى قروح  
أدبنا الخفية ، قرحة يسيل منها كثير من الدم الزكى الجميل<sup>(٢)</sup> !  
فهذه الألفاظ نراها حسنة فى هذه المواضع ، بقدر ما كانت قبيحة  
فى المواضع الأخرى ، لتباين المناسبات واختلاف المقامات ، ذلك لأن  
قبجها وحسنها لم يأت من ذاتها وإنما هو وصف طارئ عليها يتغير  
بتغير السياق .



# الفصل الثالث

## اقتران التشبيه بالحلي البلاغية

كثيراً ما يقع التشبيه متصلاً بحلية بلاغية فيزداد روعة وجمالاً ، وتعلو قيمته بمقدار ما وفرت له الحلية الإضافية من وشى وتخيير ، وطرافة وجدة ، وخصب وقوة .

وهذا أمر طبيعي ؛ فإن انضمام شيء حسن إلى حسن مثله ، يضاعف روعتهما وبهاءهما ، ويولد من اتصالهما مزايا جديدة لم تكن لأحدهما منفرداً قبل هذا الازدواج .

والمهم في ذلك أن تكون الحلية — التي قد جاءت عفواً دون احتلاب ولا استكراه ، وإلا لحقه الثقل والغثاثة .

وهذه الحلي كثيرة ، منها اجتماعه :

١ - مع التذييل كقول الخطيب :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم      ومن يسوى بأنف الناقة لغيرها

وقع التشبيه في النصف الأول ، وتذيّل بالنصف الثاني .

وقول أبي بكر الدين :

وسعودهم ثنى الأعادى عنهم      إن السعود كقائب لا تُهزم

استوفى المعنى في الشطر الأول ، وتذيّل بالتشبيه في الشطر الآخر .



٢ - مع الإيغال كيقول امرئ القيس :

كأن عيون الوحش حول خيائنا وأرحلنا الجزع الذى لم يثقب  
فقد أتى على التشبيه كاملاً قبل القافية ؛ وذلك أن عيون الوحش شبيهة  
بالجزع بفتح الجيم وكسر ها ؛ وهو خرز يمانى صينى فيه سواد وبياض تشبه  
به الأعين .

ثم لما أتى بالقافية أو غل بها فى الوصف ، وجوّدده وأكده بقوله :  
لم يثقب ، وهى بالجزع الذى لم يثقب أدخل فى التشبيه ، لأن عيون الوحش  
غير مثقبة .

وقول زهير من معلقته :

كأن فُتات العهن فى كل منزل نزلان به حبّ الفنا لم يحطّم  
شبه العهن - وهو الصوف الأحمر - بحب الفنا ، وهو حب تنبته  
الأرض أحمر اللون فيه نقط سود ، ولسكنه إذا كسر ابيض لونه .  
فاستظهر فى القافية لما جاء بها بأن قال ؛ لم يحطّم ، فأكد التشبيه بإيغاله  
فى المعنى .

٣ - مع أسلوب الحكيم كيقول الأرجاني :

غالطتني إذ كست جسمي ضئى كسوة أعرت من اللحم العظاما  
ثم قالت أنت عندى فى الهوى مثل عيني ، صدقت لكن سقاما

وقول ابن حجلة المغربي :

(١) الإيغال أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه ، ثم يأتي المقطع فزيد معنى  
آخر يزيده وضوحاً وشرحاً وتوكيداً حسناً .  
(٢) أسلوب الحكيم : حمل لفظ فى كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه .



شكوت إلى الحبيبة سوء حظي وما ألقاه من ألم البعاد  
فقلت إن حظك مثل عيني فقلت نعم والسكن في السواد

٤ - مع الاستطراد كقول مسلم بن الوليد :

أجذك ما تدرين أن رب ليلة كأن دجاها من قرونك تُنشر<sup>(١)</sup>  
لهوت بها حتى تجلّت بغرة كغرة يحيى حين يذكر جعفر<sup>(٢)</sup>  
وقول إسحاق الموصلي في وصف الخمر<sup>(٣)</sup> :

وصافية تغشى العيون رقيقة سائلة عام في الدنان وعام  
أدرنا بها الكأس الروية موهنا من الليل حتى انجذب كل ظلام  
فما ذرّ قرن الشمس حتى حسبتنا من العي نحكى أحمد بن هشام  
وقد ذكروا : أن ابن هشام قال له : لم هجوتني مع الصداقه بيننا ؟

فقال : لأنك قعدت على طريق القافية !

وقول أبي بكر الخوارزمي :

ولقد بكيت عليك حتى قد بدا دمعى يحاكي لفظك المنظوما  
ولقد حزنت عليك حتى قد حكي قلبى فؤاد حسودك المحموما

ومن بديعه قول ابن رشيق لبعض الرؤساء :

إني لقيت مشقة فابعث إلى بشقة<sup>(٤)</sup>

(١) القرون : خصل الشعر .

(٢) يحيى بن خالد البرمكى وابنه جعفر .

(٣) هذه رواية البرد ، ونسبها بعضهم للصابي .

(٤) الشقة بالضم : واحدة الشق من الثياب .



كمثل وجهك حسنا ومثل ديني رقة<sup>(١)</sup>

وكان الرئيس ظريفا فقال له : أما مثل دينك رقة فلا يوجد بوزن أمثال  
رمل الرقة !

وقول أبي بكر بن النطّاح في مالك بن طوق التغلبي :

فنى شقيت أمواله بعفاته كما شقيت بكر بأرماع تغلب

والاستطراد هنا مليح جدا ، لأن مالك من بني تغلب أعداء بكر ، فصار  
الاستطراد زيادة في مدحه .

وقول أبي الطيب في هجاء كافور :

يموت به غيظا على الدهر أهله كما مات غيظا فانك وشيب<sup>(٢)</sup>

وهذا البيت ليس المقصد فيه مدحا ولا هجاء للرجلين ، ولكن التشبيه  
والحكاية لا غير<sup>(٣)</sup> .

ومن الاستطراد الجامع قول أبي محمد بن مكرم :

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة وبرد أغانيه وطول قرونيه

قلعت ، فنومي عن جفوني مشرد كعقل سليمان وخفة دينه

بذي أولق فيه اعوجاج كأنه أبو جابر في خطبه وجنونه<sup>(٤)</sup>

إلى أن بدا وجه الصباح كأنه سنا وجه قرواش ونور جبينه

(١) الرقة بالفتح : بلد على الفرات وأخرى غربي بغداد .

(٢) فانك : أمير مصري كان منافسا لكافور ، وشيب : أمير عربي ثار على كافور

فقتله بدمشق .

(٤) الأولق : الجنون .

(٣) الذخيرة — ٢ — ٣٩٠



فقد استطرد من تشبيهه ، وصَف به حاله إلى أربع تشبيهات هجا فيها ثلاثة ومدح واحدا .

ومن ذلك أن ابن جلنك الحلبي كتب رقعة إلى قاضي القضاة ابن الزملاكني يسأله فيها شيئا فوقَّع له برطلين خبز ، فتوجه ابن جلنك يوما إلى بستان يرتاض فيه ، فقبل له : إنه لقاضي القضاة ، فكتب على حائط البستان .

لله بستان حللنا دوحه في جنة قد فتحت أبوابها  
والبان تحسبه سناذيرا رأت قاضي القضاة فنقشت أذنانها

وفيه يقول الحموي : فاستطرد من وصف البستان ، وتشبيهه البان تشبيها مخترعا إلى هجو مرقص لقاضي القضاة عند سماعه ، وما شك أحد من أهل الأدب : أن التشبيه غريب في اختراعه .

وقيل : إن الشيخ بدر الدين بن مالك أملى على هذين البيتين كراسة في البديع<sup>(١)</sup> .

والعادة في الخروج من الاستطراد بطريق التشبيه ، أن تجعل أداة التشبيه مع المستطرد به في آخر الكلام<sup>(٢)</sup> .

٥ - مع المذهب الكلامي<sup>(٣)</sup> كقول النابغة يعتمر للنعمان بن المنذر عن مدحه آل جفنة الغسانيين :

ملوك وإخوان إذا ما أتيتهم أحكم في أموالهم وأقرب  
كفعلك في قوم أراك اصطنعتهم فلم ترهم في فعل ذلك أذنبوا

(١) خزانة الأدب . (٢) المصدر والرقم نفسه .

(٣) المذهب الكلامي : إيراد حجة للمطلوب على طريقة أهل الكلام ، وهو أن تكون المقدمات بعد تسليمها مستلزمة للمطلوب .



يريد : لا تلمنى ولا تعتب على أن مدحت آل غسان وقد أحسنوا إلىّ ،  
كما لا يصح أن يلام قوم مدحوك على إحسانك إليهم ، فكما أن مدح  
أولئك لك لا يعد ذنبا يؤاخذون به ، فكذلك مدحى لهم لا يعد ذنبا  
أحاسب عليه .

وهذه الحجة على صورة التمثيل الذى يسميه الفقهاء قياسا .

ويمكن رده إلى صورة قياس استثنائى ، بأن يقال : لو كان مدحى لآل  
جفنة ذنبا لكان مدح أولئك القوم لك أيضا ذنبا ، لكن اللازم باطل  
فكذلك الملزوم<sup>(١)</sup> .

وقول جابر الأندلسى :

لو قضى الله أن قلبى يبقى      ما حكى لحظه الغزال التفاتا  
لكن اللحظ قد حكاه فقلبي      قد قضى نخبه زمانا وماتا

وقول ابن مالك بن المرحل الأندلسى :

لو يكون الحب وصلا كله      لم تكن غاياته إلا الملل  
أو يكون الحب هجرا كله      لم تكن غاياته إلا الأجل  
إنما الوصل كمثل الماء لا      يستطاب الماء إلا بالغلل

البيتان الأولان : قياسان شرطيان .

والبيت الثالث — وفيه الشاهد — قياس فقهى ، فإنه قاس الوصل على  
الماء فكما أن الماء لا يستطاب إلا بعد العطش ، فالوصل مثله لا يستطاب  
إلا بعد حرارة الهجر .



وما أحسن قول بعضهم في هذا المعنى :

لولا اضطراد الصيد لم تلك لذة      فتطاردى لى فى الوصال قليلا  
هذا الشراب أخو الشباب وماله      من لذة حتى يصيب غلبلا

٦ - مع التناسب كقول البحترى فى وصف النوق :

يترقرن كالسراب وقد خُضن م      غمارا من السراب الجارى  
كالقسي المعطّفات بل الأسهم م      مبرية بل الأوتار

فإنه لما شبه الإبل الناحلة بالقسي وأراد أن يكرر التشبيه ، كان يمكن أن يشبها بالعراجين ، أو بنون الخط ، لأن المعنى واحد فى الانحناء والدقة ، ولكنه قصد المناسبة بين الأسهم والأوتار لما تقدم من ذكر القسي .

وقول السّلامى :

والنقع ثوب بالسيوف مطرز      والأرض فرش بالجياد مخمل  
وسطور خيلك إنما ألفاتها      سمر تنقّط بالدماء وتشكل  
ناسب بين الثوب والتطريز ، والفرش والخمل ، والسطور والألفات ، والنقط والشكل .

وقول بعضهم :

ومن عجب أن يحرسوك بخادم      وخُدام هذا الحسن من ذاك أكثر  
عذارك ريحان وثغرك جوهر      وخُدمك ياقوت وخالك عنبر  
ناسب بين العذار والثغر ، والخُدم والخال ، والريحان والجوهر ، والياقوت والعنبر لللاممة فى أسماء الخدم .

وقول السرى الرفاء :

وغيم مرهفات البرق فيه      عوار والرياض به كواس



وقد سلّت جيوش الفطر فيه      على شهر الصيام سيوف باس  
ولاح لنا الهلال كشط طوق      على لبّات زرقاء اللباس  
وقول ابن الفارض :

وقد سخّنت عيني عليها كأنها      بها لم تكن يوما من الدهر قرّت  
فإنسانها ميت ودمعي غسله      وأكفانه ما أبيض حزنا لفرقتي  
٧ - مع التقسيم كقول عمر بن أبي ربيعة :

وهبها كشيء لم يكن أو كنازح      به الدار أو من غيبته المقابر  
فلم يبق مما يعبر به عن إنسان مفقود      قسما إلا أتى به في هذا البيت .  
وقول العباس بن الأحنف :

وصالكم صرم وحبكم قلى      وعطفكم صد وسلمكم حرب  
وكان محمد بن موسى المنجم<sup>(١)</sup> يحب التقسيم في الشعر ، وكان معجبا بقول  
ابن الأحنف المتقدم ، وقد حكى عنه أنه قال : أحسنَ والله فيما قسم حين  
جعل لكل شيء ضده ، والله إن هذا التقسيم لأحسن من تقسيمات  
أوقليدس<sup>(٢)</sup> .

وقول ابن قلاقس يتغزل :

حملت من الأزهار أشباه الربا      فتساوت الأمثال والأشكال  
فالأس صدغ والآحاحى مبيم      والورد خد والبنفسج خال  
وقول الشهاب محمود :

وإني لفي نظري نحوها      وقد ودّعتني قبيل الفراق

(٢) أوقليدس بضم وزيادة واو كما في القاموس .

(١) المدة - ٢ - ٢٢



ولا صبر لي فأطيقَ الهوى      ولا طمع إن نأت في اللحاق  
ولا أمل يرتجى في الرجوع      ولا حكم في رد تلك النياق  
كمضني يودّع روحا غدت      يراها على رغمة في السياق<sup>(١)</sup>

٨ - مع التسميم<sup>(٢)</sup> كيقول جنوب في رثاء أخيها عمرو بن عاصم  
ذي الكلب<sup>(٣)</sup> :

وخرق تجاوزت مجهولة      بوجناء حرف تشكى الكلالا<sup>(٤)</sup>  
فسكنت النهار به شمسه      وكنت دجى الليل فيه الهلالا

لما ذكرت النهار جعلته شمسه ، ولما ذكرت الليل جعلته هلالا لمكان  
القافية ، ولو كانت القافية رائية مثلا لجعلته قمرًا .

وسر الصنعة في هذا الباب : أن يكون معنى البيت مقتفيا قافيته ، وشاهدا  
بها ودالاً عليها<sup>(٥)</sup> .

وترى ذلك واضحا فيما ذكره علي بن ظافر الأزدي ، قال : خرجنا للقاء  
القاضي الفاضل فرأيت في الموكب رجلا أسود اللون عليه جبة حمراء  
فأنسكرت ولم أعرفه ، ولقيت القاضي الأسعد أبا المكارم فقلت له : من هذا  
الأسود الذي كأنه فحمة في دم حجامه !  
فقال : كأنه ناظر طرف أرمم .

---

(١) السياق : الاحتضار .

(٢) التسميم ويسمى الإرساد أيضا : أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على  
العجز إذا عرف الروى .

(٣) انظر خبر قتله في زهر الآداب - ٣ - ٢١٢ .

(٤) الخرق : القفر والأرض الواسعة المجهولة تتفرق فيها الرياح .

(٥) العمدة - ٢ - ٢٦ .



فقلت له : يصلح أن يكون بعده :

أو مثل خال فوق خد أمرد .

وأن يكون قبله :

وأسود في ثوبه المورد .

ثم لقيت بعد ذلك ابن سناء الملك فأنشدته إياهما وكتمت الأول ،  
وقلت : قد صنعت لهما أولا ، فاصنع أنت أيضا ، وقصدت بذلك اختيار  
القافية وتمكنها إذ كل خاطر إنما يتبادر إليها .

فقال :

وأسود في ملبس مُورد .

فعجبت من توارد الخاطرين لما كانت القافية متمكنة غير مستدعاة  
ولا مجتلبة ، إلا أن قوله : في ملبس أحسن من قولي : في ثوبه<sup>(١)</sup> .

٩ - مع الاستخدام كقول ابن جابر الأندلسي :

في القلب من حيكم بدر أقام به      فالطرف يزداد نوراً حين يبصره  
تشابه العقد حسنا فوق لَبَّته      والشعر منه إذا ما لاح جوهره

١٠ - مع حسن التعليل كقول أبي تمام :

لا تنكرى عطل الكريم من الغنى      فالسيل حرب للمكان العالي  
وقول ابن جكين البغدادي :

ريشته الشهد والدليل على      ذلك نمل في خده صعدا<sup>(٢)</sup>

(١) بدائع البدائة - ١٠٩

(٢) النمل : كناية عن شعر العارضين أول خروجه .



وقول القاضي الفاضل :

لو لم يُعطَل خاطري عن سلوة      ما كان خدى بالمدامع حالى  
أودعته قلبى نفاقاً وديعتى      فسواده فى خـده كالحال

وقول ابن اللبانة :

زادوا جفاء فانتقصت مودة      ومن الزيادة موجب النقصان  
أنا مثل مرآة صَـقِيل صفحها      ألقى الوجوه بمثلها تلقانى<sup>(١)</sup>

وقول آخر :

انظر إلى الصبح المنير وقد بدا      يغشى الظلام بمائه المتدفق  
غرقت به زهر النجوم وإنما      سلم الهلال لأنه كالزورق

وقد أعجب عبد القاهر باجتماع التشبيه مع حسن التعليل ، فقال : ينبغي أن تعرف أن باب التشبيهات قد حظى من هذه الطريقة بضرب من السحر لا تأنى الصفة على غرابته ، ولا يبلغ البيان كنهه ما ناله من اللطف والظرف ، فإنه قد بلغ حدا يرد المعروف فى طباع الغزل ، ويلهى الشكلا ن ، وينفث فى عقد الوحشة ، وينشد ما ضل عنك من المسرة ، ويشهد للشعر بما يطيل لسانه فى الفخر ، ويبين جملة ما للبيان من القدرة والقدر<sup>(٢)</sup> .

١١ - مع تجاهل العارف كقول ابن هانىء الأندلسى فى المعز الفاطمى :

أبنى العوالى السمرية والموا      ضى المشرفية والعديد الأكثر  
من منكم الملك المطاع كأنه      تحت السوابغ تبَّع فى حمير

ويحكى : أنه لما أنشدهما ترجل العسكر كله ، ولم يبق راكب سوى المعز .

(١) الصفح : الجانب .

(٢) أسرار البلاغة - ٢٣١ :



فلا يعلم شعر كان جوابه نزول عسكر جرار غيره<sup>(١)</sup> .

ومما نسب إلى يزيد بن معاوية .

أليل دجا أم شعرك الفاحم الجعد      وبدر بدا أم وجهك القمر السعد  
ونرجسة هاتيك أم هي مقلة      وتفاحة ذاك المضرج أم خد  
وحقان من عاج لطيفين رُكَّبا      بصدرك أم ثديان هذان أم نهد

وقول ابن الفارض :

أوميض برق بالأبريق لاحا      أم في ربا نجد أرى مصباحا  
أم تلك ليلي العامرية أسفرت      ليلا فصيرت المساء صباحا  
وقول شاعر :

أجفون كحيلة أم رصفاح      وقدود مهتزة أم رماح

١٢ - مع التدييج<sup>(٢)</sup> كقول ابن الساعاتي :

من معشر ويجل قدر علانه      عن أن يقال لمثله من معشر  
بيض الوجوه كأن زرق رماحهم      سرّ يحلّ سواد قلب العسكر

وقول أبي بكر الخالدي :

ومدامة صفراء في قارورة      زرقاء تحملها يد بيضاء  
فالراح شمس والحباب كواكب      والكفّ قطب والإناء سماء

وقول بعضهم :

(١) خزانة الأدب للحموي - ١٥٤ معاهد التنصيص - ٢ - ٥٤  
(٢) التدييج : أن يذكر الشاعر أو الناثر معنى من المدح أو غيره ألوانا اقصد الكناية أو التورية .



الغصن فوق الماء تحت شقائق مثل الأمانة خضبت بدماء  
كالصعدة السمراء تحت الراية الحمراء م فوق الأمانة الخضراء  
١٣ - مع المقابلة كقول العباس بن الأحنف :

اليوم مثل الحول حتى أرى وجهك والساعة كالشهر  
وقول الحداد المصري :

أما ترى الغيث كلما ضحكت كأنم الزهر في الرياض يبكي  
كالحب يبكي لديه عاشقه وكلما فاض دمه ضحكا

١٤ - مع تأكيد المدح بما يشبه الذم وبالعكس كقول أبي القاسم الطبري :  
قضيبي ولكن مبسم النور ثغرها وبدر ولكن المحاق بنصرها<sup>(١)</sup>  
وقول آخر في وصف الخيل :

منها الدجوجي ومنها الأرمك<sup>(٢)</sup> كالليل إلا أنها تتحرك  
وقول آخر :

هو الكلب إلا أن فيه ملالة وسوء مراعاة وما ذاك في الكلب  
وقول آخر :

معشر أشبهو القروود ولكن خالفوها في خفة الأرواح

١٥ - مع صحة التفسير كقول العسكري :

كيف أسلو وأنت حقف وغصن وغزال لحظا وردفا وقدأ<sup>(٣)</sup>

(١) محاق الخصر : كناية عن دقته .

(٢) الأرمك : ما يخالط غبرته سواد .

(٣) أسلو : ألهو ، حقف : حلف ، غزال : غزال ، لحظا : لحظ ، وردفا : وردف .



وقول المتنبي :

فتى كالسحاب الجون يخشى ويرتجى      يرجى الحيا منها ونخشى الصواعق  
وقول بعض الشعراء :

شبه الغيث فيه والليث والبد      ر فسمح ومحرب وجميل

١٦ - مع الرجوع<sup>(١)</sup> كقول السراوندى :

كالبدر بل كالشمس بل ككليهما      كالليث بل كالغيث هطال الديم  
وقول ابن سناء الملك :

ومليّة بالحسن يسخر وجهها      بالبدر ، يهزأ ريقها بالقرقف<sup>(٢)</sup>  
لا أرتضى بالشمس تشبيها لها      والبدر ، بل لا أكتفى بالمسكتفى<sup>(٣)</sup>

وقد أخذه من قول ابن المعتز ولم يحسن الأخذ :

والله لا كلمته ولو أنه      كالشمس أو كالبدر أو كالمسكتفى  
قايست بين جم — اله — وفعاله      فإذا الملاحه بالخيانة لا تفي

١٧ - مع الإدماج كقول ابن قلافس :

كان دموعى إذ تبكأثر وقعها      تعدّ على الدنيا بهن المساويا  
فقد ضمن فى وصف كثرة دموعه شكايته من الدنيا .

وقول القاضى الفاضل :

وقد خفقت راياته فكأها      أنامل فى عمر العدو تحاسبه

(١) الرجوع . العود إلى كلام سابق بالمقضى والإبطال للنكته

(٢) القرقف كجمهر : الحمر يرعد منها صاحبها .

(٣) المسكتفى : أحد خلفاء بنى العباس وقد شهر بالجمال .



ومن الطريف قول الخيمي في سبحة :

وسبحة مسودة ، لونها يحكى سواد القلب والناظر  
كأننى وقت اشتغالى بها أعد أيامك يا هاجرى

ومما جاء في شعر المتنبي قوله في طول الليل :

أقلب فيه أجفانى كأنى أعد بها على الدهر الذنوبا

١٨— مع المزاوجة بين معنيين في الشرط والجزاء كقول البحترى :

لعمرك إنا والزمان كما جنت على الأضعف الموهون عادية الأقوى  
وقول زياد الأعجم :

وإنا وما تلقى لنا إن هجوتنا لكالبحر مهما يلق في البحر يفرق  
وقد أشاد عبد القاهر بهذا البيت ، لأن عمل الشاعر فيه أدق وطريقه  
أغمض ، ووجه المشابهة فيه أغرب<sup>(١)</sup> .

١٩ — مع الجناس كقول الصاحب في أخوين صبيح وقيح :

يحيى حكى المحنبا ولكن له أخ حكى وجه أبى يحيى<sup>(٢)</sup>

وقول ابن جزى الأندلسى :

أيا من كهفت النفس عنه تعففا وفى النفس من شوقى إليه لهيب  
ألا إنما صـبرى كصبر وإنما على النفس من تقوى الإله رقيب

ويصح بدل لهيب ، : غرام ، وبدل رقيب ، : لجام .

وهذا يسمى التخيير البديعى<sup>(٣)</sup> .

(٢) أبو يحيى : كنية ملك الموت .

(١) دلائل الإعجاز — ٧٢ .

(٣) نفح الطيب — ٣ — ١٧٢ .



٢٠ - أومع التورية كقول الصفدى :

ورب صديق غاظه حين جاده من القوم صفع دائم الهطل بالهطل<sup>(١)</sup>  
فقلت له تأبى المروءة أننا نخليك يابستان فينا بلا نخل  
والنخل يستعمله المولدون بمعنى الصفع .

وقول شيخ الشيوخ عبد العزيز الأنصارى :

قالوا أما فى جلّ ق زهه تنسيك من أنت به مغرى<sup>(٢)</sup>  
يا عاذلى دونك من لحظها سهمها ومن عارضها سطرًا  
والسهم والسطر من متزهات دمشق المشهورة .

وقول أبى الحسين الجزار :

أنت طوقتني صنيعة وأسمعتك م شكرا كلاهما ما يضيع  
فإذا ما شجاك شكرى فإنى أنا ذاك المطوق المسموع

وقول ابن الوردى :

يا شيخ خل التصابى فالزهد بالشيخ ألبق  
ولا تحث كميًا<sup>(٣)</sup> فإن فودك ألبق

٢١ - مع العكس ويسمى التبديل كقول بعض الشعراء :

أست ترى أطباق ورد وحوها من النرجس الغض الطرى قدود  
فقلت حدود ما عليهن أعين وتلك عيون ما لهن حدود

(١) جاده : أمطره .

(٢) جلق بكسر وتشديد اللام مع الفتح والكسر : دمشق .

(٣) الكمي : الخمر .



٢٢ - مع التفريق كقول بعضهم :

قاسوك بالغصن في التثني      قياس جهل بلا انتصاف  
ها ذاك غصن الخلاف يدعى      وأنت غصن بلا خلاف<sup>(١)</sup>

٢٣ - مع النزاهة - وهو الهجو بالفاظ منزهة عن الفحش - كقول أبي تمام :

بنى فعيـــــــــلة ما بالى وبالكُم      وفي البلاد مناديج ومضطرب  
لجاجة لي فيكم ليس يشبهها      إلا لجاجتكم في أنكم عرب

٢٤ - مع الاستدراك كقول القائل :

وإخوان تخذتهم دروعا      فكانوها ولكن للأعدا  
وخلتهم سها ما صائبات      فكانوها ولكن في فؤادي

وقد يجتمع التشبيه مع عدة بديعيات كقول أبي تمام :

مها الوحش إلا أن هاتا أوانس      قنا الخط إلا أن تلك ذوابل

في هذا البيت يقول ابن أبي الإصبع : إنه من أفضل بيوت المناسبة لما انضم إليه معها من المحاسن :

ففيه مناسبة تامة بين مها وقنا ، ومناسبة ناقصة بين الوحش والخط ، وأوانس وذوابل .

وتشبيه في مها وقنا ، وقد حذفت الأداة منه ليدل على قرب المشبه به .

والاستثناء في قوله : إلا أن هاتا أوانس ، وإلا أن تلك ذوابل ، ليثبت للموصوفات التأنيس ، وينفي عنهن النفار والتوحش في الأول ، وليثبت لهن اللين وينفي عنهن اليبس والصلابة في الثاني .



والمطابقة في الوحش وأوانس ، وهاتان التي للقريب وتلك التي للبعيد .  
والمساواة ؛ فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه .  
والإتلاف ، لكون ألفاظه من واد واحد ، متوسطة بين الغرابة  
والاستعمال ، وكل لفظة منها لا ثقة بمعناها لا يكاد يصلح في موضعها غيرها  
والتمكين ، لاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفارها عن محلها (١) .  
وفي أقوال ابن أبي الأصبع شيء من المبالغة ؛ فقد استحسن من  
أبي تمام الاستثناء في قوله : إلا أن تلك ذوابل ، معللا ذلك بإثبات اللين  
لهن ونفى اليبس والصلابة عنهن .  
وهذا يخالف قول الأمدى الذي يخطيء أبا تمام في هذا ؛ لأنه إنما قيل  
للقنا : ذوابل ، للينها وتثنيها .  
وأبو تمام نفى ذلك عن قدود النساء التي من أكمل صفاتها التثني واللين  
والانعطاف ، كما قال تميم بن أبي مقبل :  
يُزْنَ للمشي أوصالا منعمة      هزُ الجنوب ضحا عِيدان يبرينا  
أو كاهتزاز رديني تداوله      أيدى التجار فزادوا متنه لينا  
فشبهه تميم قدودهن بالرديني للينه وتثنيه لا غير ، وهذا أجود من كل  
ما قاله الناس في مشى النساء وحسن قدودهن (٢) .

---

(١) خزانة الأدب للحموى - ٢١٠ .

(٢) الموازنة - ١٤٠ .



## الفصل الرابع

### التشبيهات المبتكرة

من الأمور الشاقة المجهدة رسم طريق معبد لا ابتكار المعاني، ومرد ذلك إلى تعدد مناحي التفكير في الناس، وتباين أنظارهم إلى الأشياء، واختلاف طرائقهم في الاستنباط، وتفاوت عقولهم في القوة والضعف، والنفوذ والكلال.

وكل ما استطاع أن يقال في هذا المقام: أن الزود من مختلف الثقافات والارتشاف من مناهل العلوم والمعارف وبخاصة الفلسفات، والانتفاع بكل جديد تبذره المدنية والحضارة، وإنعام النظر وإعمال الفكر في ملكوت السموات والأرض وما تستجليه حواسنا، واستخلاص العبر من الحوادث والخطوب والمثلثات، كل أولئك من شأنه أن يوسع أفق الأدب ويخصب قريحته، ويشقق معلوماته ويفتح خياله ويعمق تفكيره، ويمهد سبيله إلى اقتناص الشوارد وتقييد الأوابد، أما ما عدا ذلك فمن المتعذر ضبطه وتحديد.

وقد فطن إلى ذلك ابن الأثير فقرر: أن المعاني المخترعة لم يتكلم فيها أحد بالإشارة إلى طريق يسلك فيها، لأن ذلك بما لا يمكن، ومن هنا أضرب علماء البيان عنه ولم يتكلموا فيه كما تكلموا في غيره.

وكيف تتقيد المعاني المخترعة بقيد، أو يفتح لها طريق يسلك، وهي تأتي من فيض إلهي بغير تعليم، ولهذا اختص بها بعض النثرين والناظمين دون



بعض ، والذي يختص بها بكون فذا يوجد في الزمن المتطاوّل (١) .

ثم يرسم ابن الأثير طريقا يظنه موصلا جيدا لاقتناص المعاني - وهو ليس بموصل على الحقيقة - إذا لم يوجد الطبع السليم والوحى المشع ، والإلهام الفياض .

قال : سأقول لك في هذا الموضع قولاً لم يقله أحد غيري ، وهو أن المعاني المبتدعة شبيهة بمسائل الحساب المجهول من الجبر والمقابلة ، فكما أنك إذا وردت عليك مسألة من المجهولات تأخذها وتقلبها ظهرا لبطن ، وتنظر إلى أوائلها وأواخرها ، وتعتبر أطرافها وأوساطها ، وعند ذلك تخرج بك الفكرة إلى معلوم ، فكذلك إذا ورد عليك معنى من المعاني ينبغي لك أن تنظر فيه كنظرك في المجهولات الحسابية ، إلا أن هذا لا يقع في كل معنى فإن أكثر المعاني قد طرق وسبق إليه ، والإبداع إنما يقع في معنى غريب لم يطرق ، ولا يكون ذلك إلا أمراً غريباً لم يأت مثله ؛ وحينئذ إذا كتب فيه كتاب أو نظم شعر ، فإن الكاتب والشاعر يعثر على مظنة الإبداع (٢) .

وفي كلام ابن الأثير كثير من الحق ، ولكن لا نقره على أن أكثر المعاني قد طرق وسبق إليه ، فالمعاني حقل خصب بكر مترامي الأطراف لا نهاية لمدرده ، ولم تأخذ العقول منه إلا كما اغترف الظام جرعة بيده من نبع ثرار! والمعاني أكثر من الألفاظ وأوسع رقعة وأعمق لجة ولا تزال متجددة على تراخي المدة وتعاقب الأيام بما تمدنا به الفتوح العلمية والعقلية من أمداد متصلة زاخرة لا تنفد على إنفاق ، وإنما خيل لابن الأثير أن المعاني قد طرقت أو استنفدت لأن شعراء العصور الخالية قد سجنوا أنفسهم في

(١) المثل الدائر - ١٣٧

(٢) المصدر نفسه - ١٣١ - ١٣٢



نطاق ضيق محصور من الموضوعات يعيدون فيها ويبدون ، فحجروا ما وسَّعه  
الله عليهم فالذنب ليس للمعاني ولكن لهم !

وقد عرَّف ابن رشيق الابتكار بأنه : ما لم يسبق إليه ، ولا عمل أحد  
من الشعراء قبـله نظيره أو ما يقرب منه ، ومثَّل له بأبيات منها قول  
امرئ القيس :

سموت إليها بعد ما نام أهلها      سُمُو حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ  
فإنه أول من طرق هذا المعنى وابتكره وسلم الشعراء إليه ، فلم ينزعه  
أحد إياه <sup>(١)</sup> .

ثم هو يتفق مع أرسطو في أن وصف الأشياء المادية كما هي في الواقع  
لا فنية فيه ولا ابتكار ، كما أنه ليست هناك فنية في الأشياء الموجودة  
بالضرورة ولا اللازمة لزوماً عقلياً ، ولا في المسائل الرياضية والعلمية إذا  
عرضت بطبيعتها مجردة عن الإضافات التي نريدها عليها <sup>(٢)</sup> .

أما ابن الأثير فيرى أن المعاني على ضربين <sup>(٣)</sup> :

١ - أحدهما يبتدعه مؤلف الكلام من غير أن يقتدى فيه بمن سبقه ،  
وهذا الضرب ربما يعثر عليه عند الحوادث المتجددة ، ويبين له عند الأمور  
الطارئة كقول أبي تمام في وصف المصلوبين :

بَكَّرُوا وَأَسْرَوْا فِي مَتُونِ ضَوَامِرٍ      قِيدَتْ لَهُمْ مِنْ مَرْبِطِ النَّجَارِ  
لَا يَبْرَحُونَ وَمَنْ رَأَاهُمْ خَالَهُمْ      أَبْدَأَ عَلَى سَفَرٍ مِنَ الْأَسْفَارِ

والخاطر في هذا المقام ينساق إلى المعنى المخترع من غير كلفة لشاهد  
الحال الحاضرة ، وجملة الأمر أن الشاعر والكاتب ينظر إلى الحال الحاضرة



ثم يستنبط لها ما يناسبها من المعاني ، وقد يستخرج من المعنى غير المبتدع معنى مبتدعا .

فمن ذلك قول ابن السراج في الفهد .

تنافس الليل فيه والنهار معا فقمصاه بجلباب من المقل

وليس هذا من المعاني الغريبة ، ولكنه تشبيه حسن واقع موقعه .

وقد جاء بعده شاعر من أهل الموصل يقال له ابن مسهر فاستخرج من هذا البيت معنى غريبا فقال :

ونقطته رجاء كي يسألها على المنايا نعاج الرمل بالحدق

والمعاني التي تستخرج من غير شاهد حال متصورة ، أصعب منالاما لا يستخرج بشاهد الحال ، ولا مر ما كان لا بكارها مر لا يهجم على مكانه إلا جنان الشهم ، ولا يفوز بمحاسنه إلا من دق فهمه حتى جل عن دقة الفهم .

والضرب الثاني من المعاني : هو الذي يحتذى فيه على مثال سابق ومنهج مطرود ؛ وذلك جل ما يستعمله أرباب هذه الصناعة ، ولذلك قال عنتره :  
هل غادر الشعراء من مترد

ولكن لا ينبغي أن يرسخ هذا القول في الأذهان لئلا يقنط من الترقى إلى درجة الاختراع ، بل يعول على القول المطمع في ذلك وهو قول أبي تمام :

لا زلت من شكرى في حلة لا بسها ذو سلب فاخر (١)  
يقول من تفرع أسماعه كم ترك الأول للآخر

---

(١) السلب بالفتح : ما يسلب ، يريد به الثياب .



وعلى الحقيقة فإن في زوايا الأفكار خبايا ، وفي أبكار الخواطر مسبايا ،  
لكن قد تقاصرت الهمم ونكصت العزائم ، وصار قصارى الآخر أن  
يتبع الأول وليته تبعه ولم يقصر عنه .

ومهما يكن فليس الشاعر هو الناظر للصور المرئية ، إنما الشاعر المبتكر  
هو الذى يرى الصورة غير المرئية ، بل هو الذى يبتكر الصور ، والابتكار  
لا يستمد عناصره من المنظور فقط ، بل من المتصور والمفروض أيضاً .

إن النظرة الداخلية هى التى يعتمد عليها الشاعر ، وفيها مزيج معقد  
مخلوط من مناظر مرئية وغير مرئية ، شعورية وغير شعورية ، وفيها خطوط  
وألوان وأصوات من كل ما تقذف به العاطفة ، ومن كل ما ينبع من النفس  
من فكر وعلم وحكمة وخيال<sup>(١)</sup> .

وعلى كل فنحن لا نريد من الابتكار أن يأتى المنشئ بشئ جديد من  
عدم محض ؛ فهذا فوق الطاقة البشرية ، والتكليف به تكليف بالمحال كما هو  
ضد النواميس الكونية .

ولنا فى ذلك أسوة بأمناء الطبيعة نفسها ؛ فهذه الكائنات علوية وسفلية  
— على ضخامتها وعظمتها وتباين مظاهرها وتنوع خصائصها — تتألف من  
عناصر محدودة لا تتجاوز المائة .

ثم هى — مع ذلك — تروعا بما بينها من فروق شاسعة لا تؤذن فى  
الظاهر بتعاطف ولا تشعير بصلة ، مع أنك لو حللتها لعجبت من تقاربها  
فى التركيب ، ومن سريان الوحدة الشاملة فيها ، وأن هذا التباين القليل فى  
عناصرها قد أدى إلى هذه السمات المتنوعة المتغايرة .

---

(١) تيارات أدبية بين الشرق والغرب — ٢٥٦



فمن لا نخلق شيئاً من العدم ، والمؤلفات التي تصدر عن العدم قد تسلينا ساعة من الزمن ، ولكنها تفتقر إلى المادة افتقاراً مسرفاً ولهذا ترتد إلى العدم <sup>(١)</sup> .

وإذن فليس معنى الابتكار أن نخلق شيئاً من لا شيء ، ولكن معناه أن نؤلف صوراً جديدة لأشياء أخذنا عناصرها الأولية من صور ذهنية سابقة مرت بنا في حياتنا ، ودخلت في حوزة تجاربنا .

ومن الضروري — كما يقول شارل بلوندل — : أن يستعبر كل مخترع المواد الأولية لاختراعه من بيئته <sup>(٢)</sup> . وبقدر ما اختزنه الإنسان في خاطره من هذه الصور المختلفة يكون حظه من كثرة الابتكار وقدرته عليه وافتنانه فيه .

فالغنى بهذه الصور كالمثرى من المال ، كلاهما ييسر له الإنفاق كما يشاء وكيف شاء بلا جهد ولا عناء .

وعكس ذلك خاوى الوفاض منها ، فإنه لا يتأتى له أن يبسط خياله أو يبسط يده لعسرتة التي تُثقله بالأصفاد في شئون الفكر وشئون الحياة . وبذلك يمكننا أن نقول : إن أكثر الناس ابتكاراً هم الذين تشبعوا بخبرات كثيرة عن طريق التقليد ، فأكثر الكتاب والأدباء والباحثين قد ابتكروا على أساس خبرتهم وتقليدهم لمن سبقهم <sup>(٣)</sup> .

فمثلاً يقول عدى بن الرِّقاع في زواج عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك ابن مروان ، وأم حكيم بنت بجي بن الحكم الأموية :

قمر السماء وشمسها اجتمعا بالسعد ما غابا وما طلعا

---

(١) دفاع عن الأدب — ١٢٩ (٢) مقدمة علم النفس الاجتماعي — ١٠٤

(٣) علم النفس التعليمي — ٧٨



ما وارت الأسـتار مثلـهما      فيمن رأى منهم ومن سمعا  
دام السرور له بها ولها      وتهنأ طول الحياة معا  
فكان أول من شبه الزوجين بالشمس والقمر ، ومنه أخذ الشعراء  
هذا التشبيه وأكثروا<sup>(١)</sup> .

والشمس والقمر ليسا بالجديدين على العيون والخواطر ، فهما يطالعان  
الناس كل يوم وصورتاهما مقررتان في النفوس .

ولكن هذا الشاعر أتيج له أن يسبق الشعراء إلى عقد صلة بين  
العروسين وبين القمرين ، فالحدة هنا ليست في الأجزاء الأولية لأنها معروفة  
ولكن في الصورة التركيبية .

فلا ابتكار - كما يقرره أرسطو - : إضافي ، لمحة الأديب في ذاتية من  
الذاتيات أو في عرضية من العرضيات فألح عليه وأبرزه ، فهو من عمل  
الشاعرية إن لم يكن هو الشاعرية نفسها ، ولا يقدح في شاعرية الابتكار  
أن يكون مصدر الابتكار نفسه فكربا أو عقليا ، فالذي يقلب الفكرة  
- فيجعل البخيل كريما إذا مدح ، والكريم بخيلا إذا هجا - مبتكر أضاف  
جديداً إلى الفكرة ، أو فهم في الفكرة غير ما يفهمه الناس ، والذي يقلب  
الحكم العقلي إلى حكم عاطفي : مبتكر لأنه أضفى على الحكم المقرر شيئا جديداً  
لم يتنبه له سائر الناس<sup>(١)</sup> .

والفنان يستطيع أن يبتكر جمالا من شيء لا جمال فيه ، وأن يضفي  
جمالا على شيء ليس جميلا في ذاته وليس موضعاً للجمال<sup>(٢)</sup> .

ويقول بشار في تحريك النسيم للباب .

طرقني صباً فحركت البـ      ب هـدواً فارتعت منه ارتيابا

(١) ثمار القلوب - ٢٣٩

(٢) بلاغة أرسطو - ٣٧ - ٤١



فكأنى سمعت حس حبيب      نقر الباب نقرة ثم هابا  
وقل من الناس من لم يحدث له ذلك ، ولكن بشاراً وحده هو الذى  
سجل هذا المعنى فى هذا التشبيه العجيب .

ويذكر الأصولى بمناسبة ذلك : أن المكتنى بالله كان نائماً فسمع دق باب  
فانتبه له مرتاعاً ثم سكن قليلاً ، ثم عاد فنظر فإذا الريح تحرك الباب حركة  
كأنها دق بيدها

قال : فقلت له : قد ذكر الشاعر ذلك ، وأنشدت البيتين السابقين .  
فقال المكتنى : ما كنت أظن أنه قيل فى هذا شيء ، وما أقل ما يجرى  
عما لم يذكره الناس<sup>(١)</sup> .

ويقول صرّ درّ :

إنما المرء فوقها هو لفظ      فإذا صار تحتها فهو معنى  
واللفظ والمعنى معروفاً ، ولكن الجديد تصوير الإنسان الحى فوق  
الأرض - يضطرب فوقها ويسمى - باللفظ ؛ لأن اللفظ كائن حى مشخص  
يجرى على اللسان ويلتقطه السمع .

وكذلك تصويره تحتها فانيا : بالمعنى ؛ لأن المعنى لا يرى ولا يتمثل فى  
غير اللفظ الذى هو كالجسد له .

وقد وفق كل التوفيق فى هذا التشبيه كما وفق فى تصويره للعلاقة بين  
اللفظ والمعنى ؛ فإنك لو جردت الشاعر من أبحره وألفاظه وقوافيه -  
كما يقول كروتشة - لما بقى هنالك فكرة شعرية كما يخيل إلى بعضهم ، بل لما  
بقى شيء ألبته<sup>(٢)</sup> .



وهو كقول جاريت : إن الفكرة جنين حتى تصاغ في الكلمات <sup>(١)</sup> .  
فنحن حقا في حال الحياة ألفاظ منظوقة ، وفي حال الفناء معان مجردة .  
وهكذا يقال في جميع الصور البيانية التي نعجب بها ونهتز لها ، ونحكم  
لقائلها بالسبق والتفرد ؛ فلسنا نظرب لهذه الجزئيات التي تألفت منها هذه  
الأشكال الكلية ، فهي بين أيدينا وعلى مرأى ومسمع منا في كل موقف ،  
ولكن الذي يوقننا ويدهشنا ويسحر عيوننا وألبابنا هذه الصور في إطارها  
النهائي : كيف أمكن تأليفها على هذا المثال العجيب الغريب من جزئيات  
معروفة مألوفة حتى لكأنه لا صلة بين رأيتنا لها جملة ورؤيتنا لها تفاريقا  
ومع هذا فحذار أن تظن أن ابتكار الأشياء على هذا النحو شيء مذل ،  
سهل المقادة لكل شاعر أو أديب ، فالحق أنه شيء عسير جدا صعب جدا ؛  
لأنه فن من الخلق ، والخلق من صفات الخالق — له المثل الأعلى — فهو  
يحتاج إلى دقة ملاحظة وشمول نظر وتغلغل في قرارة الأشياء ، وذوق  
مرهف في تخير الأصباغ ، وإحكام مزجها ووضعها بإزاء بعض حتى لا تنبو  
عنها النفس وتفتحها العين .

إن الاختراع هبة علوية لا تتاح لكل إنسان ، إنها ملكة هي بلا ريب  
أشد الملكات جموحا ، فالإنسان يستطيع أن يمرن على الصبر والشجاعة  
والقدرة ، بل على دقة الإحساس ذاتها ؛ ولكنه لا يستطيع أن يثير وأن  
يقهر القدرة على الاختراع <sup>(٢)</sup> .

ثم لا نفس حاجتنا معها إلى بيان ناصع يترجم ما استمكن في أعماق  
السرائر ، ويجسد هذه المعاني المجردة ويهب لها الحياة وينفخ فيها الروح ،  
ويسكبها في الآذان نغما خلوا ولحنا عذبا مسكرا .



لقد كان سقراط يعزو قوة الابتكار الأدبي إلى ما سماه طبيعة خاصة ،  
وهي التي وصفها بأنها قادرة على أن تتحمس وهذا صحيح ، ولكن هذه  
الحماسة لا غناء فيها إذا لم تكن هنالك قوة تعبر عنها تعبيراً لفظياً مفهوماً<sup>(١)</sup> ،  
ولنفاسة هذه الهبة وندرتها واختصاص قليل من الناس بها ، كان  
المخترعون أفراداً يحصون عدا .

ومؤرخو الأدب يذكرون في هذا الشأن بشارا وأبانواس ، وعندهم أن  
أكثر المحدثين معاني وتوليدا أبو تمام .

على أن أبا القاسم بن مهرويه يزعم : أن جميع ما لأبي تمام من المعاني  
المخترعة ثلاثة .

ويقول ابن الأثير : قد قيل : إن أبا تمام أكثر الشعراء المتأخرين  
ابتداعاً للمعاني ، وقد عدت معانيه المبتدعة فوجدت ما يزيد على عشرين  
معنى ، وأهل هذه الصناعة يكثررون في ذلك وما مثل هذا من قبل أبي تمام  
بكثير ، فإني عدت المعاني التي وردت في مكاتباتي فوجدتها أكثر من هذه  
العدة ، وهي مما لا أنازع فيه ولا أدافع عنه<sup>(٢)</sup> .

ويرى ابن رشيق : أن أكثر الشعراء اختراعاً ابن الرومي<sup>(٣)</sup> .  
صور للتشبيهات المبتكرة .

والتشبيهات المبتكرة كثيرة في الشعر ، وقد تتبعناها في مواطنها المختلفة  
وأتيننا على صدر صالح منها وتركنا ما سنخف نسجه أو استغلق معناه .

فمن ذلك قول بعض ملوك اليمن :

منع البقاءَ تقلُّبُ الشمسِ وطلوعها من حيث لا تُنسى

---

(١) قواعد النقد الأدبي — ٣٨ (٢) المثل السائر — ١٢٧ — ١٢٨

(٣) العمدة — ٢ — ١٨٩ — ١٩٠



تجـرى على كـيد السماء كما يجـرى رحـام الموت فى النفس  
أخذه مسلم بن الوليد فقال :  
تجـرى محبـتها فى قلب عاشقها جـرى المعافاة فى أعضاء منتكس  
وفى رواية :

جـرى السلامة . . .

وأحسن اتباعه أبو نواس فقال فى الخمر :  
فتمشّت فى مفاصـلهم كتمشّى البرء فى السقم

\*\*\*

وقول امرئ القيس :

كان المدام و صوب الغمام وريح الخزامى و بشر القطر<sup>(١)</sup>  
يعلّ به برد أنيابها إذا غرّد الطائر الأسـتـحـر<sup>(٢)</sup>

وفى رواية : ونشر العطر ، ولعله تحريف .

\*\*\*

وقوله يصف الناقة :

كان الحصى من خلفها وأمامها إذا نجلته رجلها حذف أعـسـرا<sup>(٣)</sup>  
شبه رمى خلفها للحصى برى الأعسر ؛ لأن رمية يقع فى جهات متفرقة .

أخذه الشماخ فقال :

لها منسم مثل المحارة خفة كأن الحصى من خلفه حذف أعـسـرا

---

(١) الفطر بضم فسكون : أعود الذى يتبخـر به .

(٢) المستحـر : المصوت فى السحر .

(٣) الحـذف : الرمي ، والأعسر : من يعمل يده الشمال .



وقوله فيها أيضا :

وعَنَس كألواح الإران نساتها على لاحب كالبرد ذى الحبرات<sup>(١)</sup>

شبه الناقة في عظمها بالتابوت الضخم ، وقد حثها على السير بعصاه على طريق واضح كالبرد اليمنى المنقوش .

أخذه طريقة فقال :

أمون كألواح الإران نساتها على لاحب كأنه ظهر برُجد<sup>(٢)</sup>

\* \* \*

وقوله - يصف الثغر - :

منايته مثل السُدوس ولونه كشوك السَّيَال وهو عذب يفيض

شبه لثاتها بالسُدوس - وهو النيلج - في سوادها ؛ لأنهم كانوا يذرون عليها الإثمد ، وشبه الأسنان نفسها في بياضها بالسُدوس - وهو شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه اللبن - .

\* \* \*

وقوله - يصف جرى الفرس - :

إذا ماجرى شأوين وابتل عطفه تقول هزى الريح مرت بأثاب

بالغ في وصفه وجعله على هذه الصفة بعد أن يجرى شأوين ويبتل عطفه بالعرق ، ثم زاد إيغالا في صفته بذكر الأثاب وهو شجر للريح في أضعاف أغصانه حفيف عظيم وشدة صوت .

---

(١) العَنَس: الناقة الصلبة ، والإران : التابوت العظيم ، والمنسأة : العصا ، واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) الأمون : الناقة التي يؤمن عمارها ، والبرجد : كساء مخطط .



وقوله في الفرس أيضا :

كان دماء الهاديات بنحمره عصارة حناء بشيب مُرجَل

يقول : كان دماء الهاديات - وهي أوائل الوحش والصيد - على نحر هذا الفرس ، عصارة حناء خضب بها شيب مسرّح .

شبه الدم الجامد على نحره من دماء الصيد ، بما جفّ من عصارة الحناء على شعر الأشيب ، وأتى بالمرجل للقافية .

\* \* \*

وقوله - يشبه فرند السيف بمدب النمل - :

متوسد عضباً مضاربه في متنه كدبة النمل

يدعى صقيلا وهو ليس له عهد بتمويه ولا صقل

\* \* \*

وقوله - يصف العقاب - :

كان قلوب الطير رطباً ويابساً لدى وكرها العناب والحشف البالى

وامرؤ القيس<sup>(١)</sup> : هو أول من شبه النساء بالظباء والمها والبيض .

وشبه الخيل بالعقبان والعصى وتيس الحُمْلَب<sup>(٢)</sup> .

وشبهها بالظباء والسرّحان والنعامة<sup>(٣)</sup> .

وشبه الحمار بمقلى الوليد<sup>(٤)</sup> ، وكر الأندري<sup>(٥)</sup>

وشبه الطلل بوحى الزبور فى العسيب<sup>(٦)</sup> .

(١) الشعر والشعراء - ٥٥ . (٢) الحلب كسكر : نبات .

(٣) العقد الفريد - ١ - ٨٣ . (٤) المقلى والمقلاة : عود يلمع به الصبيان .

(٥) الأندري : الحبل الفايط .

(٦) الوحى : الكتابة ، والعسيب : جريد النخل المستقيم المكشوط الخوص .



ويقول عنه ابن رشيقي : له اختراعات كثيرة يضيق عنها هذا الموضع ،  
وهو أول الناس اختراعا في الشعر وأكثرهم توليدا<sup>(١)</sup>.

\* \* \*

ولزهير في البشر عند السؤال :

تراه إذا ما جئته متهللا كأنك تعطيه الذي أنت سائله  
ويقول العسكري : ولو قال : مكان ، إذا ما جئته ، : إذا ما سألته  
لكاد أجود .

ويعيبه بعضهم بأن تصوير الممدوح بأنه يفرح لو أعطى ما أعطاه للسائل  
فيه زراية على قدره وحطة له .

\* \* \*

ولبعض شعراء كندة في مدح عمر بن هند :  
هو الشمس وافت يوم سعد فأفضلت على كل ضوء والملوك كواكب

\* \* \*

ولعمرو بن كلثوم في وصف الثدي من معلقته :  
وثديا مثل حُق العاج رخصا حصانا من أكف اللامسينا  
ويقولون : إنه أول من وصف الثدي بحق العاج<sup>(٢)</sup> .  
وقد تشكك داود الإنطاكي في ذلك فذكر : أن ما قيل : من أن أول  
من وصف الثدي عمرو بن كلثوم ، أمر يحتاج إلى مزيد استقصاء وإحاطة ؛  
لأن العرب تغزلت كثيرا غاية الأمر أن المتأخرين أطف<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

---

(١) العمدة - ١ - ١٧٥ .

(٢) دولة النساء للبرقي - ١٥٥ . (٣) تزيين الأسواق - ٢٨٨ .



وقول أعرابي في امرأة :

قامت تصدّي له عمدا لنقتله      فلم ير الناس وجدا مثلها وجدا  
بحيـد آدم لم تعقد قلائده      وناهد مثل قلب الظبي ما نهـدا  
فظل كالحائم الهيمان ليس له      صبر ولا يأمن الأعداء إن وردا  
شبه ثديها في نهوده بقلب الآدم - وهو الظبي المشرب لونه بياضا -  
في صلابته .

ويقول ابن قتيبة الدينوري : ولا نعلم أحدا شبه الثدي بقلب الظبي غيره <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وللنايعة الديباني يعتذر للنعمان بن المنذر :

فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المنتأى عنك واسع  
وتبعه في ذلك شعراء كثيرون .

\* \* \*

وللأعشى :

كان نعام الدو باض عليهم      إذا ريع يوما للصربخ المندد <sup>(٢)</sup>  
أخذه زيد الخيل فقال :

كان نعام الدو باض عليهم      وأعينهم تحت الحديد خوازر <sup>(٣)</sup>

\* \* \*

ولعنتره في الفرس :

نهد القطاة كأنها من صخرة      ملساء يغشاها المسيل بمحفل  
شبه القطاة - وهي كف الدابة ومقعد الرديف منها - في نهودها

(١) عيون الأخبار - ٢ - ١٨٨ .

(٢) الدو : الفلاة ، والصربخ : المغيث والمستغيث أيضا ، والمندد بالفتح : المتفرق ،  
وبالكسر : المصح بالعبوب . (٣) الحزر بالفتح : كسر العين أو ضيقها أو صغرها .  
(م ٧ - فن التشبيه)



وبروزها ، بالصخرة الملساء يغشاها السيل الجارف .

\*\*\*

ولعدى بن زيد العبادى :

لو بغير الماء خلقى شرق كنت كالغصان بالماء اعتصارى<sup>(١)</sup>  
قال ابن عبد ربه : وهو أول من سبق إلى هذا المعنى<sup>(٢)</sup> .  
أخذه العباس بن الأحنف فقال :

قلبي إلى ما ضرني داعى يكثر من همى وأوجاعى  
كيف احتراسى من عدوى إذا كان عدوى بين أضلاعى  
وقال آخر :

كنت من كربتى أفرّ إليهم وهم كربتى فأين الفرار  
وقال آخر :

إلى الماء يسعى من يغص بريقه فقل أين يسعى من يغص بماء

\*\*\*

وللبيد :

من المسبلين الرّيط لذّ كأنما تشرب ضاحى جلده لون مذهب<sup>(٣)</sup>  
أخذه الأخطل فقال :

لذّ تقبله النعيم كأنما مسحت ترائبه بماء مذهب

\*\*\*

وللبيد أيضاً يذكر قوما ماتوا :

(١) الاعتصار : شرب الماء قليلا قليلا لازالة الغصة .

(٢) العقد الفريد — ١ — ١٨ (٣) الريط : الأثواب اللينة الرقيقة .



وإنا وإخواننا لنا قد تتابعوا لِكَلْمَغْتَدَى والرائح المتهجر<sup>(١)</sup>  
أخذه بعض المحدثين فقال :

سبقونا إلى الرحيل م وإنا على الأثر

\*\*\*

وله في تشبيه الأباريق بالبط :

تضمن بيضاً كالأوز ظروفها إذا أنا قرأ أعناقها والحواصل<sup>(٢)</sup>  
أخذه شبرمة الضبي فقال :

كأن أباريق الشمول عشية أوز بأعلى الطف عوج الحاجر<sup>(٣)</sup>  
وأخذه أيضاً أبو الهندي فقال :

سُغْنَى أبا الهندي عن وطب سالم أباريق لم يعلق بها وضر الزبد<sup>(٤)</sup>  
مُفَدِّمَةٌ قَرَا كَانَ رِقَابُهَا رِقَاب بنات الماء تفزع للرعْد<sup>(٥)</sup>

\*\*\*

ولطرفة بن العبد اختراعات كثيرة في معلقته منها قوله في الموت :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى لكطول المرخى ونُذْيَاه باليد  
ومنها قوله في السفينة :

يشق حجاب الماء حيزومها بها كما قسم الترب المفايل باليد<sup>(٦)</sup>

(١) المتهجر : السائر في الهجرة . (٢) أناق السقاء : ملاه .

(٣) الطف بالفتح : موضع قرب الكوفة ، والجانب والشط .

(٤) الوطب : سقاء المين . (٥) المقدمة : التي عليها المصافي ، وبنات الماء : كل طائر يألف الماء .

(٦) المفايل : هو الذي يجمع التراب فيدفن فيه شيئاً ، ثم يقسمه قسمين ويسأل عن الدفين في أيهما هو ، فمن أصاب كسب ومن أخطأ خسر .



أخذه لبيد فقال :

تشق خمائل الدهن يداه      كما لعب المقامر بالفِـيال

وأخذه الطرماح فقال :

وغدا تشق يداه أوساط الربا      قسم الفِـيال تشق أوسطه اليد

\*\*\*

وللنايضة الجعدى فى وصف الفرس :

كأن تماثيل أرساغه      رقاب وعول على مشرب

شبه أرساغه — وهى سيقانه وأقدامه — فى غلظها وانحنائها وعدم  
الانتصاب فيها ، برقاب وعول قد مدتها لتشرب الماء .

وهو من بدائع التشبيه ، لأنه يستحب أن تكون أرساغ الفرس  
غلاظاً يابسة .

\*\*\*

وله فى صفة القوس :

كأن مقطّ شراسيفه      إلى طرف القنب فالْمَقْنَب<sup>(١)</sup>

لُطْمَن بترس شديد الصّقا      ل من خشب الجوز لم يُثَقَب

أخذه ابن مقبل فقال :

كأنما بين جنبيه ومنقبه      من جوزه ومناطق القنب ملطوم

بترس أعجم لم تنخر مناقبه      مما تخير فى أطامها الروم

\*\*\*

---

(١) الشراسيف : ما أشرف على البطن من الأضلاع ، والقنب بالضم : جراب قضيب

الدابة ، والمقنب : سرة الدابة .



وللنمر بن تواب في إعراض المرأة :

فصدت كأن الشمس تحت قناعها      بدا حاجب منها وضئت بحاجب  
أخذه أبو نواس فقال :

يا قرا للنصف من شهره      أبدى ضياء ثمان بقين  
يريد : أنه أعرض عنه بوجهه فرأى نصفه فقط ، وهو المقدر بضياء ثمان ليال .

\*\*\*

وله أيضاً :

فإن تك أثوابي تمزقن عن بلى      فإني كمثل السيف في خلق الغمد  
أخذه أبو هفان وزاد في معناه فقال :

لعمري لئن بيعت في دار غربة      ثيابي إذ ضاقت على المآكل  
فإن كمثل السيف يأكل غمده      له حلية من نفسه وهو عاطل

\*\*\*

ولجحد العكلى يصف امرأة :

على قدم مكنونة اللون رخصة      وكعب كذفرى جوذر الرمل أدرما  
شبه كعبها الأدرم - وهو المستوى - بذفرى الجوذر - وهو العظم  
الشاخص خلف أذنه - .

\*\*\*

وللشماخ :

تخامص عن برد الوشاح إذا مشت      تخامص حافي الرجل في الأمعز الوجي (١)  
وتركيب البيت : تخامص حافي الرجل الوجي في الأمعز .  
أخذه ذو الرمة فقال يصف الإبل :

(١) التخامص : التجافي ، والأمعز : المكان الصاب ، والوجي : الذي رفق قدمه من المشي .



تشكو الوجى وتجافى عن سفائفها تجافى البيض عن برد الدماليج<sup>(١)</sup>

\* \* \*

ولامية بن أبى الصلت فى عبد الله بن جُدعان :

كريم لا يغيره صباح عن الخلق الجميل ولا مساء  
وأرضك أرض مكرمة بئتها بنوتيم وأنت لها سماء<sup>(٢)</sup>

أخذه أيمن بن خريم فى مدح بنى هاشم فقال :

أجعلكم وأقواما سواء وبينكم وبينهم الهـواء  
وهم أرض لأرجلكم وأنتم لأعينهم وأرؤسهم سواء

\* \* \*

ولمثقّب العبدى فى وصف الناقة :

كان مواقع الثفنات منها معرّس باكرات الورد جون<sup>(٣)</sup>

\* \* \*

ولعمرو بن شاس :

وأسيافنا آثارهن كأها مشافر قرحى فى مباركها هـدل<sup>(٤)</sup>

أخذه الكميت فقال :

تُشبهه فى الهام آثارها مشافر قرحى أكلن البريرا<sup>(٥)</sup>

\* \* \*

ولبعض شعراء الحماسة :

أناخ اللؤم وسط بنى رماح مطيته وأقسم لا يريم

(١) السفائف : الحزم من الخوص جمع سفيفة . (٢) بنوتيم : تيم بن مرة رهط أبى بكر الصديق .

(٣) الثفنات بالكسر : جمع ثفنة ، وهى الركبة ، والجون : السود والبيض والمراد السود هنا .

(٤) الهدل : المسترخية . (٥) البرير : أول ثمر الأراك .



كذلك كل ذى سفر إذا ما تنهاهى عند غايته يقيم  
وفيهما يقول ابن الأثير : وهذان البيتان من أبيات المعاني المبتدعة ،  
وعلى آثارهما مشى الشعراء (١) .

\*\*\*

ولأرطاة بن سُهبة فى وصف الخيل :  
كان أعينها من طول ما جشمت سيرا الهواجر زيت فى قوارير  
أخذه بعضهم فقال :  
إن الركائب مخسوف نواظرها كما تضمّنت الدهن القوارير (٢)

\*\*\*

والأسعر الجعفى فى الخيل :  
يخرجن من خلل الغبار عوابسا كأصابع المقرور أقمى فاصطلى  
أخذه على بن جبلة فقال :  
كان خيلك فى أثناء غمرتها أرسال قطر تهاى فوق أرسال  
يخرجن من غمرات الموت سامية نشر الأنامل من ذى القرّة الصالى (٣)

\*\*\*

وللنميرى - يصف طيب المواضع التى مشى فيها الحبيب - وهو أول  
من فعل ذلك - .

تضوّع مسكا بطن نعان أن مشت به زينب فى نسوة عطرات (٤)

\*\*\*

ولبشار بن برد :

جفت عيني عن التغميض حتى كان جفونها عنها قصار

\*\*\*

(٢) مخسوفة النواظر : غائرة .

(٤) زينب : أخت الحجاج .

(١) المثل الثائر - ١٤٩

(٣) القرّة بالكسر : شدة البرد .



ولآخر :

ومولى كأن الشمس بينى وبينه إذا ما التقينا ليس من أعابه  
يقول : لا أقدر على النظر إليه من بغضه فكأن الشمس بينى وبينه .

\* \* \*

ولمسلم بن الوليد :

إذا ما نكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها

\* \* \*

وله :

تنال بالرفق ما تعيا الرجال به كالموت مستعجلا يأتي على مهل

\* \* \*

ولأبي نواس في الحر :

أيها الرائخان باللوم لوما لا أذوق المدام إلا شميا

نالن بالسلام فيها إمام لا أرى لي خلافة مستقيا

فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

كبر حظي منها إذا هي دارت أن أراها وأن أشم النسيما

فكأنى وما أزين منها قعدى يزين التحكما

كل عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطبق ألا يقيا

والشاهد في البيتين الأخيرين ، والقعدى بفتح القاف والعين هو الذى

يرى رأى القعد بالتحريك وهم الخوارج .

وعند ابن الأعرابي : أنه جمع قاعد كحارس وحرس .

وهذه الفرقة المسماة بالقعدة ، كانت ترى الخروج وتأمر به ولكنها

تقعد عنه .



وله :

وخدين لذات معل صاحب      يقات منه فكاهة ومزاحا  
قال ابغنى المصباح قلت له اتد      حسبي وحسبك ضوءها مصباحا  
فسكبت منها في الزجاجة شربة      كانت له حتى الصبح صباحا

وله :

لا ينزل الليل حيث حلت      فـدهر شراها نهار  
حتى لو استودعت سرارا      لم يخف في ضوءها السرار<sup>(١)</sup>  
يريد أنها من شدة ضوءها لو أودعت السرار - وهو آخر ليلة من  
الشهر - أي لو أودعت ما ليس شيئا لم يخف ذلك في ضوءها ، وهو من  
الإغراق .

وله :

وخمار حططت إليه ليلا      قلائص قدورين من السفار<sup>(٢)</sup>  
فمجم والكري في مقلتيه      كمخمور شكا ألم الخمار  
ابن لي كيف صرت إلى حريمي      وجفن الليل مكتحل بقار  
فقلت له ترفق بي فإني      رأيت الصبح من خلل الديار  
فكان جوابه أن قال صبح      ولا صبح سوى ضوء العقار  
وقام إلى العقار فسدفأها      فعاد الليل مصبوغ الإزار

وله :

كأن يواقيتا رواكد حولها      وزرق سنابير تُدير عيونها

(١) السرار بالفتح والكسر . (٢) القلائص : النوف الشواب .



وله :

تري حيثما كانت من البيت مَشْرِقا      وما لم تكن فيه من البيت مغربا  
إذا عبَّ فيها شاربُ القوم خَلته      يقبَلُ في داج من الليل كوكبا  
أخذه ابن الرومي فقال وأحسن :

ومفهف تمت محاسنه      حتى تجاوز مُنية النفس  
وكأنه والكأس في فمه      قمر يقبَلُ عارضَ الشمس<sup>(١)</sup>

فجعل الشارب قمرًا ، وليس ذلك في بيت أبي نواس .

وله :

شككتُ بُزَالها والليل داج      فسأل إلى عَيَّوف الظلام<sup>(٢)</sup>  
شبه الخمرة في حمرتها حينما انسكبت من الزق بعد ثقبه بالمبزل بالعيوق ،  
وهو نجم أحمر مضى في طرف المجرة .

وله :

فتعزبت بصرف عُدَّ—ار      نشأت في حجر أم الزمان  
فتناساها الجـديـدان حتى      هي أنصاف شطور الدنان<sup>(٣)</sup>  
فافترعنا مُزَّة الطعم فيها      نزق البكر ولين العَوان<sup>(٤)</sup>  
واحتسبنا من عتيق رقب      وشديد كامن في لِيان  
لم يحفها مبزل القوم حتى      نجمت مثل نجوم السَّنان<sup>(٥)</sup>  
أو كعرق السام تذشق عنه      شُعب مثل انفراج البنان<sup>(٦)</sup>

(١) المارض : صفحة الحد . (٢) البزال بالضم : موضع البزل وهو الشق .

(٣) الجديدان : الليل والنهار .

(٤) الافتراع : الكناية عن أنهم أول من باشر بها .

(٥) جافة : بلغ جوفه . (٦) السام : عرق الذهب .



شبهها في البيتين الأخيرين حين شق دنها عنها وانبتقت فصارت شعبا  
بالسنان اللامع وعروق الذهب إذا انفرجت انفراج الأصابع .  
وله :

من شراب ألد من نظر المعشوق م في وجه عاشق بابتسبام  
وله :

وكأنها إنعام خلة عاشق بالبذل بعد تعسر ومكاس

\* \* \*

وله في وصف الخمرات المسيحيات ، ويروى لابن المعتز :  
وتحت زناير شددن عقودها زناير أعكان معاقدتها السرر

\* \* \*

وله في هجاء إبليس :  
دب له إبليس فافتاده والشيخ نفاع على لعنته  
عجبت من إبليس في تيهه وعظم ما أظهر من نخوته  
تاه على آدم في سجدته وصار قوادا لذريةه

\* \* \*

وله في هجاء إسماعيل بن أبي سهل :  
خبز إسماعيل كالوشى م إذا ما شقَّ يرفا  
عجبا من أثر الصنعة م فيه كيف يخفى  
إن رفأك هـذا أحذق الأمة كفا  
فإذا ما ألصق بالنصف م من الجردق<sup>(١)</sup> نصفا  
الطف الصنعة حتى ماترى مغرزا شفى<sup>(٢)</sup>

(١) الجردق : الرغبة . (٢) الإشفى : المثقب .



مثلاً ما جاء من التنو ر ما غادر حـ رفا  
وله في الماء أيضاً عمـ ل أبداع ظرفا  
مزجه العذب بماء البئر م كي يزداد رـ ضـ عفا  
فهو لا يسقيك منه مثلاً يشرب رـ صرفا

\*\*\*

ولأحمد بن يوسف :

عذب الفراق لنا قبيل وداعنا ثم اقتبلنا— اه كسم نافع  
وكأنما أثر الدموع بخدها طل سقيط فوق ورد يانع  
وقد قال أبو بكر الصولي : هو أول من أفصح عن هذا المعنى<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وللعباس بن الأحنف :

أحرّم منكم بما أقول وقد نال به العاشقون من عشقوا  
صرت كأنى ذبالة نصبت تُضيء للـ اس ثم تحترق

\*\*\*

ولخالد الكاتب :

بكي عاذلي من رحمتي فرحمته وكم مثله من مسعد ومعين  
ورقت دموع العين حتى كأنها دموع دموعي لادموع جفوني

\*\*\*

ولأبي تمام والنشبيه ضمني :

لا تنكري عطل الكريم من الغنى فالسيل حرب للمكان العـ الى

\*\*\*



وقوله :

ليس الحجاب بمقص عنك لى أملا إن السماء تُرجى حين تحتجب

\*\*\*

ولابن الرومى :

غدا الدهر يرمى فتدنو سهامه لشخصى وأخلق أن يصبن سواديا  
وكان كرامى الليل يرمى ولا يرى فلما أضاء الشيب شخصى رمانيا

ويقول المرتضى فى البيت الأخير : إنه أبدع فيه وأغرب ، وما علمت  
أنه سبق الى معناه لأنه جعل الشباب كالليل الساتر على الإنسان ، الحاجز  
بينه وبين من أراد رميه لظلمته ، وجعل الشيب مبديا مقاتله هاديا الى إصابته  
لضوئه وبياضه ، وهذا فى نهاية الحسن .

وأراد بقوله رمانى : أصابنى (١) .

\*\*\*

وله :

عيني لعينك حين تنظر مقتل لكن لحظك سهم حتف مرسل  
ومن العجائب أن معنى واحدا هو منك سهم وهو منى مقتل

\*\*\*

وله فى العتاب :

توددت حتى لم أدع متوددا وأفنيت أقلامي عتابا مرددا  
كأنى استدعى بك ابن حنبة إذا النزع أدناه من الصدر أبعدا (٢)

\*\*\*

---

(١) أمالى المرتضى ١ - ١٧٣ - ١٧٤

(٢) ابن حنبة : كناية عن القوس .



وله :

كل الخلال التي فيكم محاسنكم تشابهت منكم الأخلاق والأخلاق  
 كأنكم شجر الأترج طاب معاً حملا ونورا وطاب الأصل والورق (١)  
 وشجر الأترج يضرب مثلاً لما طاب أصله وفرعه وكل شيء فيه ، وهو  
 أول من شبه به .

\*\*\*

وللبحتري :

يمشون في زرد كأن متونها في كل معركة متون نهاء (٢)  
 بيض تسيل على الكماء نصولها سيل السراب بقفرة يبداء  
 وإذا الأمانة خالطتها خلتها فيها خيال كواكب في ماء  
 والشاهد في البيت الأخير .

\*\*\*

ولعلي بن جبلة :

تكفل ساكن الدنيا حميد فقد أضحت له الدنيا عيالا  
 كأن أباه آدم كان أوصى إليه أن يعولهم فعالا

\*\*\*

ولابن المعتز في طول الليل :

أقول وقد طال ليل الهموم وقاسيت حزن فؤاد سقيم  
 عسى الشمس قد نسخت كوكبا وقد طلعت في عداد النجوم

\*\*\*

(١) رواية الديوان : طاب العود .

(٢) نهاء بالكسر : جمع نهى بالكسر والفتح ، وهو الغدير أو شبهه .



وله :

إذا الهـلال فارقتـه ليلتـه<sup>(١)</sup> بدا لمن يبصره وينعته  
كهامة الأسود شابت هامتـه

\*\*\*

وله :

دمعتى تعلم وجدى واشتياق فسلها  
لى من ذكراك مرآة أرى وحبك فيها

\*\*\*

وله فى وصف الخمر :

علَّ عُقارا صفراء تحسبها شيبـت بمسك فى الدن مفتوت  
الماء فيها كتابة عجب كمثل نقش فى فصّ ياقوت

\*\*\*

ولابن هانئ :

وكان صفحة خـده وعذاره تفاحة رُميت لتقتل عقربا<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

والمعتبى :

كريم لفظت الناس لما لقيته كأنهم ما جفَّ من زاد قادم<sup>(٣)</sup>  
وكاد سرورى لا ينى بندامتى على تركه فى عمرى المتقادم

...

وله :

أجزنى إذا أنشدت شعرا فإنما بشعرى أذاك المادحون مرددا

---

(١) يريد بالمقرب : شعر الصدغ الملتوى .

(٢) هذه رواية اليتيمة وفى الديوان : بلغته .



ودع كل صوت غير صوتي فإني أنا الطائر المحبكي والآخرا صدی

...

وله :

كان الهام في الهيجا عيون وقد طُبعت سيفك من رقاد

...

وله :

ولو استطعت إذا اغتدت رؤادهم لمنعت كل سحابة أن تقطرا  
فإذا السحاب أخو غراب فراقهم جعل الصياح بينهم أن يُمطرا  
جعل السحاب أخا غراب البين في التفريق ، لأن صياح المطر : أعنى  
سقوط الغيث منه كان سببا في ارتحالهم للنجاة ، كما أن صياح الغراب يكون  
سببا للفراق :

...

وله :

فقر الجحول بلا لب إلى أدب فقر الحمار بلا رأس إلى رسن

...

وله ،

كان العيس كانت فوق جفني مُناخات فلما تُرن سالاً<sup>(١)</sup>  
يريد : كنت لا أبكي قبل فراقهم فكأن مطاياهم كانت مناخة فوق جفني  
تحبس دمعهم عن الانسكاب ، فلما رحلوا سال دمعى فكأنها نهضت من  
فوق جفني .

---

(١) العيس : الكرام من الإبل وتكون بيضاء تخالطها شقرة ، ويروى : العير .



والمعنى فى غاية الدقة ، وقد حكى : أن البيت ترجم لملك الروم فقال :  
ما سمعت بأ كذب من هذا الشاعر !  
أرأيت من يفيخ الجمل على عينيه ولا يهلكه (١) !

...

وله :

برغم شبيب فارق السيف كفه      وكانا على العلات (٢) يصطحبان  
كان رقاب الناس قالت لسيفه      رفيقك قيسى وأنت يمانى  
يريد شبيباً العقيلي وقد خرج على كافور الإخشيدي بدمشق فقتله .  
والمعنى : أن رقاب الناس لكثرة قطع شبيب إياها أغرت بينه وبين  
سيفه لتفرق بينهما حتى تستريح من شره ، فقالت لسيفه : صاحبك من قيس  
وأنت منسوب إلى اليمين فكيف تأتلفان !  
والتنافر بين قيس واليمين معروف ، وبلغ أشده فى زمن الأمويين بحكم  
مياسة فرق تسد .

..

وله :

فإن تفق الأنام وأنت منهم      فإن المسك بعض دم الغزال

\*\*\*

وله فى وصف الحمى - وقد ذكر أهم أعراضها المعروفة فى الطب - :  
وزائرتى كأن بها حياء      فليس تزور إلا فى الظلام (٣)

---

(١) المثل السائر - ١٢٩ (٢) العلات بالكسر . جميع الأحوال .

(٣) لأن حرارة الحمى ترتفع بالليل خاصة .



بذلت لها المطارف والحشايا      فعافتها وباتت في عظامي (١)  
يضيق الجلد عن نفسي وعنهما      فتوسعه بأنواع السقام  
كأن الصبح يطردها فتجري      مدامعها بأربعة سجام (٢)  
أراقب وقتها من غير شوق      مراقبة المشوق المستهام  
ويصدق وعدّها والصدق شر      إذا ألقاك في الكرب العظام

\*\*\*

وله - من قصيدة يمدح بها عضد الدولة ويدعو لولديه - :  
فعاثا عيشة القمرين بحيا      بضوءهما ولا يتحاسدان  
ولا ملكا سوى ملك الأعداى      ولا ورثا سوى من يقتلان  
وكان ابنا عدو كاثراه      له يامى حروف أنيسيان  
يدعو لها ألا يملكها غير ملك الأعداء ، ولا يرثا إلا من يقتلانه منهم .  
وهو دعاء ضمنى لأبيهما بطول العمر .  
ثم يدعو لهما أيضا بأنهما إذا فاخرا عدوا بكثرة العدد ، أن يكون ابنا  
ذلك العدو الذى يقابلهما عنده بمنزلة يامى التصغير فى لفظ « أنيسيان » ،  
تصغير إنسان على الشذوذ ، فإن هذه الزيادة زيادة فى الاسم فقط ونقص  
فى المسمى لأنه تصغير تحقير أفهى زيادة صائرة إلى الخسة والضعف والمهانة .  
والمعنى دقبق جميل ، ولا عيب فيه إلا أن نسج البيت معقد خشن السبك  
خال من الرونق الشعرى .

\*\*\*

(١) المطارف : الأردنية من الحز ، والحشايا : الفراش المحشو .  
(٢) يريد : لأربعة السجام : مجارى الدموع من الموقين والمعاظين ، والدمع عادة يجرى  
من الموقين - وهما مما يلى الأنف - فإذا كثرت جرى من المعاظين - وهما مما يلى الصدغ - .  
(٣) الضمير فى له العدو ، ويامى : خبر كان .



وللفقيه بن قالوص في المقص :

إعطاء مثلي للمقص نقيصة وأرى إعارتها أجلّ العار  
إن المقص حكمت بصورة شكلها لا ، والجواد بلا لثيم نجار  
وقال بعض الشعراء في ذمها :

إن شأن المقص قطع وصال فلماذا يضيع بين الجالوس  
وترى الإبرة التي توصل القطع بعز مغروسة في الرموس  
يشير إلى عادة الخياطين برشق الإبرة في رموسهم كما يضع الكتاب القلم  
على آذانهم .

وقد أخذه ابن يعقوب فقال :

فاخرت إبرة مقصا فقالت لي فضل عليك باد مسلم  
شأنك القطع يا مقص وشأني وصل قطع شتان إن كنت تعلم  
ويقول ابن بسام : وقد نهى بعض الظرفاء من الأدباء عن إهداء المقص  
واستهدائها .

ثم قال في البيت المتقدم : وهذا من الاختراع والتشبيه المطبوع<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

ولالأخيطال الأهوازي في الشقائق :

هذي الشقائق قد أبصرت حرمتها مستشرفات على قضبانها الزلل  
كأنها دمة قد مسحت كُلا جالت به وقفة في وجنتي خجل  
إلا أنه كما يقول العسكري : أورده في أهجن ، معرض وفي أشد ما يكون  
من التكلف ، وأتى بالمحال لأن الوقفة لا تجول<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*



وللصاحب بن عباد في خط العارض ، العذار ، :

قلت وقد قيل بدا شعره      بمثل ذاك الشعر لا يشعر  
هل زغب الحسن له ضائر      ذا القمر الّثم به يُقمر<sup>(١)</sup>

\*\*\*

ولابن عبد ربه - وقد وصف الحرب بتشبيهه عجيب لم يتقدم عليه ،  
ومعنى بديع لا نظير له - :

وجيش كظهر اليم تنفحه الصبا      يعبُّ عبايا من قنا وقنابل<sup>(٢)</sup>  
فتنزل أولاه وليس بنازل      وترحل أخراه وليس براحل  
ومعترك ضحك تعاطت كاته      كئوس دماء من كلى ومفاصل  
يدبرونها راحا من الراح بينهم      ببيض رقاق أو بسمر ذوابل  
وتسمعهم أم المنية وسطها      غناء صليل البيض تحت المناصل<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

ولكشاجم :

قلت وقد أبصرتها حامرا      عن ساقها فاضل سربالها  
لو لم يك من برد ساقها      لاحترقت من نار خالخالها<sup>(٤)</sup>

...

وللعسكري - والتشبيه ضمنى - :

لهيب قلبي أفاض الدمع من بصرى      والعود يقطر ماء حين يحترق

...

(١) الزغب : أول ما يبدو من الشعر ، وأقر القمر : صار بدرا .  
(٢) القنابل : الطائفة من الخيل . (٣) أم المنية : كنية الحرب .  
(٤) لأن خالخالها من الذهب فله أشعة كأشعة النار .



وله يهجو :

وقفت لديكم للسلام عليكم      وقوفي على أطلال سلمى وعاتكة  
يرُوعك تسليم العُفاة كأنه      بواد طعن في الضلوع مُواشكة  
وما فيكم حرٌّ يكرّم ضيفه      ولكن إذا ما شاء أكرم نائله  
وإن كنتم ناسا وما أنتم به      فإن القروء والكلاب ملائكة

...

ولأبي العلاء :

وهواك عندي كالغناء لأنه      حسن لدى ثقبيله وخفيفه  
وأبو العلاء أكثر الشعراء ابتكارا للمعاني بسلوكه طرائق شتى  
لم يسلكوها في الشعر ، أمدته بفيض زاخر من الأفكار الطريفة ولم تقف به  
عند مناهج المتقدمين في الشعر التقليدي .

...

ولابن حمديس الصقلي في هلال آخر الشهر :

كأما أدهم الظلماء حين نجا      من أشهب الصبح ألقى نعل حافره  
وقد وصفه ابن الأثير : بأنه أتى فيه بما لم يأت غيره ، وأنه من الحسن  
واللطافة في الغاية القصوى<sup>(١)</sup>.

...

ولأبي بكر الوراق :

بدر له إشراق شمس على      غصن سبي قلبي بنوعين  
يكاد من أين ومن رقة      في خصره ينقد نصفين



إدباره ينسبك إقباله كأنما يمشى بوجهين

\*\*\*

وله في الخمر والكأس :

قم يا غلام فهاتها في كأسها كالجلائنة في جنى نسرين<sup>(١)</sup>

أو ما رأيت هلال شهرك قد بدا في الأفق مثل شعيرة السكين<sup>(٢)</sup>

ولبعض المغاربة فيها أيضا :

ثقلت زجاجات أنقنا فرغا حتى إذا ملئت بصرف الراح

خفت فكادت أن تطير بما حوت وكذا الجسوم تخف بالآرواح

وهذا معنى مبتدع يقول فيه ابن الأثير : إنه يفعل بالعقول فعل الخمر

سكرا ، ويروق كما راقط لطفًا ، ويفوح كما فاحت نشرًا<sup>(٣)</sup>.

...

وللأرجاني :

رثالي وقد ساويته في نحوه خيالي لما لم يكن لي راحم

فدلس بي حتى طرقت مكانه وأوهمت إلي أنه بي حالم

وبتنا ولم يشعر بنا الناس ليلة أنا ساهر في جفنه وهو نائم

...

ولابن سهل الأندلسي :

كان القلب والسلوان ذهن يحوم عليه معنى مستحيل

...

(١) النسرين بالكسر : نور أبيض وردى يشبه شجرة شجر الورد ، وسماه بعض الناس وردا صينيا.

(٢) شعيرة السكين : هنة تصاغ من فضة أو حديد على شكل الشعيرة تكون مساكا

لنصاب النصل . (٣) المثل السائر - ١٣٠



وللحموى :

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة فكأن هاتيك السروج مقابر

...

وله :

والغصن يحكى النون فى ميسلانه وخياله فى الماء كالتنوين

...

وللشاعر المعروف بالحافظ فى البهار :

عيون تبر كأنما سرقت سواد أحداقها من الغسق  
فإن دجا ليلاً بظلمته ضُمن من خوفها على السَّرق<sup>(١)</sup>

...

ولابى الحسن الأنبارى :

كأن الشموع وقد أظهرت من النار فى كل رأس سنانا  
أصابع أعدائك الخائنين تضرع تطلب منك الأمانا  
ومثله ما حكاه ابن خلكان : من أن المعز بن باديس كان يوماً جالساً  
فى مجلسه ، وعنده جماعة من الأدباء وبين يديه أترجة ذات أصابع ، فأمرهم  
أن يعملوا فيها شيئاً .

فقال ابن رشيق :

أترجة مَسْبُطة الأطراف ناعمة تلقى العيون بحسن غير منحوس  
كأنما بسطت كفاً لخالقها تدعو بطول بقاء لابن باديس  
فاستحسن منه ذلك وفضله على من حضر من الجماعة .

...

---

(١) السرق بفتح الراء : شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة .



ولابن قلاقس :

زد رفعة إن قيل أملك م وانخفض إن قيل أثرى  
كالغصن يدنو ما اكتسى ثمرأ وينأى ما تعرّى

...

ولشاعر :

ألا يا بغلة الشُّطرنج م فى القيمة والقامه<sup>(١)</sup>

...

ولآخر :

ولى سنة لم أدر ما سنة الكرى كأن جفونى مسمع والكرى عدل

...

ولآخر يصف قدرته على اختراق الحجاب الصعب :

كالطيف بأبى دخول الجفن منفتحاً وليس يدخله إلا إذا انطبقتا

\* \* \*

ولبعض المغاربة :

غدرت به زرق الأسنه بعدما قد كُن طوع يمينه وشماله

فليحذر البدر المنير نجومه إذ بان غدر مثالها بمثاله

\* \* \*

ولشوقى :

ومصر الكرم ذى الإحسان فاكهة لحاضرين وأكوبا لبادينا

\* \* \*

(١) بغلة الشطرنج : يشبه بها القصير الدنيء الساقط .



وله في شعر شكسبير :

من كل بيت كآى الله مسكنه      حقيقة من خيال الشعر غرام  
وكل معنى كعيسى في محاسنه      جاءت به من بنات الشعر عذراء

\*\*\*

والرصافي<sup>(١)</sup> - يصف قصر البحر في بيروت : -

كأن الموج في الدأما رجال      وهذا القصر بينهم خطيب<sup>(٢)</sup>  
تخاطبهم مبانى — فيعلو      من الأمواج تصفيق رحيب

\*\*\*

وله في وصف الشمس والشفق :

يحكى دم المطلول مازج أدمعا      هممت بها عين اليتيم همولا  
رقت أعاليه وأس — فله الذى      فى الأفق أشبه عصفرا محولا<sup>(٣)</sup>  
كالخود ظلت يوم ودّع لفها      ترنو وترفع خلفه المنى — ديلا

\*\*\*

وله يشكو :

كان نجم السها أديب      فى أرض بغداد ذو كواء  
كأن — أنجم الثريا      فى شكلها الباهر الضياء  
فماز كف به فصوص      من حجر الماس ذى الصفاء

\*\*\*

(١) كتاب معروف الرصافي - ١٦٢

(٢) الدأما : البحر .

(٣) العصفرا بالضم : زهر القرطم .



وله في رثاء أستاذه محمود شكرى الألوسى :

أما العراق فأمسى الرافدان به سطرين للدمع في خديه قد سالاً<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وللشاعر القروى<sup>(٢)</sup> رشيد سليم خورى - يصف الشعرة البيضاء - :

كان الشعور السود أعصر ظلمة      بدا بينها عصر أغرّ مجيد  
كان سواد الفؤد حيرة جاهل      تصدّى لها رأى أجلّ سديد  
تجلّت على عرش الشباب كسيد      حو إليه من سود الشعور عبيد  
وقوله :

يرىكم إبانى أن روتشله ، والدى      وما ملكت كفاى من ماله شروى  
وأبدى وفائى قبل صنع جميلكم      كأن وفائى فى محبتكم رشوى

وقوله يصف المقلّة والنهد - :

فكان مقلتها وبارز نهدها      متواضع يرنو إلى متكبر

وقوله :

هم يزول بمثله      والشوك ينزع بالإبر

وقوله :

وكان النجوم شعرٌ بديع      لا غموض فيه ولا إهام

وقوله :

وأعود بين تلفت وتطلّع      والليل جسر بين أمسى والغد

هذا ويقتضينا الإنصاف أن نصرّح بأن شعراء المهجر فى الدنيا الجديدة  
من سوريين ولبنانيين تسكثروا فى أشعارهم صور البيان المبتكرة على اختلاف

(١) الرافدان : دجلة والفرات . (٢) من ديوان القروى المطبوع بالبرازيل .



ألوانها ، وهذا شيء طبيعي لأن القلب في البلاد والضرب في زحمة الناس ،  
يفتح للشاعر أفقا جديدة ويتيح له رؤية مناظر جديدة ، والوقوف على  
عادات وأخلاق جديدة ؛ ويخرجه من حالة الركود والجمود التي يعيش فيها  
إلى حياة فيها خصب وقوة وقلق وتوثب وانبعاث ، هذا إلى ما تذكىه الغربة  
في نفسه من حنين لا يفتر إلى وطنه الأصلي ، وشوق عارم إلى رؤية الأهل  
والأصدقاء ، ومآلف الأحباب ، ومعاهد الطفولة ومراتع الصبوة والغرام !  
وكما يكون الاختراع في الشعر يكون في النثر ، فمن ذلك : أن عبد الملك  
ابن مروان بنى بابا من أبواب المسجد الأقصى بيت المقدس ، وبنى الحجاج  
بابا إلى جانبه فجاءت صاعقة فأحرقت الباب الذي بنىه عبد الملك ، فتطير  
لذلك وشق عليه !

فبلغ ذلك الحجاج فكتب إليه يقول : بلغنى كذا وكذا ، فليهن  
أمير المؤمنين أن الله تقبل منه ! وما مثله ومثلى إلا كابنى آدم إذ قربا قربانا  
فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر<sup>(١)</sup>.

فلما وقب عبد الملك على كتابه سرى عنه .

وهذا معنى غريب استخرجه الحجاج من القرآن الكريم<sup>(٢)</sup>.

هذه نبت من ابتكار الشعراء في عصور مختلفة استخرجناها من مظانها ،  
وأكثرها مما وقع عليه إجماع النقاد .

ويجب أن يعرف أن الابتكار ليس حتما على الشاعر وإن حسن وقوعه  
منه ؛ لأن وظيفة الشاعر التي خلق لها أن يجسد آلامنا وآمالنا ، ويترجم

---

(١) يشير إلى قصة هابيل وقابيل المشهورة .

(٢) المثل السائر - ١٢٧



أفكارنا ومشاعرنا وعواطفنا وكل ما يعتلج في صدورنا ، ويختلج في نفوسنا  
مما نحسّه في داخلنا ونعجز عن الإعراب عنه ؛ لقصر اداتنا وضيق وعائنا ،  
فالشاعر مرآة صقيلة لعصره ، وبوق أمير لمجتمعه ، فحسبه أن ينقل صورة  
العصر ، ويتحدث بصوت المجتمع ، وهذا شيء ليس بالقليل .

والشاعر الكبير يشيد المعابد الضخمة . ويبني الهياكل الرائعة والجواسق  
الجميلة ، ولكن ليس عليه استحضار الأحجار وجلب الصخور ونحتها  
وصقلها وإعدادها للبناء ، ولا بأس أن تستورد له الأعمدة ومائر ما يلزمه  
في إقامة أبنيته الفنية وتشيد صروحه الخالدة .

والشاعر الحق ينتفع من مجهودات العالم ، ويستثمر الأفكار التي يصل  
إليها الفيلسوف عن طريق التجريد ، ويبعث فيها الموسيقى الساحرة ، ويسبغ  
عليها الجمال الفني الرائع ، وليس على الشاعر ابتكار أفكار العصر وخلقها ،  
وإنما هو من عمل الفيلسوف والعالم ، وعلى الشاعر التغنى بملك الأفكار  
وأن يشعر ويشعر بها<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن الاختراع في صور البيان يختلف باختلاف العصور  
وحظها من انتشار الثقافة وتقدم المعارف ، وورق العقول والأفكار ،  
واستبحار الحضارة والمدنية .

وقد اعترف ابن رشيق بأن عصره - وهو القرن الخامس الهجري -  
كان قليل النصيب من الاختراع ، فنسمعه يقول : وما زالت الشعراء تخرج  
إلى عصرنا هذا وتولد غير أن ذلك قليل في هذا الوقت<sup>(٢)</sup> .

وقد تعصب ابن أفلح البغدادي للمحدثين فذكر في مقدمته : أن المعاني  
المبتدعة ليس للعرب منها شيء ، وإنما اختص بها المحدثون .

---

(١) على هامش الأدب والنقد - ١٤٧ .

(٢) العمدة - ١ - ١٧٦ .



ثم ذكر معاني المحدثين وقال : هذا المعنى لفلان وهو غريب ، وهذا القول لفلان وهو غريب .

وقد رد عليه ابن الأثير : بأن تلك الأقوال التي خص قائلها بأهم ابتدعوها قد سبقوا إليها ، وأنه فيما ذهب إليه إما أن يكون غير عارف بالمعنى الغريب ، وإما أنه لم يقف على أقوال الناظمين والناثرين وطريقة تحريرها حتى يعرف ما قاله المتقدم مما قاله المتأخر .

ثم يقول : وأما قوله : إنه ليس للعرب معنى مبتدع وإنما هو للمحدثين ، فياليت شعري من السابق إلى المعاني ؛ من تقدم زمانه أم من تأخر زمانه ؟ ثم ساق أمثالا للعرب نسج على منوالها المحدثون ، واستدل على فساد ما ذهب إليه ابن أفلح : بأن أول من بكى الديار في شعره ابن حزام باعتراف امرئ القيس وأن لامرئ القيس في صفات الفرس أشياء كثيرة لم يسبق إليها ولا قيلت من قبله .

ثم يقول : ولو قال ابن أفلح : إن المحدثين أكثر ابتداعا للمعاني وألطف مأخذا ، وأدق نظرا لكان صوابا ، لأن المحدثين عظم الملك الإسلامي في زمانهم ، ورأوا ما لم يره المتقدمون<sup>(١)</sup> .

ولاشك أن ابن أفلح قد تطرف جدا في رأيه ، ولا أدري كيف يصدر هذا من حصيف مثله ، وكيف بعقل أن نجد جيلا كاملا من الناس من الابتكار ولو في أدنى درجاته ؛ ولا سيما إذا كان هذا الجيل قد أخذنا عنه لغته بجميع خصائصها .



# الفصل الخامس

## التشبيهات القبيحة

يعرض القبح للتشبيه كما يعرض لغيره من صور البيان ، فتشيل درجته في ميزان البلاغة ، وبوصف قدره بالضعة والسفال .

وبما يلاحظ أن التشبيه بين ألوان البلاغة ممتنع في الترف ، كثير الأناقة شديد الحساسية ، رقيق المزاج ؛ ومن أجل ذلك يظهر فيه العيب الطفيف ، وتبين عليه الهجنة الخفية .

وأريد بالقبح هنا ما يعرض للتشبيه من مثالب لا تصل إلى درجة الخطأ الذي أفردنا له باباً خاصاً .

وهذا القبح أنواع كثيرة ، يرجع بعضها إلى الألفاظ المفردة ، وبعضها إلى الصياغة والسبك ، وبعضها إلى المعنى ، وبعضها إلى الخيال ، إلى غير ذلك مما يضع من شأن الكلام ويبعده عن الوصف بالبلاغة .

فمن ذلك قول امرئ القيس :

وَرَسَنَ كُسْنِيَّ سَنَاءَ وَسُنَّاءَ      ذَعَرَتْ بِمَدْلَاجِ الْهَجِيرِ نَهْوَضَ

نقل الباقلاني : أن الأصمعي قال : لا أدري ما السن ولا السنيق

ولا السنم .

وقال بعضهم : السنيق : أكمة .

وقال الخفاجي : لم يعرفه الأصمعي ولا أبو عمرو وقال : هو بيت

مسجدى : يريد من عمل أهل المسجد .



وقال غيرهما : سذيق : جبل ، وسنم : هي البقرة ، فأما السن فهو الثور<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وقوله :

فظل العذاري يرتمين بلحمها وشحم كهذاب الدّمقس المفتل  
عابه الباقلاني : بأنه عرّف اللحم ونكر الشحم فلا يعلم أنه وصف شحمها .  
وذكر تشبيه أحدهما بشيء واقع ، وعجز عن تشبيه القسم الآخر فمرت مرسله .  
وهذا نقص في الصنعة وعجز عن إعطاء الكلام حقه .  
وفيه شيء آخر ، وهو أنه وصف طعامه الذي أطعم من أضاف بالجودة  
وهذا قد يعاب .

وقد يقال : إن العرب تفخر بذلك ولا يرونها عيباً ، وإنما الفرس  
هم الدين يرون هذا عيباً شديداً .

وأما تشبيه الشحم بالدمقس فشيء يقع للعامة ويجرى على ألسنتهم ،  
فليس بشيء قد سبق إليه ، وإنما أراد المفتل ، للقافية وهذا مفيد .

ومع ذلك فليست أعلم العامة تذكر هذه الزيادة ، ولم يعد أهل الصنعة  
ذلك من البديع ورأوه قريباً .

وفيه شيء آخر ، وهو أن تبجح بما أطعم للأحباب مذموم ، وإن  
سوّغ التبجح بما أطعم للأضياف ، إلا أن يورد الكلام مورد المجون وعلى  
طريقة أبي نواس في المزاح والمداعبة<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وقول بشر بن أبي خازم :

وجرّ الرامسات بها ذيولا كأن شملها بعد الدبور<sup>(٣)</sup>

(١) أسرار الفصاحة - ٦٦

(٢) إعجاز القرآن - ١٣٥ - ١٧٠

(٣) الرامسات : الرياح تهب من الغرب ، والدبور : الريح تهب من الغرب .



رماد بين أظفار ثلاث كما وُشم النواشر بالشُّور<sup>(١)</sup>  
شبه ربح الشمال والغرب بالرماد ، والبعد والانبهام فيه لا يخفى .

\*\*\*

وقول عامر بن معشر بن أسحم - يصف أسيراً أسروه - :  
فَظَلْ يُخَالِسُ الْمَذَاقَاتِ فِينَا يُقَادُ كَأَنَّهُ جَمَلٌ رَبِيقٌ  
وقد عابه الأصمعي وغيره .  
وذلك أنه وصف أسيرهم بأنه جائع يخالس القليل الممدوق من اللبن ،  
وإنما ذلك من الجهد<sup>(٢)</sup> .

...

وقول علقمة بن عبدة :  
كَأَنَّهُمْ صَابَتَ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لَطِيرُهُنَّ دَيْبٌ

...

وقوله :  
يَحْمِلُنْ أَتْرَجَةً نَضَحَ الْعَبِيرُ بِهَا كَأَن تَطْيَابُهَا فِي الْأَنْفِ مَشْمُومٌ  
وقد وصف المرزباني هذه الآيات بأنها مستكرهة الألفاظ ، قلقه  
القوافي ، رديئة النسيج ، فليست تسلم من عيب يلحقها في حشوها أو قوافيها  
أو ألفاظها أو معانيها<sup>(٣)</sup> .

...

(١) الأظفار : يريد بها الأثافي ، والنواشر : عروق وعصب باطن الذراع ، والشُّور  
كصبور : النيلنج . (٢) العمدة - ٢ - ١١٧  
(٣) الموضح - ٩٠ - ٩١



وقول زهير - يصف صقراً يطارد قطاة - :

فزلَّ عنها ووافى رأس مرقبة كمنصب العتر دمي رأسه الفسك<sup>(١)</sup>

...

وقول خفاف بن ندبة :

أبقى لها التَّعداء من عتداتها ومتونها كخيوط الكتان<sup>(٢)</sup>

يريد أن قوائمها دقت حتى عادت كخيوط الكتان .

وأراد ضلوعها فقال : متونها .

...

وقول أوس بن حجر في الناقة :

كان هراً جنيباً عند غرضتها والتف ديك برجليها وخنزير<sup>(٣)</sup>

يقول : كان هراً مقوداً عند صفحة خدها يخذشها فتغذ في السير .

وكان ديكا وخنزيراً التفأ برجليها ، فهي من خوفها تمنع في الإرقال .

وفي معنى الشطر الأول يقول عنتره :

هر جنيب كله عطف له غضي اتقاها باليدين وبالضم

يصفها بأنها تتنجى وتتباعد غضي خوف سنور مجنوب إليها ، فكلما

عطفت إليه غضي لتعضه ، استقبلها بالخدش بيده والعض بفمه .

...

(١) زل عنها : أى سقط الصقر عن القطاة ، والمرقبة : المكان المرتفع ينظر منه الرقيب . والمنصب كمنبر : أصل الشيء ، والعتر بالكسر : الصنم وكل ما ذبح ، وشاة كانوا يذبحونها لألهتهم كالعترة ، والفسك بالضم : الدم .

(٢) التَّعداء : العدو ، والعتدات : القوائم .

(٣) الغرضة بالضم : حزام الرجل ، والجنيب : المقود .



وقول لبيد :

ما عاتب الحرَّ الكريم كأصله والمرء يُصلحه المجلس الصالح  
وقد قالوا فيه : إنه جيد المعنى والسبك ، ولكنه قليل الرونق والماء .

\*\*\*

وقوله يصف الدرع :

نخمة ذفرام تُرتى بالعُـرا قَرْدُمَانِيَا وتركا كالْبصل<sup>(١)</sup>  
وهذا البيت معقد ثقيل لنقل بعض كلماته عن الفارسية<sup>(٢)</sup> .

...

وقول النابغة :

تخدِي بهم أدم كأن رحالها عاق أريق على متون صوار<sup>(٣)</sup>  
شبه رحال الإبل في حمرتها بلون دم مراق على ظهور بقر الوحش .  
وقد عده أبو الحسن بن طباطبا من التشبيهات البديعة التي لم يلاحظ  
أصحابها فيها ، ولم يخرج كلامهم في العبارة مخرجا سلسا<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

وقوله :

نظرت إليك بحاجة لم تقضها نظر السقيم إلى وجوه العود<sup>(٥)</sup>  
وقد عابه الأصمعي بين يدي الرشيد<sup>(٥)</sup> ، على أنه تشبيه لا يلحق ولا يشق  
غبار صاحبه .

(١) ترتى : تشد إلى فوق لتفشم عن لابسها ، وقردمانيا : سلاح معد كانت الأكاسرة  
تدخره في خزائنها ، وأصله بالفارسية « كردماند » ، ومعناه : عمل وبقي وهي الدروع  
القليظة ، والترك : البيض من الحديد جمع تركية ، والبصل : يشبه به الترك المحدد الوسط .  
(٢) الموشح - ٨٧ - المعجم في اللغة الفارسية - ٩٨ - لسان العرب مادة تقع ورتى .  
(٣) الأدمة في الإبل : لون مشرب سواداً أو بياضاً أو هو البياض الواضح ، والعلق  
حركة : الدم ، والصوار بالضم والكسر : القطيع من البقر الوحشي .  
(٤) الموشح - ٨٦ (٥) العمدة - ١ - ٢٠٥



ولم يجد المطعم إلا بذكر السقيم ، فإنه رغب عن تشبيه المحبوب به ،  
 وفضل عليه قول عدى بن الرقاع :  
 وكأنها وسط النساء أعارها عينيهِ أحور من جآذر جاسم  
 وسنان أقصده النعاس فرنقت في عينه رِصنة وليس بنائم  
 وقد عدّه أبو عمرو أحسن ما قيل في العيون<sup>(١)</sup> .

ولست مع الأصمعي في ذلك ؛ لأن نظرات السقيم إلى وجوه عانديه  
 الأصحاء مملوءة بالذل والحسرة والتوسل والانكسار والسهوم ، فشبه بها  
 نظرات العيون السقيمة من غير سقم بما كحلت به من سحر وفتون وذبول !  
 وقد جاء وصفها بأكثر من ذلك في قول العكوك :

وتخالها وسنى إذا نظرت أو مدنفًا لما يُفـُـسق بعد  
 بفتور عين ما بها رمد وبها تُداوى الأعين الرُمد  
 وقول آخر :

يسقيكها خنث الألفاظ ذوهيف كأن أجفانه أفرقن من داء<sup>(٢)</sup>  
 فقد صور الأجفان لشدة ذبولها وفترتها كأنها قريبة عهد بالشفاء  
 من الرمد .

وقد ذكر القالى<sup>(٣)</sup> : أن من أحسن ما قيل في فتور الطرف قول  
 أبي نواس :

ضعيفة كَرَّ الطرف تحسب أنها قريبة عهد بالإفاقة من سقم  
 والحق أن تشبيه النابغة لا يعاب ، فإن قصده أن يبالغ في تصوير

(٢) أفرق : برىء وأفان .

(١) ديوان المعاني - ١ - ٢٣٥

(٣) الأمالي - ١ - ١٣١



ما تضمنت جفونها من الذبول والانكسار والفتور ، وهو من سمات العيون الفتانة الساحرة للألباب .

وقد جرى الشعراء على ذلك قديماً وحديثاً ، وما من شك في أن هذه الفترة تتجلى في نظر السقيم إلى وجوه عواده ، لأن نظرتهم إذ ذاك يشوبها التأسف والتحسر على ما هو فيه ، حين يزن حاله بحال الأصحاء الذين يحفون بفراشه ، والصحة تاج على رموس الأصحاء لا يراه إلا المرضى ، فكأنه يقول : إن فتور عينيها بلغ الغاية التي لا غاية وراءها !

وقد خالف ابن قتيبة الأصمعي فيما ذهب إليه ؛ وعدّ بيت النابغة فيما يستجد له

وفسر البيت : بأنها نظرت إليك ولم تقدر أن تكلمك ، كما ينظر المريض إلى وجوه عواده ، ولا يقدر أن يكلمهم<sup>(١)</sup> .

ومن الغريب أن الأصمعي كان يروى وينشد قول بشر بن عبد الرحمن الأنصاري :

وقصيرة الأيام ودّ جلسها      لو باع مجلسها بفقد حميم

من محذيات أخى الهوى غصص الجوى      بدلال غانية ومقلة ريم<sup>(٢)</sup>

صفراء من بقر الجواء كأنما      خفر الحياء بها رداع مسقيم<sup>(٣)</sup>

فبالت شعري لم أعجب برداع السقيم — وهو تغير لونه من المرض — فشبه به لون هذه المحبوبة ، مع أن نظر السقيم أقرب إلى القبول من لون السقيم ! .

. . .

---

(١) الشعر والشعراء — ١٨ (٢) محذيات : معطيات .

(٣) الرداع كفراب : أثر الطيب والتغير من المرض .



وقوله للنعمان :

واحكمكم حكم فتاة الحى إذ نظرت إلى حمام سراع وارد الثمد<sup>(١)</sup>  
عابوه : بأنه أمره أن يحكمكم حكم امرأة .

ولست أرى مارأوه عيبا ، فلا يصح أن يعاب حكم لأن صاحبه امرأة  
لأن العبرة بالصواب ، وقد تصيب امرأة ويخطئ رجل كما قال عمر .

ثم إن المرأة هـا زرقاء اليمامة التى عرفت بحدة البصر ، وصار اسمها علما  
على النظر النافذ الذى يرى البعيد قريبا ، فلا يخطئ صاحبه فى الحكم  
حتى قيل :

إذا قالت حذام فصدقوها فإن القول ما قالت حذام

وحذام هى : زرقاء اليمامة .

فهى ليست ككل امرأة بل امرأة ممتازة ، وفى مثلها يقول المتنبي :  
ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال  
فما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير نحر للهِلال  
...

وقوله يضرع للنعمان :

خطاطيف حُجن فى جبال متينة تمد بها أيد إليك نوازع<sup>(٢)</sup>  
يقول قدامة فى معناه : ضاقت على الدنيا فكأنى من ضيقها فى بئر ،

(١) فى الحيوان للجاحظ ، وفى الصناعتين : سراع بالشين : أى مجتمعة داخلية فى الماء ،  
والثمد بإسكان الماء ويحرك : الماء القليل .

(٢) الخطاطيف : جمع خطاف بالضم ، وهو حديدة معوجة يختطف بها الشئ ، وحجن :  
معوجة ، ونوازع : منجذبة .



فإذا أردتني وأمرت بسوقى إليك ، فأنا أمد إليك بالخطاطيف لا أجد غيرك <sup>(١)</sup> .

وقال أبو محمد : رأيت علماءنا يستجيدون معناه ، ولست أرى ألفاظه جياداً ولا مبينة لمعناه ، لأنه أراد : أنت في قدرتك على كخطاطيف عُقف يمد بها ، وأنا كدلو تمد بتلك الخطاطيف .

ثم يقول : وعلى أنى أيضاً لست أرى المعنى جيداً <sup>(٢)</sup> .

وذكر ابن عبد ربه : أنه شبه نفسه بالدلو ، وشبه النعمان بخطاطيف حجن : يريد خطاطيف معوجة تمد بها الدلو <sup>(٣)</sup> .

ويقول الدكتور مندور : يحسم وقوعه المحتوم في يد الملك الذى أوعده ، وقد نظر حوله فرأى الدلو معلقة بالخطاطيف الحجن لا تستطيع منها إفلاتاً ، وما على الماتح إلا أن يجذها لتأتيه ، خفت قريحته إلى تشبيهه موقفه من النعمان بهذه الدلو <sup>(٤)</sup> .

ولا شك في تخالف المعنى الذى أراده قدامة وأراده غيره .

. . .

وقول أعرابي يصف رأس بعيره <sup>(٥)</sup> :

ترى شئون رأسه العواردا مضبورة إلى شَبَا حَدائدا

ضبرَ براطيلَ إلى جلامدا <sup>(٦)</sup>

وفى ذلك يقول أحمد بن عبيد الله بن عمار : قد سلك قوم من الأعراب

---

(١) نقد النثر - ٨٦ (٢) الشعر والشعراء - ٩

(٣) العقد الفريد - ٣ - ١٣١ (٤) النقد المنهجي - ٦٧

(٥) نسبة القاموس إلى حجل مولى بني فزارة .

(٦) شئون الرأس : موصل قبائلهم ، والعواردا . المنتبذة أو الغليظة ، والمضبورة .

المجموعة ، والبراطيل هنا : حجارة أو حدائد طوال صلاب خلقة تنقر بها الرحى .



الزلل والخطأ في أشعارهم مع رقة أذهانهم وصحة قرائحهم واقتدارهم على غريب الكلام .

ثم قال مشيراً إلى الشعر السابق : وما رأيت عالماً إلا وهو يذم هذا القول ، ويستقبح هذا النسيج<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقول الشماخ :

تَخَامَصُ عَنْ بَرْدِ الْوَشَّاحِ إِذَا مَشَتْ      تَخَامَصَ حَافِي الْخَيْلِ فِي الْأَمْعَزِ الْوَجِي<sup>(٢)</sup>  
يريد : تتخامص إذا مشت عن برد الوشاح ، تخامص حافي الخيل  
الوجي في الأمعر .  
فقدم وآخر .

\*\*\*

وقول أبي حية النخيري في رسوم الدار :

كَمَا خَطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمَا      يَهُودِي يَقَارِبُ أَوْ يَزِيلُ  
أراد : كما خط الكتاب بكف يهودي يقارب أو يزيل : أي يقارب  
الكتابة : بينها ، أو يزيلها : يباعدها .

\*\*\*

وقول امرأة من بني قيس :

هُمَا أَخَوَا فِي الْحَرْبِ مِنْ لَا أَخَالَه      إِذَا خَافَ يَوْمَا نَبُوءَ وَدَعَاهُمَا  
تريد : هما أخوا من لا أخاله في الحرب .

\*\*\*

---

(١) الموشح — ٤٤٣ .

(٢) تخامص : تتجافى ، والأمعر : المكان الصلب الكثير الحصى ، الوجي : المصاب بالوجي ، وهو رقة القدم والحافر والفرسن وانسجاجة .



وقول الفرزدق - يمدح إبراهيم بن هشام المخزومي خال هشام بن عبد الملك - :

وما مثله في الناس إلا مُلْكَا أبو أمه حتى أبوه يقاربه

ففي هذا البيت من التقديم والتأخير ما أحال معناه وأفسد إعرابه ؛ لأن مقصوده : وما مثله في الناس حتى يقاربه إلا مُلْكَا أبو أمه أبوه .

وترجمة الكلام : لا يوجد في الناس أحد يشبه هذا الممدوح إلا الخليفة هشام الذي أبو أمه - أي جده - أب لهذا الممدوح !

فالضمير في « أمه » للملك هشام ، وفي « أبوه » للممدوح وهو إبراهيم خال هشام .

ففصل بين « أبو أمه » وهو مبتدا ، و « أبوه » وهو خبره بأجنبي عنه وهو « حتى » .

وكذا فصل « حتى » و « يقاربه » وهو نعته بأجنبي وهو « أبوه » وقدم المستثنى على المستثنى منه فجاء كما ترى في غاية التعقيد !

وفيه يقول الرماني : قد اجتمع في البيت أسباب الإشكال الثلاثة : سوء الترتيب وبه تغير نظام الكلام ، وسلوك الطريق الأبعد في قوله : « أبو أمه أبوه » وكان يجزئه أن يقول : خاله وإيقاع مشترك الألفاظ في قوله « حتى » لأنها لفظة تشترك فيها القبيلة والحى من سائر الحيوان بالحياة !

\*\*\*

وقوله :

فليست خراسان التي كان خالد بها أسدا إذ كان سيفاً أميرها

فإن جماعة من النحويين قالوا : إنه يمدح خالداً ويلزم أسداً ، وقد كانا والين بخراسان ، وخالد قبل أسد .



وتقدير البيت : فليست خراسان بالبلدة التي كان خالد فيها سيفاً إذ كان أسد أميرها .

ويكون رفع « أسد » بكان الثانية ، وأميرها نعت له ، و « كان » في معنى وقع ، أو يكون في كان ضمير الشأن والقصة ، ويكون أسد وأميرها مبتدأ وخبراً في موضع خبر الضمير .

وقال أبو سعيد السيرافي : إن تقدير البيت عنده أن يجعل « أسد » بدلاً من خالد ، ويجعله هو « خالد » على سبيل التشبيه له بالأسد ، فكأنه قال : فليست خراسان التي كان بها أسد إذ كان سيفاً أميرها ، ويجعل « سيفاً » خبراً لكان الثانية ويجعل « أميرها » اسماً .

وعلى كلا التأويلين فلا خفاء بقبح البيت والتعسف فيه ، ووضع الألفاظ في غير مواضعها .

والفرزدق أكثر الشعراء استعمالاً للمعاطلة والتعقيد حتى كان يعتمد عليه ويقصده ليعجب النحويين وإن غاظ الأدباء !

. . .

وقوله : يهجو ابن هبيرة الفزاري وإلى العراق في عمـد يزيد بن عبد الملك :

أمير المؤمنين وأنت برّ      حلیم لست بالجشع الحريص  
أوليت العراق ورافديه      فزارياً أخذ يد القميص<sup>(١)</sup>

قال الشهاب الخفاجي : أخذ يد القميص : يكنى به عن السرقة ، واليد : استعارة .

ثم قال : ذكر ابن المكرم في كتابه الكناية وفي شرح ديوان

---

(١) الرافدان : دجلة والفرات لكثرة الانتفاع بهما ، وفي البيت روايات أخر .



الفرزدق : أنه أراد أخذ اليد كما يقال : خفيف اليد للسارق ، فاضطر إلى ذكر القميص<sup>(١)</sup>.

والحق أن كلمة القميص هنا ليست فضلة اضطر إليها الشاعر ، وإنما وقعت موقعا أصيلا تقتضيه البلاغة .

وقد قال الثعالبي : فإن كان خفيف اليد في الطرّ والسرقة قالوا : هو أخذ يد القميص .

ويد القميص هو الكم ، والسارق يقص كمه ويخففه ليكون أقدر على عمله ، ثم أورد بيت الفرزدق<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي الجرجاني : أخذ يد القميص : كناية عن السرقة والخيانة ، مأخوذ من الحذذ وهو الخفة .

ومعناه : أن كمه قصير فيده بادية للأخذ والخيانة .

ثم قال ويحتمل أن يكون كناية عن الدنائة والخسة وترك الهمة ؛ لأن أدوان الناس أكمهم قصيرة ، وأكثرهم يلبسون الصدّار<sup>(٣)</sup>.

. . .

وقوله :

وإن تمّ بها كلها غير سعدّها زعانف لولا عزّ سعدت لذت  
فقد وضع من قبيلته كلها وهجّاهم بهذا القول ، وإن مدح قومه الأدين .

. . .

وقوله :

وأصبح مبيضّ الضريب كأنه على سرّوات البيت قطن مندّف

(٢) الكنايات - ٤٠

(١) شفاء الغليل - ٢٩ - ٧٧ .

(٣) كنايات الأدباء - ٧٤ .



وقول بعضهم :

فأصبحت بعدَ خطِّ بهجتها كأن قفرا رسومها قلما

يريد : فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها !

وعندى أن هذا البيت مصنوع عن قصد ؛ لأن رداءة تركيبه ، وشدة معاذلة ، وسوء نسجه لا يمكن أن تحدث إلا بإعمال الفكر والروية ، واستنفاد الجهد في صوغه على هذا النهج الغريب .

\* \* \* \*

وقول ذى الرمة :

كأن أصوات من إيغالهن بنا أواخر الميس أصوات الفراريج<sup>(١)</sup>

يريد : كأن أصوات أواخر الميس أصوات الفراريج من إيغالهن بنا .

. . .

وقوله في وصف الثور :

كأنه كوكب في إثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضِب<sup>(٢)</sup>

أنشده الرماني ثم قال : قد اجتمع الثور والكوكب في السرعة ، إلا أن انقضاض الكوكب أسرع ، واستدل بهذا على جودة التشبيه .

ويقول ابن رشيق : وأنا أرى أن فيه دركا على الشاعر ، وإغفالا من من الشيخ المفسر ؛ وذلك أن الثور مطلوب والكوكب طالب فشبه به في السرعة والبياض ، ولو شبهه بالعفريت ، وشبه الكلب وراه بالكوكب لكان أحسن وأوضح ، لكنّه لم يتمكن له المعنى الذى أراد من فوت الثور الذى شبه به راحلته .

---

(١) الميس : شجر عظام وضرب من الكروم ، والتبختر ، والفراريج : أفراخ الدجاج .

(٢) منقضِب : منقطع من مكانه .



وأما ما أغفله الشيخ فإن الشاعر إنما رغب في تشبيه الثور بالسكوكب  
واحتمل عكس التشبيه — بأن جعل المطلوب طالباً — لبياضه ، فإن الثور  
لهق<sup>(١)</sup> لا محالة .

وأما السرعة التي زعم ، فإن العفريت لو وصفه به وشبهه بسرعته لما  
كان مقصراً ولا متوسطاً بل فوق ذلك<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وقول جرير :

طرقتك صائدة القلوب وليس ذا وقت الزيارة فارجى بسلام  
تجري السواك على أغر كانه برّد تحذر من متون غمام  
فليتة إذ كان طردها ما وصفها ، فالارتباط مفقود بين البيتين .

\*\*\*

وقول الأخطل :

قد كنت أحسبه قيناً وأنبؤهُ فاليوم طير عن أثوابه الشرر  
مدح به رجلاً من بني أسد كان قد أجاره ، وكان يقال لقوم الرجل :  
القيون ويعبرن بذلك .

والمعنى : فاليوم نفى ذلك عن نفسه ، أي صفة القيون .  
فما زاد أن نبه عليه ، وقد كان له في المادح متسع<sup>(٣)</sup> .  
وقد قال له الرجل — وكان يدعى سماكا — يا أخطل ، أردت مدحى  
فهجوتنى ! كان الناس يقولون قولاً فحقيقته<sup>(٤)</sup> .

...

(٢) العمدة ١ — ٢٠٢

(٤) سر الفصاحة — ٢٤٦

(١) اللهق كحذر : الأبيض

(٣) الموازنة — ٣٩



وقوله - يخاطب عبد الملك في شأن زفر بن الحارث - :  
 بنى أُمّية إن ناصح لكم فلا يديتن فيكم آمنا زُفر  
 يظل مفترشا كالليث كله لوقعة كائن فيها لها جزر  
 فأراد أن يضع منه فرفعه حتى خوف منه .

. . .

وقول رؤبة في نساء :

يُكسين من اين الشباب نيا

والنيم : الفرو الخلق ، وهو على غرابة لفظه يستهجن تشبيهه أجسام  
 النساء به في اللين والنعومة ؛ لأن الفرو لا يخلو من خشونة ، وبخاصة أنه  
 لم ينص على نوعه كفرو سمورة مثلا ، وما الظن بعد هذا إذا كان  
 فروا باليا !

وقد قال غيره : لها بشر مثل الحرير . . .  
 فأجاد وأصاب .

. . .

وقول العرجي :

وأشرب جلدي حبها ومشى به كمشي حُميا الكأس في جلد شارب  
 يدب هواها في عظامي وحبها كما دب في الملسوع سم العقارب  
 فتشبيهه ديب الهوى في العظام بديب السم في الملسوع غاية في البشاعة !  
 وهذا التصوير للحب لا يدل على الحب !

. . .

وقول كثير .

فما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندى جُججاشها وعرارها (١)



بأطيب من أردان عزة موهنا وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها  
وقد قيل : لو أن زنجية تبخرت بمندل رطب أمكانت أردانها طيبة !

...

وقوله :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين<sup>(١)</sup>  
وقد أنشده بشاراً فضحك ! وقال : لله أبو صخر ! جعلها عصا ثم يعتذر  
لها ! والله لو جعلها عصا مخ أو عصا زبد لكان قد أساء !  
ألا قال كما قلت :

وبيضاء المدامع من معدّ كأن حديدتها ثمر الجنان  
إذا قامت لسبحتها<sup>(٢)</sup> تثنت كأن عظامها من خيزران  
ينسبك المني نظر إليها ويصرف وجهها وجه الزمان  
ورواية المرتضى :

وحوراء المدامع من معدّ كأن قوامها ثمر الجنان  
وتشبيه القوام بالثمر غريب .

ورواية العقد الفريد : إذا قامت لحاجتها ، وهو أجود .

وفي رواية الأصمعي : أن رجلاً أنشد بشاراً قول الشاعر .

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا وتطمع فينا السن وعيون  
ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين  
فقال بشار : والله لو جعلها عصا مخ أو عصا زبد لما كان إلا مخطئاً مع  
ذكر العصا ، ألا قال كما قلت :

وبيضاء المحاجر من معدّ . . . « الأبيات السابقة ،

---

(١) الخيزرانة : كل غصن لين ينتهي . (٢) السبحة صلاة التطوع .



ومما يلاحظ أن بشاراً أكثر من الوصف بالخيزرانة ، فمن ذلك قوله من مقطوعة - يصف فيها مغنية وصفاً بارعاً :

لعمري أبي زُرَّارها الصَّيد إنهم	لنى منظر منها وحسن سماع
تُصَلِّي لها آذاننا وعيوننا	إذا ما التقينا والقلوب دواعى
وصفراء مثل الخيزرانة لم تعش	ببؤس ولم تتركب مطية راعى
إذا قللت أطرافها العود زلزلت	قلوبا دعاها للوساوس داعى
كأنهم فى جنة قد تلاحقت	محاسنها من روضة وبقاع
بروحون من تغريدها وحديثها	نشاوى وما تسقيهم بصواع <sup>(١)</sup>
لعوب بالباب الرجال وإن دنت	أطيع التقى والغنى غير مطاع

فليس القبح فيما مضى يرجع إلى التشبيه بالخيزرانة ، لأن الخيزرانة كل غصن لين يتثنى ، وهو وصف جميل للأقوام ، وإنما القبح جاء من ذكر العصا التى توحى بمعانى اليبس والجساسة والغلظ ، لا اللين واللدونة والرقّة .

. . .

وقول أبي عدى القرشى :

نحن الرموس وما الرموس إذا سمت فى المجد للأقوام كالآذنان  
فقوله : «الأقوام ، حشو لا منفعة فيه .

. . .

---

(١) الصواع بالضم : المكيال ، ومعناه عند على بن هارون : إذا غنت شربوا حزاقاً بلا كبل ولا وزن من حسن ما يسمعون .  
وقال المرتضى : هذا خطأ منه ، وإنما أراد أن غناها بفرط حسنه وشدة إطرابه ينشيان نشوة الخمر ، وإن لم يكن هناك شرب بصواع .  
ثم يقول : وما كان عندي : أن أحداً يتوهم فى معنى هذا البيت ما ظنه هذا الرجل .



وقوله :

يابن خير الأخيار من عبد شمس أنت زين الدنيا وغيث الجنود  
فليس غيث الجنود مقابلا لزين الدنيا ولا موافقا ، فالتقسيم هنا غير  
مستقيم .

ومثله قول ابن المعتز .

أرى ليلا من الشعر على شمس من الناس  
والجمع بين الليل والناس رديء ، وقد وقع هنا بارداً .  
ويلحق به فساد التفسير كقول بعضهم :

فأيها الحيران في ظلم الدجى ومن خاف أن يلقاه بغى من العدا  
تعال إليه تلق من نور وجهه ضياء ومن كفيه بحراً من الندى  
فإن هذا الشاعر لما قدّم في البيت الأول الظلم وبغى العدا ، كان الوجه  
في التفسير أن يأتي في البيت الثاني بما يليق به ، فأتى بالضياء بإزاء الظلم  
وذلك صواب .

وكان يجب أن يأتي بإزاء بغى العدا بالنصرة أو العصمة أو ما جرى  
مجرى ذلك ، فلما جعل مكانه ذكر الندى كان التفسير فاسداً (١) .

...

وقول آخر :

وتلحقه عند المكارم هزة كما انتفض المحموم من أم ملدم (٢)  
فجعل اهتزازه من أريحية الكرم كانتفاض المحموم من الحمى ، وبشاعته  
لا تخفى .

(١) سر الفصاحة - ٢٢٥ . (٢) أم ملدم كمنبر : كنية الحمى .



فأين هو من قول الآخر :

وتلاحقه عند المسكرم هزة كما اهتزت تحت البارح الغصن الرطب<sup>(١)</sup>  
وأين هو من قول الهذلي .

وإني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بالله القطر

...

وقول رجل من تميم :

ومنهم عمر المحمود نائله كأنما رأسه طين الخواتيم  
وقد أنشده الفرزق فضحك ثم قال: يا بن أخي، إن للشعر شيطانين  
يدعى أحدهما الهوبر والآخر الهوجل، فمن انفرد به الهوبر جاد شعره،  
ومن انفرد به الهوجل فسد شعره، وقد اجتمع لك في هذا البيت فكان  
معك الهوبر في أوله فأجدت، وخالطك الهوجل في آخره فأفسدت<sup>(٢)</sup>.

...

وقول بعض الشعراء :

يُزَجِّينَ بِكَرَا يَبْهَرُ الرِّيطَ مَتْنَهَا كما مار ثعبان الغضا المتدافع<sup>(٣)</sup>  
فشبه مشيتها بمشية الثعبان .

ومشية الثعبان ناعمة رقيقة حسنة لطيفة ، ولكن القبح جاء من لفظة  
الثعبان فليست مما يصطنع في التشبيهات الغزلية ، ولو أنه قال كما قال الآخر :

من المتصيدات لغير سوء تسيل إذا مشت سميل الحُباب

لبريء من العيب مع أن الحباب هو الحية .

ومثله قول شهاب الدين الأنسى البني :

(١) البارح : الريح الشديدة . (٢) جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي - ٣٠

(٣) يبهز : يغاب ، والريط : الثياب الرقيقة .



إذا خطرت في الروض نَعْمُ عَشِيَّةٌ      تفاوح من فضلات أَرْدَانِهَا العطر  
وإن سحبت أذياها قلت حية      إلى الماء تسمى ما لأخمصها إثر  
وهذا من قبيح التشبيه على ما فيه من الخلل .<sup>(١)</sup>

...

وقول بشار :

كأن إبريقنا والقطر في فمه      طير تناول ياقوتا بمنقار  
ولفظ طير ردى والجيد طائر.<sup>(٢)</sup>  
يعنى استعماله في المفرد ، وأما استعماله في الجمع فهو المقصود ، وفي  
القرآن الكريم : « وتفقد الطير ... »  
وقد وقع شوقي في هذا التهاوت حيث يقول :  
وإني لطير النيل لا طير غيره      وما النيل إلا من رياضك يُحسب

...

وقوله :

إنما عظم سليمى خلّى      قصب السكر لا عظم الجمل  
وإذا أدنيت منها بصلا      غلب المسك على ريح البصل

...

وقوله :

وبعض الجود خنزير !  
وكل ذلك من بارد الشعر وسفسافه ، وكثير على مثل بشار أن يقع فيه .

...

وقول أبي الشيص الخزاعي :



وناعس لو يذوق الحب ما نعسا      بلى عسى أن يرى طيف الحبيب عسى  
وللهوى جرس يُنفى الرقاد به      فكلماء كدت أغفى حرك الجرسا

...

وفيه يقول ابن داود : إنه من التشبيه الذى لا يقع أبعد منه (١).

...

وقول ابن أبي الفوارس :

جاءنى مكتما ملتثما      فدعونا لأكـل وعُجنا  
مدّ فى السفرة كفا ترفا      فحسبنا أن فى السفرة جينا

...

وقوله :

أنت ظبي أنت مسكى      أنت درى أنت غصنى  
فى التفات وثناء      وثنايا وثثنى

...

وقول أبي العتاهية :

كان عتابة من حسنـها      دمية قسّ فتنت قسّـها  
يارب لو أنسىتها بما      فى جنة الفردوس لم أنسها  
إنى إذا مثل التى لم تزل      دائبة فى طحنها كُدسها (٢)  
حتى إذا لم يبق منه سوى      حفنة برّ خنقت نفسها

...

وقوله :

ولّـنى حبها وصيرنى      مثل جحاش شهرة ومشغله

(١) الصناعتين — ١١٠ (٢) الكدس بالضم : الحب المحصور المجموع .



وقوله :

دعتب، ما شأنى وما شأنك      ترفقى أخت بسلطانك  
لما تبديت على بغلة      أشرقت الأرض ببرهانك  
حتى كأن الشمس مزفوفة      بين جواريك وخصيانك  
وفيه يقول المرزبانى : وهذا لعمرى كلام ضعيف <sup>(١)</sup> .

وليس هو ضعيفاً فقط ولكنه ردىء سخيف ، وكلمة الأخت التى اصطنعها فى معرض الغزل من الكلمات الساقطة النابية التى تشتمن منها نفوس الأشراف ، وقد رأيت بعض شعراء العصر يستعملونها للبرهنة على الحب العذرى وما دروا أن الحب — وإن كان عذرياً على زعمهم — يأنف أن تلبس فيه المحبوبة صورة الأخت ، وأن هذه عاطفة شاذة مريضة لا تجول إلا فى جوانح شاعر مثوف ينزع به عرق إلى المجوسية !

\*\*\*

وقول آخر :

إن قلبى سُلّ من غير مرض      وفؤادى من جوى الحب حرَض <sup>(٢)</sup>  
كجُراب كان فيه جُبٌّ      دخل الفأر عليه فقرض

\*\*\*

وقول آخر :

كأنها الشمس إذا ما بدت      تلك التى قلبى لها يضرب  
تلك سليمة إذا ما بدت      وما أنا فى ودها أرغب  
كان فى النفس لها ساحرا      ذاك الذى عليه المذهب <sup>(٣)</sup>  
وهو من النوع الفاتر السفساف كسابقه .

\*\*\*

(٢) الموشح — ٢٦١ (٢) حرض محرّك : قارب الهلاك من المرض .

(٣) المذهب بضم الميم وفتحها : شيطان الوضوء .



وقول العماني :

كأنما الطرف يرمى في جوانبه عن العمى وكأن النجم قنديل  
واجتماع العمى والقنديل في غاية التنافر ، والبيت من ردىء التشبيه .

\* \* \*

وقول آخر :

وقل أم عمرو داؤه ودواؤه لديها ورباها الطبيب الموافق  
والبيت جيد المعنى ردىء الوصف .

\* \* \*

وقول الحسين الخليع :

وشاطرى اللسان مخلق التكريه م زان المجون بالنسك<sup>(٢)</sup>  
كأنه نصب كأسه قمر يكرع في بعض أنجم الفلك  
والمعنى بديع ، ولكن العبارة ليست جيدة ، لأن قوله : يكرع : ليس  
بصحيح ، وفيه ثقل بين وتفاوت ، وفيه إحالة أيضاً لأن القمر لا يصح  
تصوره يكرع في نجم !  
وقد أخذه أبو نواس فقال :

إذا عبّ فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا  
وكلمه دعب فيها ، قصد منها المتانة ، وكان سبيله أن يختار سواها من  
ألفاظ الشراب ، ولو فعل ذلك كان أملح .  
وقوله : شارب القوم ، فيه ضرب من التكلف الذى لا بد له منه أو  
من مثله لإقامة الوزن .

ثم قوله :

خلته . . . يقبل في داج من الليل كوكبا

تشبيه بحال واحدة من أحواله ، وهو أن يشرب حيث لا ضوء هناك

---

(١) الشاطرى في الأصل : من أعيا أهله خبثا .



ولأنما يتناول له ليلا ، فليس بتشبيهه مستوف على ما فيه من الوقوع والملاحاة .

وقد قال ابن الرومي ما هو أوقع منه وأملح وأبدع وهو :

ومفهمف تمت محاسنه حتى تجاوز منية النفس  
تصبوا الكشوس إلى مراشفه وتحن في يده إلى الحبس  
أبصرته والكأس بين فم منه وبين أنامل خمس  
وكانها وكان شاربها قمر يقبل عارض الشمس  
ولا شك أن تشبيه ابن الرومي أحسن وأعجب ، إلا أنه تمكن من  
إيراده في بيتين ، وهما مع سبقهما إلى المعنى أتيا به في بيت واحد <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقول أبي نواس في الأمين :

تنازع الأحمدان الشُّبه فاشتركا خَلقا وُخِلقا كما قدَّ الشريكان  
فزعم : أن ابن زبيدة مثل الرسول — صلوات الله عليه — في خلقه  
وخلقه <sup>(٢)</sup> .

وهو من غلوه الممقوت ؟

\*\*\*

وقوله في صفة الباز :

في هامة علياء تهدي منسرا كمطفة الجيم بكف أعسرا <sup>(٣)</sup>  
يقول من فيها بعقل فكرا لو زادها عينا إلى فاء ورا  
فاتصلت بالجيم كانت جعفرا

وفي ذلك يقول العسكري : سمعت بعض العلماء يقول : ومن المعاني

(١) إعجاز القرآن للباقلاني — ١٤٧ (٢) الصناعتين — ١٣٠

(٣) المنسر كمجاس ومنبر : المنقار ، والأعسر : من يعمل بيده الشمال .



الباردة قول أبي نواس في صفة البازي .  
وقد وصفوا البيت الأول بأنه جيد مستوف .  
وقالوا في الباقي : فمن يجهل أن الجيم إذا أضيفت إليها العين والفاء والراء  
تصير جعفرًا !

وسواء قال هذا أو قال :  
لو زادها حاء إلى دال ورا فأتصلت بالجيم صارت جحدرا  
وما يدخل في صفة البازي من هذا القول (١)  
وتبعه أبو تمام فقال :

هن الحمام فإن كسرت عيافة من حائن فإنهم حمام  
فمن الذي جهل أن الحمام إذا كسرت حاؤه صار حماما .  
وإنما أراد أبو نواس أن يشبه الجيم لا يغادر من شبهها شيئاً ، حتى  
لو زاد عليها هذه الأحرف صارت جعفرًا لشدة شبهها به .  
ثم يقول العسكري : وهو عندي صواب إلا أنه لو اكتفى بقوله :  
كعطفة الجيم بكف أعسرا

ولم يزد الزيادة التي بعدها كان أجود وأرشق وأدخل في مذاهب  
الفصحاء وأشبه بالشعر القديم .

وأما قول أبي تمام فله معنى بخلاف ما ذكره ، وذلك أنه أراد أنك  
إذا أردت الزجر والعيافة أذاك الحمام إلى الحمام ، كما أن صوتها الذي يظن  
أنه بكاء إنما هو طرب ويؤديك إلى البكاء الحقيقي .

وهذا المعنى صحيح إلا أن المعنى إذا صار بهذه المنزلة من الدقة كان كالمعنى  
والتعمية حيث يراد البيان عي .

\* \* \*



وقول أبي نواس - أيضا - في الخمر .

توهمتها في كأسها فكأما توهمت شيئا ليس يدرك بالعقل  
خرج إلى المحال في تشبيهه حين جعلها لا تدرك بالعقل !

\* \* \*

وقوله :

يامن جفاني وملا نسيت أهلا وسهلا  
ومات مرحب لما رأيت مالى قلا  
إني أظنك فيما فعلت تحكى القرى<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقوله :

وأمر الجـلدة صيرته في الناس زاغا وشقراقا<sup>(٢)</sup>  
جاء بألفاظ العامة والسوقة

\* \* \*

وقوله :

وليس كجدتيه أم موسى إذا نسبت ولا كالحيزران  
وهذا مدح فصل نازل إلى الحضيض ، وزاده ضعفا تصريحه فيه بذكر  
النساء !

\* \* \*

وقول أبي تمام :

وكان فارسه يصرف إذ بدا في مته ابنا للصباح الأبلق

---

(١) القرى : من طيور الماء صغير الجرم شديد القوس سرهم الخطف .

(٢) الزاغ : غراب صغير إلى البياض ، والشقراق بكسر الشين وفتحها وتشديد الراء

وكفرطاس : طائر مرقط بنخضرة وحمرة وبياض يكون بأرض الحرم .



فجعل الفرس ابنا للصباح الأبلق !

\* \* \*

وقوله :

لك قد أرق من أن يحاكي بقضيب في النعت أو بكثيب  
والقد لم تجر العادة بوصفه بالركة ، وإنما يوصف بالهيف والنحول مثلا .  
ثم هو يشبه بالقضيب ولكن لا يشبه بالكثيب ؛ وإنما يشبه به الردف .

\* \* \*

وقوله :

متفجر نادمته فكأنني للدلو أو المرزمين قديم  
والدلو هنا : أحد البروج ، والمرزمان : نجان مع الشعريين .  
وأنت تجدد بأقرب تأمل فرق ما بين قول القائل لمن يمدحه : أنت  
المرزم جودا والعجّة لمن يقصدك عزا ، وبين قولك : أنت الدلو كرما ،  
والكثيف لطريد الدهر سعة .

والمعنيان صحيحان ، وحسن إحداهما وقبح الآخر لا خفاء به (١) .

\* \* \*

وقوله :

أنت دلو وذو السباح أبو موسى قلب وأنت دلو القلب  
ومراداه من ذلك أنه جعله سبيا لعظام المشار إليه ، كما أن الدلو سبب في  
امتياح الماء من القلب .  
ولم يبلغ هذا المعنى من الإغراب - كما يقول ابن الأثير - إلى حد  
يدندن حوله هذه الدندنة ، ويلقيه في هذا المثال السخيف (٢) .  
ومثله في ذلك قول علي بن الجهم في مدح المتوكل .



أيها الدلو لا عِدْمَنَّاكَ دلوا من جِيَادِ الدَّلَاءِ صُأَبُ الصُّلَيْبِ  
أنت كالدلو لا عِدْمَنَّاكَ دلوا من كَثِيرِ العَطَا قَلِيلِ الذُّنُوبِ  
أنت كالكلب في حِفَافَتِكَ اللُودِ م وكالتيس في قِرَاعِ الخُطُوبِ  
والشَّنَاعَةُ هُنَا جَاءَتْ مِنْ قَبْلِ اللَّفْظِ ، وإِلَّا فَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ  
يَعْدُ غَايَةَ الْغَايَاتِ فِي الصِّفَةِ الَّتِي أُرِيدَ بِهَا الْمَدْحُ .

وقد يغتفر لابن الجهم قوله هذا لأنه كان متبدياً إذ ذاك ، ولكن  
كيف يغتفر ذلك لأبي تمام المديني المتحضر !

\*\*\*

وقوله :

ضاحي المحيا للهجير وللقنا تحت العجاج تخاله محراثا  
وفيه يقول ابن رشيق : فلعنة الله على هذا المحراث ههنا ! ما أقبحه  
وأرَّكه ! وأين هذا كله من قوله المليح البديع .

أو ما رأيت بردى من نسج الصبا ورأت خضاب الله وهو خضائي  
وإن كان أخذه من قول الله - عز وجل - : « صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ  
مِنْ اللَّهِ صِبْغَةً » (١) .

\*\*\*

وقوله :

كأنني حين جردت الرجا له غضبٌ صببت به ماء على الزمن  
وقد علق عليه العسكري بقوله : ولا يكاد يرى تشبيه أبرد من هذا . (٢)  
ورواه البديعي (٣) هكذا :  
كأنني حين جردت الرجا له محضاً أخذت به سيفاً على الزمن



ومعنى البيت على هذه الرواية : أننى بقصر رجائى عليه أصبحت قويا  
منيعا ، حتى كأننى شهرت سيفى على الزمن ، وبذلك ينتفى منه العيب .

\*\*\*

وقوله :

للجود باب فى الأنام ولم تزل      مذ كنت مفتاحا لهذا الباب  
وقد ذكر ابن رشيق<sup>(١)</sup> : أن بعض الناس اعترض على هذا البيت  
بمحضرة بعض أصحابه وقال : أتى إلى ممدوحه فجعله مفتاحا ، فهلا قال كما قال  
ابن الرومى :

قبل أنامله فلسف أناملا      لكنهن مفاتيح الأرزاق  
فقال له آخر : عجبت منك تعيب أن يجعل ممدوحه مفتاحا وقد جعل  
ربه كذلك فى قوله :

والله مفتاح باب المعقل الأشب<sup>(٢)</sup>

ولا خلاف أن التشبيه بالمفتاح قبيح فى باب المديح ، وبخاصة حين يتجه  
به الخطاب إلى الممدوح كما فى قول أبى تمام المتقدم .

وقد تابعه على هذه الإساءة السرى الرفاء فى قوله :

عصابة لو شهدت مجلسهم      كنت شهابا لهم ومصباحا  
أغلق باب السرور دونهم      فكأن باب السرور مفتاحا  
ولكن مما يهون الخطب هنا : أن المقام مقام هزل لاجد وأنس وتبسط  
لاتزمت ووقار .

وقريب من هذا قول أعرابى :

وإذا المكارم أغلقت أبوابها      يوما فانت لقفلها مفتاح  
فإن القفل أيضا لا بد له من مفتاح .



وعلى ذلك نرى أن كلمة مفتاح تحسن إذا وقعت في غير المدح كقول  
على بن عبد الله الجعفرى :

ربما سرتنى صدودك عنى وطلايبك وامتناعك منى  
حذرا أن تكون مفتاح غيرى فإذا ما خلوت كنت التمنى  
فكلمة مفتاح هنا متعينة في مكانها ، وهى من بديع الكنايات أيضا .  
فهو يريد أن يقول : إنه يرحب بصدود المحبوب وامتناعه عليه برغم  
هيامه به ، لأن انقياده له يجعله سلس القياد لغيره ، لين العريكة فيما يطلب  
منه ، وهو لا يريد أن يكون مفتاحاً لباب الطمع فيه ، فالحرمان فى هذه  
الحال أشهى إليه من الوصال .

وكذلك نجد كلمة مفتاح تحسن إذا وصف بها غير الإنسان كالجوارح  
والأخلاق والأشياء المعنوية ، وذلك كقول ابن الرومى المتقدم :  
قبل أنامله فلسن أناملا . . . . .

وقد قيل : إنه أحسن ما قيل فى معناه (١) .

ومن فصل للبديع الهمداني : قبلت من يميناه مفتاح الأرزاق ، ومفتاح  
الآفاق .

وقول الشاعر :

خزّ عمامتُـه حلو فكاهته فى كفه من رُقـى الشيطان مفتاح  
وقول الراجز :

إنى بغيت الشعر وابتغانى حتى وجدت الشعر فى مكانى  
فى عيبة مفتاحها لسانى

وقول بعضهم :

ألم تر مفتاح الفؤاد لسانه إذا أهو أبدى ما يقول من الفم



وقول آخر :

مفتاح باب الفرج الصبر      وكل عسر بعده يسر  
وكل من أعتك أخلاقه      فإنما حيلته الهجر  
وقولهم : مفتاح الفتن .

وهو مقتل عثمان أو الحسين - رضى الله عنهما - .  
فمفتاح فيما تقدم لا يمكن أن يقال : إنها قبيحة .

وعند التأمل الدقيق يظهر لنا أن قبح « مفتاح » يتجلى أبين ما يكون  
حينما يقترن بلفظ « الباب » أو « القفل » .  
ولعل السر في هذا : أن اقتران المفتاح بالباب والقفل يجعل التشبيه  
قريبا جداً من عالم الواقع .

وبهذا القرب يصبح الموصوف أدنى إلى أن يكون آلة جامدة صماء ،  
وإن شئت فقل : مفتاحاً بالفعل .

وأية ذلك أننا لا نشعر بهذا النبوء في قولك مثلاً : جعلك الله مفتاحاً  
للخير مغلاقاً للشر !

ولا في قولهم لعمر بن الخطاب : مفتاح الأمصار (١) .

\*\*\*

وقوله :

فإذا ما أردت كنت رشاء      وإذا ما أردت كنت قليباً  
يريد أنه مرة يكون رسول الخير ، وأخرى يكون مصدر الخير نفسه .  
فجعله لذلك مرة حبلاً وأخرى بئراً .  
والرشاء والقليب كالدلو والمفتاح في شعره السابق سنخفا وركة .

---

(١) قيل له ذلك لأنه أول خليفة مصر الأمصار وفتح أكثرها .



وجاء السرى الرفاء فقال :

نراك إذا كان الندى في قلبه رشاء فإن يعْلُ اتَّخذناك مسلما  
وجاء مهيار أيضا فقال :

لك الخير مولى رميت المنى رشاء إليه فروى قلبيا  
فجعله قلبيا .

ولم تقبح لفظة « قلبيا » هنا قبحها في بيت أبي تمام السالف ، لأن الممدوح  
لم يخاطب بها خطاب مواجهة لأنها لم تقع خبرا عنه .

وعلى كل فتشبيه الممدوح بأنه قلب أهون من تشبيهه بأنه رشاء وسلم .  
ويلاحظ حسن لفظة رشاء في القول المتقدم .

رميت المنى رشاء إليه . . . . .

وكذا في قول أبي الفتح البستي : الرشوة رشاء الحاجة .  
والسبب : أنها لم تقع وصفا للإنسان .

\* \* \*

وقول أبي تمام أيضا :

صارت المكرمات بزلا وكانت أدخلت بينها بنات مخاض  
شبه المكرمات بالنوق البزل - وهي التي بلغت سن التاسعة - بعد أن  
كانت بنات مخاض - وهي إناث النوق التي دخلت في السنة الثانية وحملت  
أماتها .

والتشبيه غاية في الغثاثة ، ولأبي تمام كثير من هذا النوع .

وقوله :

خلق كالمدام أو كرضاب المسك م أو كالعـير أو كالملاب  
وقد عابوا قوله هذا : بأن الناس يقعون من الدون إلى الأعلى ، وهذا



من الأعلى إلى الدون ، فجعل خلقه كالمدام أو كالمسك ، ثم قال : أو كالعبير  
أو كالملاّب (١) .  
وقوله :

سما بى أوس فى الفخار وحام      وزيد القنا والأثرمان ورافع  
نجوم طواليع جبال فوارع      غيوث هواميع سيول دوافع  
فإن السيول دون الغيوث ، والجبال دون النجوم ، ولو قدم ما آخر  
لما اختل النظم ، بأن قال :

سيول دوافيع غيوث هوامع      جبال فواريع نجوم طوالع  
وذلك أن من عادة العرب فى التخاطب أن يبدأوا فى باب المديح وشبهه  
بالصفة الدنيا ، ثم يثنون بأعلى منها وهكذا إلى أن ينتهوا إلى آخرها وعكس  
ذلك فى الذم .

وقد ورد على ذلك قول البحرى فى وصف نحول الإبل :

يترقن كالسراب وقد خُضن م غمارا من السراب الجارى  
كالقسي المعطّفات بل الأسهم م م ——— برية بل الأوتار  
فترقى فى تشبيه النحول من القسي المنحنية إلى الأسهم المبرية إلى الأوتار  
وهى أشد الثلاثة نحولا ورقة .

ويقول ابن الأثير : وقد أغفل كثير من الشعراء ذلك ؛ فن جماتهم  
المتنبى فى قوله - يمدح بدر بن عمار الأسدى - :

يابدر بابحر يا غمامة ياليث م الشرى يا حمام يارجل  
وكان ينبغى أن يبدأ فيه بالأدنى فالأدنى ، فإنه إذا فعل ذلك كان كالمترفع  
من محل إلى محل أعلى منه ، وإذا خالفه كان كالمخفض من محل إلى محل  
أدنى منه .

(١) الملاّب بفتح الميم : عطر ، أو الزعفران .



فأما قوله : يا بدر ، فإنه اسم الممدوح والابتداء به أولى ، ثم بعد ذلك يجب أن يقول : يا رجل ، ياليت ، يا غمامة ، يا بحر ، يا حمام ، لأن الليث أعظم من الرجل ، والبحر أعظم من الغمامة ، والحمام أعظم من البحر ، وهذا مقام مدح فيجب أن يرقى فيه من منزلة إلى منزلة حتى ينتهى إلى المنزلة العليا آخرها ، ولو كان مقام ذم لعكس القضية .

ثم يوازن بين قول المتنبي وقول أبي تمام السابق :  
نجوم طواليع . . .

فيقول : وهو عندي أشهر ملامة من المتنبي ؛ لأن المتنبي لا يمكنه تقديم ألفاظ بيته وتأخيرها ، وأبو تمام متمكن من ذلك ؛ وما أعرف كيف ذهب عليه هذا الموضع مع معرفته بالمعاني<sup>(١)</sup> .

ومع هذا يمكننا أن نلتمس العذر للمتنبي ونبعد عنه الملامة ، إذا نظرنا إلى أنه شبهه بهذه الأشياء ، كل منها على انفراد لمعان تصدق عليها .

فهو بدر في الحسن والوضاء والرفعة ، وبحر في سعة المسكاهم ، وغمامة في جوده الذي عم القريب والبعيد لأن الغمام متنقل ، وليث في الشجاعة والجرأة والإقدام ، وموت في استئصال أعدائه وقتلهم ، ورجل في أنه جمع هذه الصفات الكثيرة الغريبة المتباينة ، وهو في كنهه إنسان ، وكأنه يشير إلى قول أبي نواس :

وليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

\*\*\*

وقول البحترى :

تبسم وقطوب في ندى ووغى كالرعد والبرق تحت العارض البرد  
وفيه يقول ابن الأثير : وهذا من أحسن التشبيه وأقربه ، إلا أن فيه



إخلالا من جهة الصنعة — وهو ترتيب التفسير — فإن الأولى أنه كان  
قدم تفسير التيسم على تفسير القطوب ؛ بأن قال :  
كالبرق والرعد . . .

فانظر أيها المنتمى إلى هذا الفن كيف ذهب على البحترى مثل هذا  
الموضع على قربه مع تقدمه في صناعة الشعر ، وليس في ذلك كبير أمر  
سوى أن كان قدم ما آخر لا غير ، وإنما يعذر الشاعر في مثل هذا المقام  
إذا حكم عليه الوزن والقافية واضطر إلى ترك ما يجب عليه ، وأما إذا كانت  
الحال كالتي ذكرها البحترى فينبذ لا عذر له (١) .

\*\*\*

وقول البحترى أيضا من قصيدة :

كالبدر غير مخيل والغصن غير م ميميل والدعص غير مهيئ  
هذه الاستثناءات ضرب من التكلف ؛ لأن التشبيه بالغصن كاف فإذا  
زاد فقال : كالغصن غير معوج كان ذلك من باب التكلف خللا ، وكان  
زيادة يستغنى عنها .

وكذلك قوله : كالدعص غير مهيئ ، لأنه إذا انهل خرج عن أن يكون  
مطلق التشبيه مصروفا إليه ، فلا يكون لتقييده معنى .

\*\*\*

ومنها قوله في الفرس :

وأغر في الزمن البهيم محجل قد رحت منه على أغر محجل  
كالهيكل المبني إلا أنه في الحسن جاء كصورة في هيكل  
ذكر الهيكل في البيت الثاني ورد عجز البيت عليه ، وظن أنه قد ظفر  
بهذه اللفظة وعمل شيئا حتى كررها .



وهي كلمة فيها ثقل ، ونحن نجدهم إذا ما أرادوا أن يصنعوا نحو هذا قالوا : ما هو إلا صورة ، وما هو إلا تمثال ، وما هو إلا دمية ، وما هو إلا ظبية ، ونحو ذلك من الكلمات الخفيفة على القلب واللسان . وقد استدرك هو أيضا على نفسه فذكر أنه كصورة في هيكل ، ولو اقتصر على ذكر الصورة وحذف الهيكل كان أولى وأجمل ، ولو أن هذه الكلمة كررها أصحاب العزائم على الشياطين لراعوهم بها وأفزعوهم بذكرها ، وذلك من كلامهم وشيئه بضاعتهم .

...

ومنها في وصف أذنيه :

متوجَّس برقيقتين كأنهما تَريان من ورق عليه موصل  
يقول : إن الأذنين كأنهما من ورق عليه موصل ، وإنما أراد بذلك حدتهما ومرة حركتهما واحساسهما بالصوت كما يحس الورق بحفيف الريح .

وظاهر التشبيه غير واقع وإذا ضمن ما ذكرنا من المعنى كان المعنى حسناً ولكن لا يدل عليه اللفظ ، وإنما يجري مجرى المضمن ، وليس هذا برائق اللفظ ولا مشاكل فيه لطبعه غير قوله : متوجس برقيقتين ؛ فإن هذا القدر هو حسن .

...

وقوله في السيف :

وكأنما سود النمال وحرها دبَّت بأيد في قرأه وأرجل<sup>(١)</sup>  
المعنى مكرر على السنة الشعراء ، وتصنيعه بسود النمال وحرها ليس بشيء ، ولعله أراد بالحر : الذر<sup>(٢)</sup> .

والنفصيل بارد والإغراب به منكر ؛ وهو كما حكى عن بعضهم أنه

(١) القرا بفتح القاف : الظهر . (٢) الذر : صغار النمل .



قال : كان كذا حين كانت الثريا بجذاء رأسي على سواء أو منحرفا قدر  
شبر أو نصف شبر أو إصبع أو ما يقارب ذلك ! .  
فقليل له : هذا من الورع الذي يبغضه الله ويمقتة الناس !  
ورب زيادة كانت نقصانا ؛ وصفة النبل بالسواد والحمة في هذا من  
ذلك الجنس وعليه خرج بقية البيت في قوله : دبت بأيد . . .  
وكان يكفي ذكر الأرجل عن ذكر الأيدي ، ووصف الفرند بمدب  
النمل شيء لا يشذ عن أحد منهم .

. . . .

ومنها في المدح :

عال على نظر الحسود كأنما جذبته أفراد النجوم بأحبل  
ومنكر جداً جر النجوم بالأرسان موضعه إلى العلو ، والتكاف  
فيه واقع <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

وقول ابن الرومي يهجو امرأة :

من شعرها من فضة وثغرها من ذهب  
وقد كان بعض الأدباء يعيبه ويقول : إن التشبيه بالفضة والذهب  
إنما ينفع في المدح ، وكان يجب أن يهجو هذه المرأة بما يستعمل من ألفاظ  
الذم وطرقه .

وقد عده الخفاجي من وضع الألفاظ في غير مواضعها <sup>(٢)</sup> .  
ونحن لا نرى ذلك بل نعد البيت من أجود أنواع الهجاء لأنه مع  
خبث معناه ودقة مسلكه بعد عن ألفاظ القذف والسب التي عرف بها  
ابن الرومي ؛ فهو يريد أن شعرها أبيض كالفضة ، وأسنانها صدئة صفراء

(١) انظر نقد الباقلائي لهذه القصيدة في إعجاز القرآن - ١٧٥

(٢) الخفاجي - ١١١



كالذهب، فعبر عن ذلك بهاتين السكنايتين اللطيفتين، ولا معنى لقول بعضهم:  
إن التشبية بالفضة والذهب إنما ينفع في المدح فقط، لأن الألفاظ تصلح  
للاستعمال في المدح والذم معا بحسب إرادة المتكلم وتصريفه لوجوه الكلام.

\*\*\*

وقول السرى الرفاء :

ونيلوفر أوراقه الخضر تحتها بساط إليه أعين النجم شخص  
وهو غير مختار الرصف ظاهر التكلف.

\*\*\*

وقول الصابي :

نعم الله كالوحوش وما تألف م إلا الأخـايرَ النساكا  
نفرتها آثام قوم وصارت لأولى البر والتقى أشراكا  
والمعنى جيد، ولكن تشبيهه نعم الله بالوحوش لا يصدر إلا من وحشى  
الطباع !

\*\*\*

وقول المتنبي :

كأن دحوت الأرض من خبرتى بها كأنى بنى الإسكندر السد من عزمى  
فشبهه نفسه بالخالق - تعالى عما يقوله الظالمون - ثم انحط إلى الإسكندر  
مع ما فيه من الإغراق<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

وقوله :

وملهـومة سيفية رابعة يصيح الحصى فيها صياح اللقالق  
يريد بالملهومة : السكتية المجموعة ، وسيفية رابعة : منسوبة إلى سيف



الدولة وإلى ربيعة التي منها تغلب قبيلته ، واللقاق : ضرب من الطير ، وصياح الحصى : أراد به صوتها عند وقع حوافر الخيل ؛ شبهه بصوت اللقاق .

واللقاق من الألفاظ العامة المبتذلة :

\*\*\*

وقوله :

ومن الناس من تجوز عليه شعراء كأنها الخازباز  
الخازباز ببناء الجزأين على الكسر : حكاية صوت الذباب ، ثم سمي به الذباب نفسه .

يريد أن بعض الناس لغفلتهم تروج عندهم شعراء كالذباب في طنينه ! .  
وقد عد ابن الأثير هذا البيت من مضحكات الأشعار ، وأنه من جملة البرسام الذي ذكره في شعره حيث يقول :

إن بعضنا من القريض هُراء ليس شيئاً وبعضه أحكام<sup>(٢)</sup>  
منه ما يجلب البراعة والفهم م ومنه ما يجلب البرسام<sup>(٣)</sup>  
والبرسام : علة يهذى فيها .

\*\*\*

وقوله :

بليت الأطلال إن لم أقف بها وقوف شحيح ضاع في التراب خاتمه  
قالوا : أراد التناهي في إطالة الوقوف فبالغ في تقصيره ، وكم عسى  
هذا الشحيح بالغا ما بلغ من الشح ، وواقعا حيث وقع من البخل أن يقف  
على طلب خاتمه !

---

(١) انثل السائر - ٧٠ (٢) في الديوان : هذاء بضم الهاء وهو الهذيان .

(٣) ما يجلب : أى يجلبه ، وفي الديوان : البراعة والفضل .



والخاتم أيضا ليس مما يخفى في التراب إذا طُلب ولا يعسر وجوده إذا فُتّش .

وقد اعتذر عنه القاضى الجرجانى بقوله : وأقرب ما يقال فى هذا : أن الشاعر حينما أراد أن يقول : أقف وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمهُ ، لم يرد التسوية بين الوقوفين فى القدر والزمان والصورة ، وإنما يريد : لأقفن وقوفاً زائداً على القدر المعتاد خارجاً عن حد الاعتدال ، كما أن وقوف الشحيح يزيد على ما يعرف فى أمثاله ، وعلى ما جرت به العادة فى أضرابه .

وهو كقول الشاعر :

رُبَّ لَيْلٍ أَمَدٌ مِنْ نَفْسِ الْعَا شَقَّ طَوْلًا قِطْعَتَهُ بِانْتِحَابِ  
وَنَفْسِ الْعَاشِقِ بِالْعَا مَا بَلَغَ لَا يَمْتَدُّ امْتِدَادُ أَقْصَرِ أَجْزَاءِ اللَّيْلِ ، وَإِنَّمَا  
مُرَادُهُ أَنَّ هَذَا اللَّيْلَ زَائِدٌ فِي الطَّوْلِ عَلَى مَقَادِيرِ اللَّيَالِي كَزِيَادَةِ نَفْسِ الْعَاشِقِ  
عَلَى الْإِنْفَاسِ . (١)

\*\*\*

وقوله فى وصف الحمى :

إِذَا مَا فَارَقْتَنِي غَسَّـلَتِي كَأَنَّا عَاكِفَانِ عَلَى حَرَامٍ  
وَهُوَ مُعَيَّبٌ لِأَنَّ الْغَسْلَ غَيْرُ مَقْصُورٍ عَلَى الْحَرَامِ وَحْدَهُ ، بَلْ هُوَ مِنْ  
الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ جَمِيعًا ، فَلَيْسَ لِتَخْصِيصِ الْحَرَامِ بِهِ وَجْهٌ .

\*\*\*

وقوله :

وَفَاؤُكَ كَالرَّبْعِ أَشْجَاهُ طَاسِمِهِ بَأَنْ تُسْعِدَا وَالدَّمْعُ أَشْفَاهُ سَاجِمِهِ  
وَقَدْ أَغْرَبَ فِيهِ حَتَّى قَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ : إِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ إِلَى الْإِصْمَعِيِّ أَنْ  
يُفْسِرَ مَعْنَاهُ (٢) .



وقال فيه الثعالبي : وهو ما تكلف له اللفظ المتعقد والترتيب المتعسف  
لغير معنى بديع يفي شرفه وغرابته بالتعب في استخراجها ، ولا نقول : تقوم  
فائدة الانتفاع به بأداء التأذي باستماعه<sup>(١)</sup> .

ومعنى البيت : يقول لصاحبيه اللذين عاهداه على مساعدته بالبكاء عند  
ربيع المحبوب : وفاؤكما بمساعدتي على البكاء كهذا الربيع ، فإن الربيع كلما درس  
كان أبعث على الحزن ، وكذلك وفاؤكما كلما ضعف ومساعدتكما كلما قلت ، اشتد  
حزنى لفقد من أتانى به .

وقوله : والدمع أشفاه ساجمه : بيان لعذره في البكاء وحجة على  
صاحبيه بأنهما خاليان مما هو فيه من الوجد ، لأنهما لو كانا مثله لاستشفيا  
بالدمع مثله كما هو شأن الحزين .

والغرابة والتعقيد جاما من لفظة طاسم : بمعنى الطامس ، وتعلق الباء  
في : بأن تسعدا بوفاء الواقع مبتدا ، وهو من الضرورات القبيحة لأن الاسم  
لا يخبر عنه إلا بعد تمامه .

\* \* \*

وقوله — يمدح عبد الله بن يحيى البحتري :

ولو نقصت كما قد زدت من كرم على الورى لرأونى مثل شانيكا  
يقول : لو نقصت أنا عن الناس كما زدت أنت عليهم لرأونى خسيسا  
مثل عدوك .

ففرع عن وصف الممدوح بزيادة الكرم على الناس : أنه لو نقص بقدر  
هذه الزيادة لعدّ نذلا مثل مبغضيه .

وهذا هو التفريع الملعون كما يقول ابن رشيق<sup>(٢)</sup> .

\* \* \*



وقوله :

العارض الهتن ابن العارض الهتن ابن م العارض الهتن ابن العارض الهتن  
وقد قال فيه الخفاجي : فأما قول أبي الطيب ، فمن أقبح ما يكون من  
التكرار وأشنعه ، وإذا كان يقبح تكرار الحروف المتقاربة المخارج ،  
فتكرار الكلمة بعينها أقبح وأشنع .

وفيه يقول ابن الأثير : وقد زعم قوم من مدعى هذه الصناعة : أن  
أبا الطيب أتى في هذا البيت بتكرير لا حاجة به إليه .

وليس في هذا البيت من تكرير ؛ فإنه كقولك : الموصوف بكذا  
وكذا ، ابن الموصوف بكذا وكذا .

أى إنه عريق النسب في هذا الوصف .

وقد ورد في الحديث النبوى مثل ذلك كقول النبي في وصف يوسف  
الصدىق - صلوات الله عليهما - د الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن  
الكريم : يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ثم يقول : ولقد فاونى في هذا البيت المشار إليه بعض علماء الأدب  
وأخذ يطعن فيه من جهة تكراره ، فوقفته على مواضع الصواب منه  
وعرفته أنه كالخبر النبوى من جهة المعنى سواء بسواء ، ولكن لفظه ليس  
بمرضى على هذا الوجه الذى قد استعمله فيه ، فإن الألفاظ إذا كانت  
حسانا فى حال انفرادها فإن استعمالها فى حال التركيب يزيد لها حسنا على  
حسنها ، أو يذهب ذلك الحسن عنها .

ولو تها لآنى الطيب أن يبدل لفظة العارض بلفظة السحاب أو ما يجرى  
بجراها لكان أحسن .

وكذلك لفظة الهتن ، فإنها ليست مرضية فى هذا الموضع على  
هذا الوجه .



ولفظه العارض وإن كانت وردت في القرآن وهي لفظة حسنة ،  
فالفرق بين ورودها في القرآن الكريم وورودها في هذا البيت الشعري  
ظاهر (١) .

وقد أخذ العلوي قول ابن الأثير واختذه — وكثيراً ما يفعل ذلك —  
فقال : من الناس من صوبه في تكريره ومنهم من قال : أساء فيما أورد  
من ذلك .

والأقرب أنه مجيد في مطلق التكدير ؛ فإنه دال على إغراق الممدوح  
في الكرم ، ولكن غير المحمود : أن لفظه العارض والهتن ليستا واردتين  
على جهة البلاغة فيه لقلة الاستعمال لهما .

فمن أجل ذلك كان ما قاله ليس بالغاً في البلاغة مبلغاً عظيماً ، إلا من  
جهة التكدير فإنه محمود لأعماله (٢) .

ونحن نخالفهما فيما ذهباً إليه من استكراه لفظي « العارض ،  
و « الهتن » .

ولا نحمد من هذا البيت ما حمده ، بل نعهده رديئاً سفسافاً مردوفاً  
أشبه ما يكون بعبث الأطفال سواء أكان من نوع التكدير أم لا .  
والمدح بالعراقة في صفة من الصفات لا يستوجب هذا الإلحاح الثقيل  
على لفظ معين .

وللمتنبي أبيات مرقصة في ذلك منها قوله :

وجدت علياً وابنه خير قومه      وهم خير قوم واستوى الحر والعبد  
وأصبح شعري منهما في مكانه      وفي عنق الحسناء يستحسن العقد  
فقد قصر السيادة على الممدوح وابنه وأسرته ورفعهما فوق الناس جميعاً  
في إيجاز بالغ لم يحتاج فيه إلى ملء الشدق بهذه الإعادة الثقيلة المملة .



والفرق بين التكرير في بيت المتنبي وبين الحديث الشريف كالفرق بين الحذف والدر ؛ فإن الذي حسن تكرير الكريم في قول الرسول الكريم : أن يوسف وأباه جميعاً أنبياء معروفون ، وقد جاءوا متتابعين في نسق واحد لا يقطعه فاصل ، فكل كريم يشير إلى واحد من هؤلاء الأنبياء - عليهم السلام - بل كاد لقوة التصاق النبوة بهم وانطباقها عليهم يجرى مجرى العلم ، ولهذا نرى الرسول - صلوات الله عليه - وقف عند إبراهيم عليه السلام .

ولو كان والد إبراهيم نبياً لحسن أن يقول : ابن الكريم أيضاً .  
وقد كان يحسن تكرير المتنبي لو أنه جاء على نسق التكرير في قول الشاعر :

قيس العلا قيس الندى قيس الكرم

على أني أستحسن مثل تكرير المتنبي إذا وقع هجاء كقول الشاعر :  
ولقد هزرتك للمديح م فكنت ذا نفس لكعبة  
أنت الرقيع ابن الرقيع م ابن الرقيع ابن الرقيعة

\*\*\*

وقوله يمدح سعيد بن عبيد الله الإنطاكي :

لو استطعت ركبت الناس كلهم إلى سعيد بن عبد الله بُعْرانا  
وهذا سوء ذوق منه وإضرار بالإنسانية لا يصح وقوعه من شاعر ،  
ولا ينفع في الاعتذار عنه قول من قال : إنه يقصد بالناس ناساً بأعيانهم  
أخذاً من قوله بعد ذلك :

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم عما يراه من الإحسان عُميانا  
وفي هذا الشعر يقول صاحب أراد أن يزيد على الشعراء في وصف  
المطايا ، فأنى بأخزي الحزايا !



ثم يقول : ومن الناس أمه فهل ينشط لركوبها ! والممدوح لعله لا يريد أن يركبوا إليه ! فهل في الأرض أخش من هذا التسحب ، وأوضع من هذا التبسط<sup>(١)</sup> .

والحق أن المتنبى كثيراً ما يتعسف في إيراد معانيه حتى ينزل إلى أخط الدركات أحياناً ! ومن هذا النوع نفسه - وإن جاء على صورة أخرى - قوله في رحيل سيف الدولة عن إنطاكية :

ليت أنا إذا ارتحلت لك الخيلُ م وأنا إذا نزلت الخيام  
وقد عابوه بأن الخيام تعلو الممدوح<sup>(٢)</sup> .

وقال الواحدى في تفسيره : ليقنا معك نتحمل المشقة في مسيرك ونزولك . ولكنه أساء حيث تمنى أن يكون بهيمة أو جماداً ، ولا يحسن بالشاعر أن يمدح غيره بما هو وضع منه .

\* \* \*

وقوله في الموتى :

خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق  
أى كأنهم يظنون أن الكلام محرم عليهم .  
قال الواحدى : لو وصفهم بالعجز عن الكلام لكان أولى وأحسن بما قال ؛ لأن الميت لا يوصف بما ذكره .

\* \* \*

وقوله :

يترشفن من فى رشفات هن فيه حلاوة التوحيد  
في الكلام تشبيهه مضمرة : أى كحلاوة التوحيد .  
وفي بعض الروايات :  
هن فيه أحلى من التوحيد



والمراد على كل حال غامض ؛ فقد قيل : إن التوحيد نوع من التمر  
بالعراق .

وقيل : إنه توحيد الله — تعالى — .

\* \* \*

وقوله في عضد الدولة :

الناس كالعابدين آلهة وعبدُهُ كالموحد الله  
يريد أن الناس في خدمتهم لغيره كمن يعبد آلهة باطلة من دون الله —  
تعالى — ، لأنه — أى عضد الدولة — هو الملك على الحقيقة وغيره من  
الملوك بهتان وزور .

ويريد بعبده : نفسه : أى إنه فى اقتصاره على خدمة عضد الدولة كمن  
يوحد الله ولا يشرك به شيئاً !

ولا يخلو مثل هذا الكلام من مظنة التهاون بالدين والجرأة عليه !

\* \* \*

وقوله فى مدح بدر بن عمار :

تتقاصر الأفهام عن إدراكه مثل الذى الأفلاك فيه والذى  
والمعنى الظاهر : أن أفهام الناس تتقاصر عن الإحاطة بسعة إدراكه  
وفسحة علمه ، كما تتقاصر عن الإحاطة بما وسع السموات والأرضين ، فإن  
وراءها ما لا يعلمه إلا خالقه .

ونيته لا تدل عليه فأفرط وعمى !

وجمع دنيا على القول بالأدوار والتناسخ<sup>(١)</sup> .

وبقى أن البيت ردىء النسيج ركيك الصياغة فى جملة ، ثم إن النقاد  
يعيبون استعمال لفظة « الدنى » ويعدونها من الألفاظ غير الشعرية .

\* \* \*



وقوله - يمدح أبا العشائر الحمداني - :

ليس قولي في شمس فعلك كالشمس م ولكن كالشمس في الإشراق  
شبه قوله بنفس الشمس ، وشبه فعل الممدوح بأشعة الشمس التي تملأ  
الكائنات .

أى إن قوله : في فعل الممدوح الذى هو كالشمس ليس كالشمس  
فيكون مكافئاً له ، ولكن نسبة قوله إلى فعل ممدوحه كالشمس بالنسبة إلى  
إشراقها ، فإنه أوسع من جرمها أضعافاً مضاعفة .

وفي بعض الروايات :

ولكن في الشمس كالإشراق

والمعنى : أن قوله لا يبلغ فعل الممدوح في الشرف والرفعة ، ولكن  
يدل عليه فيكون بمنزلة الإشراق من الشمس .

وقد أورد العسكري هذه الرواية فقط ، وصرح بأن حقيقة هذا البيت  
لا يوقف عليها (١) .

\* \* \*

وقوله - يمدح سيف الدولة ويصف نكايته بالروم - :

نثرهم فوق الأحيـدب كله كما نثرت فوق العروس الدراهم  
يريد : أنه مزقهم كل ممزق فوق هذا الجبل وبدد جثثهم أشلاء ، كما  
تبدد الدراهم التي تنثر فوق العروس .

والتشبيه جيد من هذه الناحية ، ولكن يعيبه عدم التوافق في الجو  
العاطفي ، فالشطر الأول يهيم بك في جو قابض كئيب عابس ، جو الموت  
والجراح والدماء والأشلاء والأنين والتوجع !

والثاني ينقلك إلى جو ضاحك مرح فرح بهيج ، جو العروس المجلوة



على المنصة في أبهى زينتها بين أنرابها الناضرات يرقصن ، ويغنين ويتخطرن  
ويسكنن فوقها النشار .

وأي هذا من ذلك ؟

\*\*\*

وقوله - يمدح القاضي أحمد بن عبد الله الإنطاكي - :

وأما وحقك وهو غاية مقسم      للحق أنت وما سواك الباطل<sup>(١)</sup>  
الطيب أنت إذا أصابك طيبه      والماء أنت إذا اغتسلت الغاسل  
وتقديره : الطيب أنت طيبه إذا أصابك ، والماء أنت الغاسل له إذا  
اغتسلت ؟

وقد ألم في البيت الأخير بقول القائل :

وتزيدين أطيّب الطيب طيبا      إن تمسّيه أين مثلك أيننا  
ولكنه تعسف في اللفظ .

\*\*\*

وقوله - يمدح شجاع بن محمد الطائي - :

أني يكون أبا البرايا آدم      وأبوك والثقلان أنت محمد  
وتقديره : أني يكون آدم أبا البرايا ، وأبوك محمد ، وأنت الثقلان ؟

...

وقوله يصف الناقة :

فتبيت تُسَدُّ مُسَدًّا في نِيهَا      إسادها في المهمة الإنضام<sup>(٢)</sup>  
وتقديره : فتبيت تسد حال كون الإنضام مسددا في شحمها إسادها  
في الصحراء .

---

(١) مقسم : بكسر السين وفتحها على أنه اسم فاعل أو مصدر ميمي .

(٢) الإساد : إدمان السير أو سير الليل بلا تعريس ، والنى : الشحم ، والمهمة : الصحراء .



والمعنى : أن ناقته تبیت سائرة والهزال يسير في شحمها كما تسير هي في الفلاة .

...

وقوله :

حملتُ إليه من ثنائى حديقة سقاها الحجا سقى الرياض السحاب  
أى سقى السحاب الرياض ، ففصل بين المضاف والمضاف إليه .

\*\*\*

وقوله :

رمانى خساس الناس من صائب استيه وآخر قطن من يديه الجنادل  
والمعنى : رمانى رُذال الناس بمن يرمى فينقلب رمية إليه ، ومن تصير  
الصخور في يديه كالقطن عديمة الأثر .  
وفيه ركابة وسفسفة ألفاظ العامة والسوقة ومعانيهم .

\*\*\*

وقوله :

وضاقت الأرض حتى صار هاربهم إذا رأى غير شيء ظنه رجلا

\*\*\*

وقوله :

وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شيئا

\*\*\*

وقوله :

من بعد ما كان ليلي لا صباح له كأن أول يوم الحشر آخره  
وفي هذه الأبيات إفراط في المبالغة وخروج إلى الإحالة .

...



وقوله في وصف الخمر :

هجرت الخمر كالذهب المصفى<sup>١</sup> فخمري ماء مزن كاللجين  
كان بياضها والراح فيها بياض محقق بسواد عين  
والنشبيه في البيت الثاني غير متلائم ولا محكم إلا من حيث الإحداق  
والإحاطة .

ولكن من حيث الشبه في اللون غير منسجم ، لأن الخمر ليست بسوداء  
اللون إلا في بعض الحالات .

. . .

وقوله :

كبر العيان على سحتي<sup>٢</sup> إنه صار اليقين من العيان توهما

. . .

وقوله :

ولولا أننى في غير نوم لكنت أظننى منى خيالاً  
وفيه استعمال كلمات الصوفية المعقدة ومعانيهم المغاظة .

. . .

وقوله - يصف خيل سيف الدولة في عدوها - :

خرجن من النقع في عارض ومن عرق الركض في وابل  
وما بين كاذبى<sup>٣</sup> المستغير كما بين كاذبى<sup>٤</sup> البائل  
المكاذة : لحم الفخذ ، والمستغير : طالب الإغارة .

والمعنى : أن المستغير من هذه الخيل كان يفرج بين رجله لشدة عدوه  
كما يفعل البائل لئلا يصيبه البول .

أو أنه كان يعرق في عدوه فيسيل العرق من بين فخذه كما يسيل بوله .



والمعنى - كما ترى - فصل رذل ، وليس فيه كبير طائل ، بل فيه إساءة  
الأدب بالأدب كما يقول الثعالبي (١) .

...

وقوله :

كتمت حبك حتى منك تَكْرِمة      ثم استوى فيه إسرارى وإعلاني  
كأنه زاد حتى فاض عن جسدى      فصار سقمى به فى جسم كتمانى

والمعنى : كتمت حبك حتى غلب على الوجد فظهر وتساوى فيه كتمى  
وإفشائى ، فكأنه زاد حتى فاض عنى وصار جسما على جسمى ، وحينئذ سرى  
سقم جسمى إلى جسم الكتمان فضعف واقتضح ما كان مكتوما عندى .

والتشبيه مستغلق مبهم لا يفهم بغير عسر وعناء !

...

وقول بعضهم :

شبيه أبيه خَلقة و خَلِقة      كما حُذيت يوما على أختها النعل  
وذكر النعل هنا أقبح القبح ، ومن يرضى مثل هذا الوصف يجب أن  
يحكم عليه بالتجرد من الذوق .

...

وقول ابن فرناس :

رأيت أمير المؤمنين محمدا      وفى وجهه بذر المحبة يُشمر  
فقال له مؤمن بن سعيد : قبحا لما ارتكبه ! جعلت وجه الخليفة  
محراثا يُشمر فيه البذر ! فحجل (٢) .



وقد كان من السهل أن يقتدى بأبي تمام في قوله :  
هي البدر يُغنيها تودُّ وجهها إلى كل من لاقت وإن لم تودِّ

\* \* \*

وقول أبي نصر بن نباته :  
فأياكم أن تكشفوا عن رؤوسكم ألا إن مغناطيسهن الذوائب  
ومغناطيسهن كلمة غير مرضية ، لأنها من مصطلحات العلوم ، ثم لكثرة  
حروفها وخر وجهها عن حد الاعتدال (١) .

فهى مثل سويداواتها ، وسراويلاتها في قول المتنبي :  
إن الكرام بلا كرام منهم مثل القلوب بلا سويداواتها  
وقوله :

إني على شغفي بما في خمرها لأعف عما في سراويلاتها  
وقول أبي تمام :

العيس تعلم أن حوباواتها ربح إذا بلغتك إن لم تنحر  
وكلها مفرط في الطول والثقل .

\* \* \*

وقول بعض المولدين :  
أسفر لي النقاب يا ضرة الشمس  
وقد استرذل .

قال الرمانى : أتراه ظن أن الضرة لا تكون إلا حسنة . (٢)  
ونحن لا نوافقهم على هذا الرأي ؛ فقد لا تكون الضرة حسنة دائما ،



ولكن مما لا خلاف فيه أنها توحى بالمثلية على الأقل ، لأن الضرتان في الأصل : الآلية من جانبي عظمها .

فالضرة مساوية للضرة وكل ضرة ند للآخرى ، ومتى ثبت ذلك انتفى العيب عن ضرة الشمس ، لأنها تشاكل الشمس في صفاتها حتى لتضار بها . وفي شعر الحسن بن وهب ما يؤيد ذلك ؛ فقد ذكروا : أنه قدّم إليه كانون وكان معه قينة يهواها ، فأمرت بإبعاد الكانون فأنشأ يقول :

بأبى كرهت النار حتى أبعدت      فعرفت ما معنأك في إبعادها  
هي ضرة لك بالتماع شعاعها      وبحسن صورتها لدى إبعادها (١)  
وأرى صنيعةك بالقلوب صنيعةها      بأراكمها وسياها وعرادها (٢)  
شركتك في كل الأمور بحسنها      وضيائها وصلاحها وفسادها  
فهو يجعلها ضرة بكل ما تفيد هذه اللفظة من معاني الاشتراك بين الضرتين حتى في الصلاح والفساد .

على أن من المعروف أن الضرة الثانية تكون في الأعم الأغلب أكثر شباباً أو جمالاً ، ومن ثمّ حدثت الرغبة فيها ولم يكتبف بالاولى ، فكان الشاعر حين قال هنا : يا ضرة الشمس ، قال ضمناً : يا من هي أشبّ شباباً وأجمل جمالاً !

وأقوال الشعراء تشير إلى ذلك ؛ فابن لذكك يقول :

البدر والشمس المنير      والضحك والكوكب  
أضحت ضرائر وجهها      من حيث يطلع تغرب

(١) هذه رواية العمدة ، وفي أمالي القالي : بالتماع ضيائها .

(٢) السيل كسحاب : نبات له شوك أبيض طويل ، والعراد كسحاب أيضا نبات ، والتأنيط

العاصي منه .



ويقول أبو محمد بن سفيان الأندلسي :

يا ضرة الشمس قلبي منك في وهج لو كان للنار لم تسكن حشا حجر

ويقول أبو العلاء بن أبي الندى :

يا ضرة القمرين من لم تيم أرديته وأحلت ذاك على القضا

وحياة وجهك لم ينم عن سلوة بل كان ذلك للخيال تعرضا

لا تأسفي إن زار طيفك في الكرى ما كان إلا مثل شخصك معرضا

ويقول ابن محيرز البغدادي :

يا نساء الحى من مضر إن سلمى ضرة القمر

إن سلمى - لا فجعت بها - أسلمت طرفي إلى السهر

فهي إن صدت وإن وصلت مهجتي منها على خطر

وسواد الشعر أسكنها في سواد القلب والبصر

ويقول آخر :

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالقوم أعداء له وخصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجها حسدا وبغيا إنه لدميم

فهؤلاء الشعراء جميعا لم يصفوا هؤلاء الحسان بأنهن ضرات الشمس

والقمر والنار ، إلا لما صح في خيالهم من أن الضرة لا تكون إلا ذات

ميزة عن سائرهن .

...

وقول كشاجم :

والزهر والقطر في رباها ما بين نظم وبين نثر

حدائق كنف كل ريح حل بها خيط كل قطر

والبيت جميل المعنى رائع الوصف مصيب التشبيه ، ولكن صياغته جعلت

نطقة ثقبلا على اللسان ، وشابته بالتنافر ، حتى قال فيه ابن الأثير : وهذا



البيت يحتاج الناطق به إلى بركار يضعه في شذقه حتى يديره له (١) .

...

وقول الحسن بن طباطبا الإصماني (٢) :

منعم الجسم تحكى الماء رفته      وقلبه قسوة يحكى أبا أوس

يريد بأبي أوس : الحجر ، إذ هو : أوس بن حجر الشاعر الجاهلي المعروف .

أى قلبه حجر فى قسوته فأبعد التناول .

وقد كتب إليه أبو مسلم :

أبا حسن حاولت إيراد قافية      مصالبة المعنى فجاءتك واهية

وقلت أبا أوس تريد كناية      عن الحجر القاسى فأوردت داهية

فإن جاز هذا فأكسر غير صاغر      فمى بأبي القرم الهمام معاوية

وإلا أقننا بيننا لك جدّه      فتصبح ممنوا بصفين ثانيه

يريد بأبي معاوية : أبو سفيان واسمه صخر بن حرب .

ويريد بجده : حرب بن أمية .

أى أكسر فى بصخر وإلا أقننا حربا تعيد وقعة صفين مرة أخرى .

...

وقول آخر :

إن التى ملكتنى فى الهوى ملكت      مجامع الحسن حتى لم تدع حسنا  
رنت غزالا وفاحت عنبرا وبدت      شمسا وماجت غديرا وانثنت غصنا



ومثله قول آخر :

منوع الحسن يبدى من محاسنه      لأعين الناس أوصافا وأشكالا  
فافتدرا وغنى بلبلا وسطا      عضبا وماس نقا واهتز عسالا<sup>(١)</sup>  
ولا مزية فى جمال صور البيان إذا نظر إليها على انفراد فى هذه  
الآيات فقد شبه فيها المحبوب بأكل ما يشبه به ، ولكن العيب جاء من  
ازدحام التشبيهات وتراكمها حتى لتشعر بالتكلف وقصد الصنعة .  
وأخف من ذلك مئونة قول الثعالبي :

فديتك يا أتم الناس ظرفا      وأصلحهم لمتخذ حبيبا  
فوجهك نزهة الألاحظ حسنا      وصوتك متعة الأسماع طيبا  
رنا ظيبا وغنى عندليبنا      ولاح شقائقنا ومشى قضيبنا  
ومن التشبيه المتجاوز حد الفسولة : ما حدّ ثوابه : من أنه كان  
لمحمد بن الحسن الحصنى ابن .

فقال لأبيه : إني قد قلت شعرا - وكان الحصنى سيداً ظريفاً - فقال :  
أنشدنيه يا بنى لئلا يلعب بك شيطان الشعر !  
قال : فإن أجدت أتهب لى جارية أو غلاما ؟  
قال : بل أجمعهما لك .  
فأنشد الابن :

إن الديار بميِّفا      هيّجن حزنا قد عفا  
أبكيّنى لشقاوتى      وجعلن رأسى كالفقا  
فقال : يا بنى ، والله ما تستأهل بهذا الشعر جارية ولا غلاما ، ولكن  
أمك طالق ثلاثا إذا ولدت مثلك !

• • •

(١) النقا : الكتّيب من الرمل ، والعسال : الرمح الممّهر .



ومن الشعر الحديث على سبيل المثال قول إسماعيل صبرى :  
أنتِ يمُّ الحسن فيه ازدحت      سفنُ الآمال يزجيهما الرجاء  
فلم تجر العادة أن يقال للحسناء : أنت يمُّ الحسن أو نهر الحسن أو بحر  
الحسن ، وإنما غير منـكـور أن يقال لها : روضة الحسن مثلاً .

هذا من حيث اللفظ ، وأما من حيث المعنى فإن الذوق ينفر من تصور  
هذه الحسناء بحراً زائحاً حشدت فيه سفن الآمال تشقه طولاً وعرضاً  
وجيئةً وذهوباً !

وكان الأفضل أن يصورها كعبة تطوف بها الآمال ، أو قبلة تتجه  
إليها الرغائب !

ومع أنى لست من أنصار عصر الشعر وتطبيقه على قوانين المنطق ،  
إلا أنى أرى أنه لا يصح أن يبلغ فيه التجوز إلى هذا الحد الصارخ المجانب  
للذوق السليم !

وكثيراً ما يغزو القبح التشبيه من جميع جهاته حتى يحول قبحاً مجسداً  
يخدش الحاسة الفنية من حيث نظرت إليه .

ولا أجد مثلاً أنطق بذلك وأجمع له من قول ديك الجن الحمصى من  
ابتداء قصيدة :

كأنها ماكانه خَلَّ الحُلَّة م وَقُفَّ المـلوك إذ بغَا

ومن العسير فهم هذا البيت قبل شرح مفرداته .

فالضمير فى « كأنها » المحبوبة وفى « كأنه » للغزال :

« والحلة » بالضم : نبات يرعى ، والوقف بفتح الواو : السوار من



العاج وغيره ، والهلوك : الجارية الحسنة المشى المتهالكة فيه ، أو البغى  
الفاجرة ، وبغم : صاح .

والمعنى : أن عشيقته في جيدها وعينها كأنها الغزال الذى كأنه بين  
نبات الخلة سوار الجارية المتهالكة فى المشى أو البغى !  
فما هذا كله ! وأى شيء تحته !

وقد أنشد ديك الجن شعره هذا دعبلًا الخزاعى فقال دعبل : أمسك  
فوالله ما ظننتك تم البيت الأول ، إلا وقد غشى عليك ! أو تشكيت فكيك  
ولسكانك فى جهنم تخاطب الزبانية ، وقد تخبطك الشيطان من المس !  
ولنما أراد ديك الجن أن يهول عليه ويقرع سمعه عسى أن يردعه ،  
فسمع منه ما كره أن يسمعه ، ولعمري ما ظلمه دعبل ! .

ولقد أبعد ديك الجن مسافة الكلام وخالف العادة ، وهذا بيت قبيح  
من جميع جهات :

منها إضمار ما لم يذكر قبل ولا جرت العادة بمثله فيعذر ، ولا كثر  
استعماله فيشهر .

ومنها إحالة تشبيهه على تشبيهه ، وثقل تجانسه الذى هو حشو فارغ .  
ومنها استدعاء قافيته لا شيء إلا لفساد المعنى واستحالة التشبيه !  
ثم ما الذى يريد « ببغم » فى تشبيه الوقف - وهو السوار - ؟  
ولم كان الوقف للهلوك خاصة <sup>(١)</sup> !



## الفصل السادس

### أثر البيئة في التشبيه

حينما ننعم النظر في التشبيهات التي تعرض لنا ، لا يُعِيننا كثيراً أن ننسبها إلى عصورها التي قيلت فيها ، كما نستطيع أن ندبّن مظاهر البيئة الطبيعية التي أحاطت بأصحابها ، وألوان المعارف التي ألموا بها ، ومبلغ حظهم من الرقي والتأخر والرفاهية والخشونة والغنى والفقر وما إلى ذلك .

وليس ذلك بعجيب ، فإن خيال المنشئ كاتباً كان أو شاعراً أو خطيباً يستظهر في تأليف صورته وتحريرها بالمعلومات المخزنة لديه .

وهذه المعلومات يلقفها مما تقع عليه حواسه ، أو يقبسها من موارد العلوم والآداب والثقافات المختلفة التي حصلها ، أو يستعملها من التجارب الشخصية التي مرت به في الحياة ، وهذه كلها حقول خصيبة لا ينفد نتاجها ولا يفنى محصولها .

فالبيئة التي نعيشها هنا هي ما أرادته « مدام دي ستايل » : من أنها معنى يتسع لكثير من الاعتبارات الاجتماعية مثل الدين والخلق والعادات والقوانين التي تؤثر في الآداب . . .

وقد كانت هذه الأدبية الكبيرة تعلق على مسألة البيئة كثيراً وترى أنها وحدها مبتكرة وأنها فنية ومعينة على الفن ولا تفهمها على أنها طبيعية فقط ، ولكن على أنها خصائص مادية وعقلية وروحية .

ثم هي ترى أن البيئة أوجدت أدبا ، وأوجدت الفروق بين الآداب ، فإذا كان أدب الجنوب في أوربا كلاسيكياً اتباعياً ، فلأنه قريب من الأدب



اليوناني واللاتيني ، وإذا كان أدب الشمال رومانسيا ابتذاليا ، فلأنه من أدب البحار ، استمد الغيوم والسحب ووصف المخاوف والمفاجآت ، ووصف المحيطات وما حولها من أقاصيص .

ولعل نشأة أدب القصة في الشمال ينسب إلى البيئة أيضا وما يلتف حولها من أخيلة ، مسكنها الأحرار والأدغال ، ومسرحتها أخطار البحار وأخطار الأسفار وتصورات الملاحين <sup>(١)</sup> .

وفي ظل البيئة الشرقية قامت فنون أدبية خاصة اتسمت بسمات خاصة ، كوصف الرياض والأزهار والأثمار والفواكه والنسيم ، ومظاهر الربيع الفاتنة البهيجة في البلاد الشجرية التي تمتاز فيها الفصول تميزاً ملحوظاً .

وكوصف النار ومواقدها وآلات التدفئة والثلج والبرد في البلاد التي يقسو فيها الشتاء ويشتد الزمهرير ويكلب الصقيع .

وكوصف السحب والرعود والهروق والصواعق في البلاد القائمة الأجواء الغزيرة الأمطار .

وكوصف الأديار والخر المعترك والبسع والرهبان، والنسيب بالرواهب ، السكتايات الجميلات في البلاد التي يكثُر فيها المسيحيون واليهود والصابئة .

وكوصف المواسم الدينية وحفلاتها ومباهجها في مصر أيام العهد الفاطمي .

وكرثاء المدن الذاهبة والاستنجد بالرسول والأولياء وملوك المسلمين في الأدب الأندلسي .

وكالحماسة الصارخة بالدم والدعوة إلى الجهاد والشغف بالاستشهاد في أدب الخوارج .

---

(١) تيارات أدبية بين الشرق والغرب - ٢٧١



وكالابتهاال العميق والرثاء الفاجع والحزن الغامر في أدب الشيعة وهكذا .

ومن ثمَّ كان لابد أن تختلف التشبيهات في أساليبها ومعانيها وأخيلتها باختلاف صُوَاغها الذين يختلفون في المرني والمنشأ والثقافة والزمن ، والنظر إلى الأشياء وتناولها وتقديرها والحكم عليها .

ولقد صدق أحد الفلاسفة في قوله : إني لا أسأل عن السبب في أن معنى من المعاني يدعو آخر ويأخذ بناحيته ولكني أبحث في شيء آخر وهو أن المعنى الواحد قد يختلف تواليه باختلاف الأشخاص .

ثم يقول : ويمكن الجواب عن هذا : بأن الناس يختلفون في ميولهم وشُعَب وجهتهم في الحياة ، فكل معنى يدعو لصاحبه ما هو ألصق بميله وأقرب إلى عمله <sup>(١)</sup> .

فمثلا إذا سمعنا هذا البيت :

وكلفتني ذنب امرئ وتركته كذى العر يكوى غيره وهوراتع <sup>(٢)</sup>  
حكمتنا : بأنه من آثار الجاهلية ، فإنه يشير إلى عادة من عاداتهم ؛ وذلك : أنهم كانوا يزعمون : أن الإبل إذا أصابها العر ، فأخذوا الصحيح وكووه زال العر عن السقيم <sup>(٣)</sup> .

والبيت للنابغة الذبياني .

وقول شاعر :

بدلته الشمس من منبتها برداً أبيض مصقول الأشر <sup>(٤)</sup>

(١) الخيال في الشعر العربي - ١٨ (٢) العر بالفتح والضم : الجرب ، وبالضم : قروح في أعناق الفصلان ، وداء يتمعط منه وبر الإبل .  
(٣) نهاية الأرب - ٣ - ١٢٣ (٤) الأشر بضمين وبضم وفتح : التحزير في الأسنان خلقة أو استعمالا .



وذلك أن غلمانهم كانوا إذا سقطت أسنانهم رموا بها في عين الشمس  
بسبب آبائهم وأباهيمهم ، وقالوا : أبدلينا أحسن منها .  
ولا تزال هذه العادة جارية في القرى حتى اليوم .  
والبيت لطرفة بن العبد .  
وقول آخر :

إني وقتلي سُلَيْكَا ثم أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر  
فقد كان من عاداتهم — إذا امتنعت البقر عن الشرب حين الورد —  
ضربوا الثور لتخاف وترد الماء .  
والبيت لأنس بن مدرك الحثعمي .

وكذلك إذا سمعت التشبيهات الآتية لم تتردد في الحكم عليها : بأنها  
نتاج الجاهلية أو نتاج الصحراء دون أن تعرف أسماء أصحابها كقول  
امريء القيس :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حبّ فلفل  
والآرام : الظباء البيض الخالصة البياض ، وهي تسكن الرمل عادة .  
وقوله :

كأنى غداة البين يوم تحمّلوا لدى سمرات الحىّ ناقف حنظل  
وناقف الحنظل ينقّفها بظفره ، فإن صوّتت علم أنها مدركة فاجتناها ،  
فعينه تدمع لحدة الحنظل وشدة رائحته كما تدمع عينا من يدوف الخردل .  
فشبه نفسه حين بكى بناقف الحنظل (١) .  
وقول النابغة :

فإن يهلك أبو قابوس يهلك ربيع الناس والشهر الحرام



ونأخذ بعده بذئاب عيش أجب الظهر ليس له سنام  
الاجب : المقطوع السنام من الإبل .  
والتشبيه صورة واضحة من صور البداوة .  
وقول ضرار السعدى :

ولنى وتهمى بزينب كالى تطلب من أحواض صداء مشربا  
وصدء ككتان : ركية أو عين ليس عندهم أعذب منها .  
وقول العملى بن عقيل لأبيه :

أكلت بذك أكل الضب حتى وجدت مرارة السكلا الويل  
وكانوا يقولون : إن الضب يأكل أولاده عقوقا منه لها ، والقطة  
تأكل أولادها حبا لها .

أما ترى القطة من ودادها تأكل ماعز من أولادها  
وقول أبى ذؤيب الهذلى - يصف حمر الوحش - :

يعثرن فى علق النجيع كأنما كسيت برود بنى تزيد الأذرع  
يصف أذرع الحمر الوحشية وهى تعثر فى الدم بأنها كسيت هذه البرود  
المنسوبة إلى بنى يزيد وهم بطن من قضاة .

وقول عبدة بن الطبيب فى الصعلكة :

نمت قما إلى جرد مسومة أعرافهن لأيدينا مناديل  
وهو مأخوذ من قول امرئ القيس :

نمش بأعراف الجياد أكفنا إذا نحن قننا عن شواء مضه

المش : مسح اليد بالمشوش لتنظيفها وقطع دسمها ، والمضه : المشوى على  
الحجارة المحماة ، والذى لم ينضج ، وقد كانوا يمسحون أيديهم بعد الأكل  
فى أعراف الخيل .



وقول جبيهاء الأشجعي :

كَانَ أَجِيجُ النَّارِ إِرْزَامُ شَخْبِهَا إِذَا امْتَاَحَهَا فِي مَحَلِّ الْحَيِّ مَاتَحِ  
الشَّخْبُ بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ : مَا خَرَجَ مِنَ الضَّرْعِ مِنَ اللَّبَنِ ، وَالْإِرْزَامُ : الصَّوْتُ .  
شَبَّهَ ضَرْعَ الْعَنْزِ بِالْكَبِيرِ ، وَصَوْتَ الْحَالِبِ بِالْأَزِينِ .

وقول سويد بن أبي كاهل اليشكري :

وَجِفَانٌ كَالْجَوَابِ مُلِئَتْ مِنْ سَمِينَاتِ الذُّرَا فَمِى تَرَعٌ<sup>(١)</sup>

وقول عوف بن عطية بن الخرع - يصف فرسه - :

لَهَا حَافِرٌ مِثْلُ قَعْبِ الْوَلِيدِ يَتَخَذُ الْفَارَ فِيهِ مُغَارَا

لَهَا كِفْلٌ مِثْلُ مَتْنِ الطَّرَا فِ مَدَدٍ فِيهِ الْبُنَاةُ الْحِتَارَا

وقول عنتره :

بَطْلٌ كَأَنَّهُ ثِيَابُهُ فِي سَرَحَةٍ يُحْذِي نَعَالَ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوْمٍ

السَّبْتُ بِالْكَسْرِ : جُلُودُ الْبَقَرِ وَكُلُّ جِلْدٍ مَدْبُوعٍ أَوْ مَدْبُوعٍ بِالْقَرْظِ .

وَالنَّعَالَ السَّبْتِيَّةُ لَمْ يَكُنْ يَحْتَذِيهَا بَيْنَهُمْ إِلَّا كُلُّ رَجُلٍ شَرِيفٍ ، فَوْصَفَ

عَنْتَرَةً مِنْ قَتْلِهِ بِأَنَّهُ كَانَ مَلَكًا .

وقول مُزَرَّدُ أَخِي الشِّمَاحِ :

وَأَسْحَمُ رِيَانِ الْقُرُونِ كَأَنَّهُ أَسَاوِدُ رِمَانِ السُّبَّاطِ الْأَطَاوِلِ

الْأَسَاوِدُ : الْحَيَاتُ السُّودُ ، وَرِمَانٌ بِفَتْحِ الرَّاءِ : مَوْضِعُ بَيْلَادِ طِيءٍ ،

وَالسُّبَّاطُ : اللَّيْنَةُ .

يُشَبِّهُ شَعْرَ مَحْبُوبَتِهِ بِحَيَاتِ هَذَا الْمَسْكَنِ اللَّيْنَةِ الطَّوَالِ .

(١) الترع : المملوءة .

(٢) الأطراف بالكسر : البيت من الأدم ، والختار بالكسر : الحبل .



وقوله - يصف الريح - :

أصم إذا ما هزَّ مارت سَراته كما مار ثعبان الرمال الموائل  
سراته : أعلاه ، والموائل : المحاذر الذي يلتمس النجاة .  
يشبه الريح - إذا اضطرب أعلاه لدى هزه - باضطراب ثعبان  
الرمل في مشيه حين يبتغي الملجأ ويطلب السلامة .

وقول جِران العود :

ألا لا يغرن امرءاً نَوْفَلِيَّةٌ على الرأس بعدى أوترائب وُضَّح  
ولا فاحم يُسقى الدهان كأنه أساود يزهاها لعينك أبطح  
النوفلية : ضرب من المشط ، أو شيء يتخذة نساء الأعراب من صوف  
يكون في غلظ الساعد ، ثم يحشى ويعطف فتضعه المرأة على رأسها ثم  
تختمر عليه .

ويزهاها : يرفعها ويحركها .

شبه شعرها الفاحم الدهين بالحيات المضطربة في المسيل الواسع  
به دُقاق الحصى .

وقول الشيباني :

وللحلى وسواس عليها إذا مشت كما اهتز في ريح من الصيف عِشْرَق  
العشْرَق بالكسر : شجر قدر الذراع لها حب صغار إذا جف صوت  
بمرور الريح .

شبه وسوسة الحلى لدى مشيها بصوت هذا الشجر إذا حركته الريح .

وقول رجل من عبد القيس :

تركت الريح يهْرُق في صَلاه كأن سنانَه خُرطوم نسر  
الصلا : وسط الظهر من الإنسان ومن كل ذى أربع ، والخُرطوم :  
المراد به منقار النسر .



شبه الرمح بمنقار النسر في دقته ونفاذه .  
 وقول عمرو بن الأيهم التغلبي في الخيل :  
 وتراهن شُرْبًا كالسعالى يتطلعن من ثغور نقاب  
 الشرب : الضوامر ، والسعالى : الغيلان أو ساحرات الجن جمع سعالاة  
 وسعالاة بالكسر ، والنقاب : طرق الجبال .  
 شبه الخيل في ضموورها وألوانها المختلفة بالسعالى  
 وقول عويمر النبهاني :

فبت معنى بالهموم كأننى سئمت نفي عنه الرقاد الجلاجل  
 شبه نفسه في همومه المنفرة للنوم عنه بالملدوغ تعلق عليه الجلاجل  
 حتى لا ينام ، لأنهم كانوا يعتقدون أن الملدوغ إذا نام سرى السم في جسمه .  
 وقول شاعر يهجو كعب بن جعيل التغلبي :

وسميت كعبا بشرّ العظام وكان أبوك يسمى الجعل  
 وكان محلك من وائل مكان القراد من است الجمل  
 يصفه بأنه ينزل من القبيلة أعط المنازل كما ينزل القراد في أخس  
 المواضع .

والتشبيه نابت في معاطن الإبل .  
 وقول عروة بن الورد - يمدح صعلوكا مثله (١) - :  
 مطلاً على أعدائه يزجرونه بساحتهم زجر المنيع المشهر  
 المنيع بالفتح : من قذاح الميسر التي لاحظ لها كالسفيح والوغد . (٢)  
 والمعنى : أنه مطل على أعدائه بالغارة فيدفعونه عن ساحتهم كالقذح  
 الذى لاحظ له ، ينفر منه كل واحد فهو مدفوع أبدا .



وقول أبي تمامة الضبي :

فجارك عند بيتك لحم ظبي وجارى عند بيتي لا يرام  
يقول له : إن جارك لضعفك ذليل معتدى عليه مثل ظبي يتناوله كل  
مفترس ، وجارى لقوته عزيز لا يستطيع أحد أن يصل إليه بأذى .

وقول مجمع بن هلال :

وخيل كأسراب القطا قدوزعتها لها سبل فيه المنية تلعب  
السبل محرقة : المطر ، ووزعها : كفيها .  
شبه الخيل في اجتماعها بأسراب القطا ، وتتابعها في الغارة بتتابع المطر  
وتدفعه .

وقول الأحنس بن شهاب التغلبي :

ترى رائدات الخيل حول بيوتنا كمعزى الحجاز أعجزتها الزرائب  
الرائدات : التي ترعى ولا تعلف في البيوت .  
شبه خيولهم بكثرتها حول بيوتهم بمعزى الحجاز التي لا تنسع لها  
الزرائب .

وقول امرأة ترثى أباهما :

إذا ما دعا الداعي علياً وجدتنى أراع كما راع العجول مهيب  
العجول : الناقة التي فقدت ولدها ، والمهيب : الراعى الذى ينادى  
الإبل .

شبهت نفسها بأنها تراعى - إذا سمعت اسم والدها - كما تراعى الناقة  
الفاقدة إذا ناداها الراعى ؛ لأن فقدتها ولدها جعلها تفزع لأقل الأسباب .  
وفي معناه يقول المجنون :

وداع دعا إذ نحن بالخيف من منى فهيج أحزان الفؤاد وما يدرى  
(م ١٣ - فن التشبيه)



دعا باسم ليلى غيرَها فكأنما      أطار بليلى طائرا كان فى صدرى  
وقول عبد الله بن عجلان النهدى :

جديدة رربال الشباب كأنها      سقيّة بردى نمتة غيولها  
السقية : المسقية ، والبردى : نبت ناعم ، والغيول : الوديان تسيل فيها  
العيون جمع غيل بفتح الغين .  
شبهها فى نضارة شبابها وميعة صباها بنبتة من البردى تسقى بماء الوديان .  
وقول عروة بن حزام :

كأن وشاحيها إذا ما ارتدتكما      وقامت عنانا مرة سلسان  
شبه وشاحيها فى حال قيامها بعناني المهرة المسترسلان .  
وقول الشماخ بن يعمر الكنانى :

كلما حاربت خُزاعة تحدو      نى كانى لأهمهم جمل  
وقول الحارث بن وعله الجرمى :

ووطئنا وطأ على حنق      وطء المقيد نابت الهرم  
الهرم يأسكان الرام : شجر ضعيف .  
شبه وطأهم بوطء البعير المقيد ؛ لأنه يكون أثقل لعدم تمكنه من  
وضع قوائمه حسب إرادته .  
وقول رشيد العنبرى :

باتوا نياما وابن هند لم ينم      بات يقاسيها غلام كالزلم  
ابن هند : شريح بن ضبيعة ، والزلم : واحد الأزلام ، وهى السهام التى  
كان أهل الجاهلية يستقسمون بها .

وقول متمم بن نويرة — يصف حمار الوحش وأتانه — :  
يعدو تبادره المخارم سمحج      كالدلوخان رشاؤها المتقطع



الضمير في يعدو لمار الوحش ، والمخارم الطرق في الجبال ، وأفواه  
الفجاج ، والسمحج : الصلبة القوية يريد بها الآتان .

شبهها في سرعتها بالدلو حين انقطع رشاؤها فسقطت في البئر ، فهو  
يعدو ، والآتان تسابقه .

وقوله — يصف السيف — :

ولقد ضربت به فقسقط ضربتي أيدي السكاة كأنهن الخروع  
شبه سقوط أيدي السكاة حين يضربها بسيفه بسقوط الخروع ، لأنه  
شجر لين .

وقوله :

وأرملة نمشي بأشعث مُحْتَل كفرخ الحبارى رأسه قد تضوعا  
الأرملة : التي مات زوجها ، والأشعث المتلبد الشعر ، والمحْتَل : الذي  
أسىء غذاؤه يريد به ولدها ، والحبارى : ضرب من الطير ، وتضوع :  
تفرق ؛ يريد شعره .

شبه ولد هذه الأرملة في مظاهر الضر البادية عليه بفرخ الحبارى  
المتفرق شعر الرأس .

وقول الشنفرى — يصف حركات السيوف — :

تراها كأذ ناب الحسيل صوادرا وقد نهلت منه الدماء وعلت  
الحسيل : أولاد البقر جمع حسيلة .

شبه السيوف بأذنان أولاد البقر حين تحركها إذا رأت أماتها .

وقول ثعلبة بن صعير المازني في وصف النعامة :

فبنت عليه مع الظلام خيامها كالأحمسية في النصف الحاسر  
الضمير في ، عليه ، أبيض النعامة ، والأحمسية : المرأة المنسوبة إلى



الحُس ، وهم : قريش وخزاعة وبنو عامر وكنانة وجديلة ؛ سموا بذلك لتحمسهم في دينهم ، أو لالتجأهم إلى الحساء وهي الكعبة ، والنصيف : القناع ، والحاسر : الكاشفة لوجهها ورأسها .

شبه النعامة في جثومها على بيضها بالمرأة الأحمية الملتحفة بقناعها والحاسر عن وجهها ورأسها .

وقول المثقَّب العبدى - يصف الخيل - :

وأمكن أطراف الأسنة والقنا يعاسيب قُود كالشَّنان خدودها  
اليعاسيب : أراد بها كرام الخيل ، والقود : الطوال الأعناق جمع أقود وقوداء ، والشَّنان : القرب البالية جمع شن بالفتح وتشديد النون .  
شبه خدود الخيل في قلة لحمها بالقرب البالية .

وقول سُبَّيع بن الخطيم التيمى - يصف المطر والنبات - :

تنفى الحصى حَجراته وكأنه برحال حمير بالضحا محفوف  
الحجرات بالفتح : النواحي : يريد أن شدة وقع السحاب تطير الحصى : ورحال حمير : أراد بها ألوان النبات الناتج عن المطر .  
شبه النبات في اختلاف ألوانه برحال حمير المختلفة الألوان لأنها رحال ملوك .

وقول بشر بن خازم في وصف الفرس :

كَانَ سَرَاتِهِ وَالْخَيْلُ شُعْثٌ غَدَاةٌ وَجِيفٌ مُسَدٌ مُغَارٌ  
سراته : أعلاه ، وشعث : غبر من طول السفر ، والوجيف : المر السريع ، والمسد : الحبل ، والمغار : الشديد القتل .



شبه أعلى ظهره في شدته واملاسه واستوائه بالحبل الشديد القتل .

وقول المرقش الأكبر - يصف الظعن - :

لمن الظعن بالضحا طافيات      شبهها الدوم أو خلايا السفين  
الظعن : الإبل بهواد جهافها النساء ، وطافيات : عاليات ، والخلايا :  
السفن العظيمة .

شبه الهوادج المضروبة على النساء فوق ظهور الإبل عاليات - كأنها  
تسبح في ضياء الضحا - بشجر الدوم ، أو بالسفن العظيمة فوق ظهر البحر .  
وقول ذى الرمة :

حديث كوقع القطر في المحل يُشتقى      به من جوى في داخل القلب لاطف  
اللاطف : اللاصق .

يشبه أثر الحديث في إروائه الغلة وشفائه العلة بأثر الغيث في الأرض  
المجدبة يحییها من الموت فتتهز وتربو .  
وقول مسكين الدارمي :

كان قدور قومي كل يوم      قباب الترك مُلبسة الجلال  
كان الموفدين بها جمال      طلاها الزيت والقطران طالى  
بأيديهم مغارف من حديد      أشبهها مقبرة الدوالى  
شبه قدور قومه في عظمها واتساعها وسواد ظاهرها بقباب الترك التي  
ألبيت أغطية سودا .

وشبه الموفدين بها - أى المشرفين عليها - بالجمال المطلية بالزيت  
والقطران لما أصابهم من السواد .

وشبه مغارف الحديد التي بأيديهم بالدلاء المطلية بالقار وهو الزيت



والصوره معرقة في البداوة والخشونة ، ويكفي أن تغرق في الزيت  
والقطران إلى هذا الحد !

وقول شاعر - يصف الصحراء - :

كأن قلوب أدلائها معلقة بقرون الظباء  
الأدلاء : الذين يهدون الناس ، والضمير فيها يعود إلى الصحراء .  
وصف قلوبهم بالوجيب والاضطراب في أحوال الجزع والهلع .  
وإنما خص الظبي لأن قرنه أكثر تحركا واضطرابا ، لنشاطه ومرحه  
وسرعته<sup>(١)</sup> .

وقول آخر :

كأن لون البيض في الأدحى . لونك لولا صفرة الجادى  
الأدحى : مكان بيض النعام في الرمل ، والجادى : الزعفران .  
يريد : أن لونها أصفر لتضمنخها بالزعفران ، وكانت العرب تحب ذلك<sup>(٢)</sup> .  
هذه التشبيهات كلها تنبئ بصورها ومعانيها وأخيلتها ودلالاتها وانتزاعاتها  
وبما تضمنته من أخلاق وعقائد وعادات ، بأن قائلها إما أن يكونوا من أهل  
الجاهلية أو من سكان البوادي ؛ لأنها بكل شيائها وسماتها بعيدة عن منازع  
الحضرين .

ولا ريب أن كثيراً من أمثال هذه التشبيهات لا يحل في صدورنا ولا يندى  
على أكبادنا ، لأن بينه وبين أذواقنا حجاباً كثيفاً يجعلنا نشيح عنه وننفر منه  
كاختلاف الطبيعة والبيئة وبعد العهد ، إلى غير ذلك مما يلون النظر إلى الأشياء  
ويوجب التنافر .



فمثلا كانوا يشبهون الثغور قديما بالسَّيَال ، وهو نبت له شوك أبيض  
طويل إذا نزع خرج منه اللبن ، أو هو ما طال من السَّمر .  
ومن ذلك قول نابغة شيبان :

فهي بيض حور تبسم عن غمٍّ م وأنيا بهن شوك السَّيَال  
ونحن لا نستملح تشبيه الثغور الرقيقة الوضيئة بالشوك أيا كان حسنه  
ومزيته !

وبخاصة أننا لم نر هذا النوع من الشوك الذي استحسنوه فنأنس به ونألفه .  
وكانوا يشبهون خصور الحسان بخصور الزنابير كما قال عمر بن أبي ربيعة :  
وثلاث لقيت في الحج يوما كظباء المها ملاح ظراف  
يتقaban كالبذور على الأغصان م في مُثَقَل من الأرذاف  
بخصور تحكى خصور الزنابير م رفاق هممن بالانقصاف  
وقد جرى كثير من الشعراء في هذا النهج حتى الشاعر المصري الموسوم  
بالرقة والظرف البهاء زهير، حيث يقول في وصف مجلس أنس جمع غادات  
مسيحيات :

وجوه كالتصاوير تصلى للتصاوير  
ومن تحت الزناير خصور كالزناير  
وخصور الزناير دقيقة رقيقة ناحلة كأشد ما يكون النحول ، ولكن  
أذواقنا العصرية المرهفة اليوم تضيق بهذا التشبيه ، ولا ترى في الزناير إلا  
أنها حشرات مزعجة مؤذية ضارة ، وأسمائها ثقيلة على السمع تشير إلى  
أشياء يستحيا منها .

ولو أن إنسانا في عصرنا قال لشوهاة بله حسناء . إن خصر كخصر  
الزناير ما استطاع أن يخلص منها سليم الأديم !



وكانوا يشبهون مشية المرأة بمشية الحية أو الثعبان أو الحُبَاب - سبق - أو الأيم<sup>(١)</sup> كيقول بعض الشعراء :

تَسِيْب انسياب الأيم أخصره الندى فرفَّع من أعطافه ما ترفَّعا  
يعنى : أنها تتدافع في مشيتها تدافع الحية التي يلذعها برد الندى ، فترفع  
ما تقدر عليه من أعطافها .

ولا شك أن للحية انسيابا ، رهوا مع السرعة الغربية ، ولا سيما إذا كلب  
عليها برد المطر وغمز جلدها ، ولكننا مع ذلك لا نرضى للغيد الأماليد  
تلك المشية ولا يرضيناها لأنفسهن وإن رضى هذا الشاعر .  
وبخاصة أن العرف جرى على تشبيه المرأة بالحية في المكر والدهاء  
واللؤم والخبث والدس .

ومن ذلك أيضا : أنهم كانوا يسمون المرأة : الجرباء !  
والجرباء في الأصل : السماء أو الناحية التي يدور فيها فلك الشمس  
والقمر .

وقد سميت السماء بذلك تشبيهاً لنجومها بآثار الجرب .

وسميت بهذا الاسم بنت قسامة الطائفة لحسنها الفائق ، فقد كانت لا تقف  
إلى جنبها امرأة - وإن كانت جميلة - إلا استقبح منظرها لجمالها !

فكان النساء يتحامين أن يقفن إلى جنبها ، فشبهت بالناقة الجرباء التي  
تتوقاها الإبل مخافة أن تعديها .  
ثم أطلق هذا الاسم على كل جارية حسناء<sup>(٢)</sup> .

وآثار القدامى حافلة بالتشبيهات التي استمدوها مما أحاط بهم وأثر فيهم

---

(١) الأيم بفتح وسكون وبكسر الهمزة أيضاً : الحية الأبيض اللطيف أو هو عام .

(٢) الأغاني - ١٨ - ٢٠٣ - ساسي .



وقد حرصنا على إيراد صدر صالح منها فيما تقدم .  
ونضيف إلى ذلك أن بعض الشعراء عرف بألوان من الأوصاف  
والتشبيهات ، كوصف الثور الوحشى ، وتشبيه النعامة للظرماع .  
ووصف مغارز ريش النعام - إذا تساقط - للشماخ .  
وتشبيه بيت العنكبوت بما يمتد من زبد الناقة تحت لحبيها فى شعر الخطيئة  
وتشبيه الذباب بالأجذم ، ولحي الغراب بالجم لعنترة .  
وأشبه ذلك مما انفردت به الأعراب والبادية كعادتها مثل انفرداها  
بصفات النيران والفلوات الموحشة ، وورود مياهاها الآجنة ، ونعسف  
طرقاتها المجهولة ، إلى غير ذلك مما لا يعرف عياناً إذ كان المحدث غير مأخوذ  
به ولا محمول عليه .

على أن المحدثين قد شاركوا القدماء فى كل ما ذكرته أيضاً ، إلا أن  
أولئك أولى به وأحق بالتقدمة فيه ، كما خالطوهم فى صفات النجوم ومواقعها  
والسحب وما فيها من البروق والرعود ، والغيث وما ينبت عنه ، وبكاه الحمام  
وكثير مما لا يتسع له هذا الباب <sup>(١)</sup> .

ومن هذا ما يتعلق بالحيوان الذى شاهدوه وخبروا طباعه خبرة تتم عن  
ملاحظة واسعة دقيقة كقولهم : أجراء من الليث ، وأجبن من الصافر <sup>(٢)</sup> ،  
وأسخى من لافظة <sup>(٣)</sup> ، وأصبر على الهوان من كلب ، وأحذر من عقق <sup>(٤)</sup>  
وأزهى من غراب ، وأصنع من سُرقة <sup>(٥)</sup> ، وأظلم من حية ، وأغدر من ذئب ،  
وأخبث من ذئب ضمر ، وأشد عداوة من عقرب ، وأروغ من ثعلب ،  
وأحق من حبارى ، وأهدى من قطة <sup>(٦)</sup> ، وأكذب من فاختة <sup>(٧)</sup> ، والام

(١) العمدة - ٢ - ١٨٦ - ١٧٧

(٢) الصافر : طير جبان أو ما لا يصيد منها . (٣) من معانيها الرحى لأنها تجود بالديق .

(٤) العقق : طائر أبلق بسواد وبياض يشبه صوته صوت العين والقاف .

(٥) السُرقة : دويبة تتخذ بيتاً من دقاق العيدان فتدخله وتموت فيه .

(٦) لأنها تصبح قطاً قطاً . (٧) فاختة : طائر .



من كلب على جيفة ، وأجمع من ذرة<sup>(١)</sup> ، وأعق من ضب ، وأبر من هرة ،  
وانفر من ظليم ، وأضل من حمار أهلى ، ومن ضب ومن حية .  
فيعبرون عن هذه الأشياء بعبارة كالعبارة عن الناس في موضع الإحسان  
والإساءة ، حتى كأنهم من الملوّمين والمشكورين .

ثم يعبرون في هذا الباب الآخر بدون هذا التعبير ، ويجعلون خيرهم  
مقصوراً على ما في الخلقة من الغريزة والقوى ، فيقولون : أبصر من عقاب ،  
وأسمع من فرس ، وأطول ذمّاء من ضب ، وأصح من ظليم<sup>(٢)</sup> .  
وكانوا يقولون : ما هو إلا تيس إذا أرادوا به الغباوة .  
وما هو إلا تيس إذا أرادوا به تنن الرياح .  
ويقولون : حية الأرض للرجل المنيع الجانب كما يقولون : حية الوادى ؛  
قال ذو الإصبع العدواني :

عذير الأرض من عدوا ن كانوا حية الأرض

ويقولون : أسرق من زبابة .

وهي فأرة صماء تضرب بها العرب المثل ويشبهون بها الجاهل .

قال ابن حنّلة اليشكري :

وهم زباب حائر لا تسمع الأذان رعدا

وسميت النجوم بالعقرب تشبيهاً بها<sup>(٣)</sup> .

ويشبهون البرّ بقراضة الذهب ، وبمناقير النّغران<sup>(٤)</sup> ، والرماح

بالأشطان ، والأمنّة بالشهبان .

(١) الذرة : النملة : (٢) الذمّاء بالفتح : بقية النفس .

(٣) الميوان - ١ - ١٠٤ (٤) أدب الكاتب - ١١٥ - ١١٦

(٥) النغران بالسكسر : البلابل وفراخ العصافير جمع نقر كصرد .



ويقولون للخطيب : كأن لسانه مبرد ، وللطويل : كأنه ربح ، والله عز  
كأنه غصن تحت بارح<sup>(١)</sup> .

ويُشبهون الرجال الساقطين بالنساء الحيض ؛ قال الشاعر :  
أفى السلم أعيارا جفاء وغلظة      وفي الحرب أمثال النساء العوارك<sup>(٢)</sup>  
شبههم في السلم بحمر الوحش في جفائهم وغلظتهم على الأقارب لشعورهم  
بالأمن .

وشبههم في الحرب بالنساء الحيض لما يبدو عليهم من الذلة والانزواء .  
ويقولون : أسخى من حاتم ، وأجود من كعب بن مامة ومن هرم ،  
وأقرى من مطاعيم الرياح ، وأشجع من ربيعة بن مكرم ، وأعز من كليب  
وائل ، وأسود<sup>(٣)</sup> من قيس بن عاصم ، وأحلم من الأحنف بن قيس ، وأذكى  
من إلياس بن معاوية ، وأفتك من البراء بن قيس التميمي ، وأوفى من  
الحارث بن عباد ومن عوف بن محم ، ومن هانيء بن قبيصة ، ومن السموة  
ابن عادياء ، وأجمل من ذي العمامة<sup>(٤)</sup> ، وأمضى من سليك المقانِب ، وأغلى فداء  
من حاجب بن زُرارة ومن بسطام بن قيس ، ومن الأشعث ، وأعدى من  
الشنفرى ومن السليك بن السليكة ، وأبطأ من فند ، وأنعم من عبود ومن  
خريم الباعم ، وأبلغ من سحبان وأخطب من سحبان ومن قس بن ساعدة  
وأعيا من باقل ، وأبر من العمّلس ومن فلحس ، وأسأل من فلحس ،  
وأبطش من دوسر<sup>(٥)</sup> ، وأهدى من قيس بن زهير ، وأفرغ من حجام ساباط ،

(١) البارح : الريح الشديدة ، وريح الصيف الحارة .

(٢) الأعيار : جمع غير وهو حمار الوحش ، والعوارك : الحوائض جمع عارك .

(٣) أكثر سوددا . (٤) هو سميد بن العاص الأموي .

(٥) كتيبة للنماني .



وأندم من الكُسعى ، وأمنع من الحارث بن ظالم ، وأخيب صفقة من شيخ  
مهو ، وأخسر صفقة من أبي غبشان ، وأحق من راعي ضأن ثمانين ومن  
ربعة البكاء ، وأتبه من أحق ثقيف ، وألصق من شظاظ ، وأزنى من قرد ،  
وأمكر من قيس بن زهير ، وأبخل من مادر ، وأضل من سنان ، وأكذب  
من مسيلة الخنفي ومن المهلب ، وأحق من هبنقة ، وأمطل من عرقوب ،  
وأشأم من خوتعة ومن قدار ومن أحمر ثمود ومن طويس ومن البسوس ،  
وأنجب من مارية ومن بنت الخرشب ومن أم البنين ومن عاتكة ، وأبصر  
من زرقاء اليمامة ، وأمنع من أم قرفة . وأسرع من نكاح أم خارجة<sup>(١)</sup> .  
وقد جمع زيد بن جندب الأيادي عدة تشبيهات مأثورة عنهم في رثاء  
داود بن جرير الإيادي حيث يقول :

نعي ابن جرير جاهل بعصاة      فعمّ نزارا بالبكاء والتحوب  
نعاه لنا كالكليث يحمي عرينه      وكالبدر يغشى ضوءه كل كوكب  
وأصبر من عود وأهدى إذا سرى      من النجم في داج من الليل غيب  
وأذرب من حدّ السنان لسانه      وأمضى من السيف الحسام المشطب  
ولأنك لنستطيع أن نتعرف من الآيات الآتية على العصر الذي قيلت  
فيه ، وعلى حظ أصحابها من الثقافة والمدنية دون أن نقف على أمثالهم .  
قال شاعر :

عهدي بهم تستنير الأرض إن نزلوا      فيها وتجتمع الدنيا إذا اجتمعوا

(١) انظر تفصيل ذلك وشرحه في نهاية الأرب - ٢ - ١٨٠ إلى ١١٤

(٢) البيان والتبيين - ١ - ٥١

(٣) التحوب : التوجع ، والعود بفتح فسكون : الجمل المسن .

(٤) المشطب : ما فيه طرائق .



ويضحك الدهر منهم عن غطارفة      كأن أيامهم من أنسها جمع  
فكلمة الجمع تدل على أن الشعر متأثر بالشعائر الإسلامية ، وأنه محال  
أن يكون من آثار الجاهلية .  
والشعر لأبي تمام الطائي .

وقال شاعر :

كأنه وهو في البرج المنيف به      شمس البرية لا نار على علم  
والبيت تبدو عليه شارة الحضارة وبخاصة إذا قسته إلى قول الخنساء :  
أغر أبلغ تأتم الهداة به      كأنه علم في رأسه نار  
فالأول : شمس في برج عال ، والثاني : جبل في ذروته نار .  
فالاختلاف بين النظرة البدوية والحضرية واضح كل الوضوح .  
والبيت الأول لابن الرومي يمدح به أبا الصقر الشيباني .  
وقال شاعر :

كان خضرة نقش في معاصمها      شباك مسك على كف من البرد  
فن ملا مقلتيه من محاسنها      كان الأمان لعينيه من الرمـد  
وقائل الشعر غير معروف ، ولكنك تحكم مطمئناً بأنه قيل في حسان  
من حسان العصور القديمة ، أو حسان قروية من حسان العصر الحاضر ،  
ولكنها لن تكون على كل حال من حسان المدن المثققات الأرستقراطيات  
لأنهن يستنكفن من الوشم .  
وقال شاعر :

وأنت أنذر من لا شيء في العدد

وهذا شعر عليه طابع الثقافة اليونانية فلا بد أن يكون عباسياً  
والبيت لأبي تمام .



وقال شاعر :

وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجنته  
والشعر ينفخ بأريج الزينة والتجميل الذي نشرته الجوارى في العصر  
العباسي ، فقد كن يجعلن شعر أصداغهن على صورة الواو أو النون  
أو العقرب .

والبيت لابن المعتز .

وقال شاعر :

أضحى ليوسف في الجمال خليفة يخشاه كل العالمين إذا بدا  
عرج معى وانظر إليه لكي ترى في خده علم الخلافة أسودا  
يريد بعلم الخلافة : الخال .

وعلم الخلافة الأسود دليل على أن الشعر عباسي لا أموي ؛ لأن شعار  
بنى العباس كان السواد .

وقال الصولي - يصف الرمد في العيون الجميلة - :

يكسر لى طرفا به حمرة قد خلط النرجس في ورده  
ما احمرت العين ولكنه يكحلها من وردتى خده  
وقال آخر :

قالوا بدت في عينه حمرة قد حازها من وردة الخد  
فقلت لم يرمد ولكنه يصافح النرجس بالورد  
فهذه العين الرمداء في كلا الشعرين لا يشك أحد في أنها عين تنسب  
إلى الشرق لا الغرب .

ولو كان لونها يخالف تلك الألوان الشرقية المألوفة لألقى الشاعر إليها باله  
ولما فاته أن يشير إليها .



ولكننا حينما نقرأ هذا البيت :  
والورد في شط الخليج كأنه رمد ألم بمقلة زرقاء  
يغلب على ظننا أنه نتاج بيئة غربية ، وأن هذا الشاعر عاش في بلاد  
تكثر فيها العيون الزرق فارتسمت صورتها في خياله .  
وهذا هو الواقع ، فإن الشاعر أندلسي البيئة وهو صفوان بن إدريس  
الأندلسي .

ثم تأمل فيما يلي قول الشاعر :  
أحبته كالغصن كم شاعر له عليه نوح ورقاء  
وثغره الصادى من حسنه يبحار في تشبيهه الرائي  
الصادى : نسبة إلى حرف الصاد ، والفم يشبه بها .

وقول آخر :

ووجنة قد غدت كالورد حمراء  
كان موسى كليم الله أقبسها  
وآشبه الآس ذاك العارض النضر  
ناراً وجر عليها ذيله الخضر  
وقول آخر :

قبلتها ورشفت خمرة ريقها  
ودخلت جنة وجهها فأباحني  
فوجدت نار صباقة في كوثر  
رضوانها المرجو شرب المسكر  
فهذا الشعر المثل بالحلل البديعية لا يمارى قارئه أنه أنشئ في العصور  
التركية التي انحط فيها الشعر ، وولع فيها الشعراء بتصيد المحسنات مستراً  
لقصورهم .

والشعر الأول للصلاح الصفدى ، والثانى لابن قرناص ، والثالث  
لابن الساعاتى .



وقول شاعر :

والشعر مقصوص يرف كأنه فوق السوائف خالص العقيان  
فذكر قص الشعر دليل على أن البيت لشاعري عصرى (١) ، لأن هذا  
اللون من التجميل ظهر أخيراً وقد كان النموذج العربى أن يكون الشعر  
طويلاً كثيفاً كما قال امرئ القيس :  
أثيث كقنؤ النخلة المتعشك .

وكما قال النابغة :

كالكرم مال على الدعام المسند  
ووصفه بصفرة الذهب دليل آخر على أنه شعر غادة غربية لا شرقية ،  
لأن شعر الشرقيات وبخاصة العربيات صورته لنا المتنبي فى قوله :

ذات فرع كأنما ضرب العنبر م فيه بماء ورد وعود  
حالك كالغداف جئل دجوجى م أثيث جعد بلا تجميع  
وقول شاعر - يصف الشمس ببعض البلاد - :

شمسهم غادة عليها حجاب فهي شرقية حونها الخدور  
شمسنا غادة أبت أن توارى فهي غربية جلاها السفور  
وقوله :

وتخذيتم موج الأثير بربداً حين خلت أن البروق كسالى  
وقوله :

وليل كطل القوم كابدت طوله وأيقنت أنى لا محالة صاحبه  
فالشعر الأول يفصح عن أن هذه الشمس تطلع فى بلاد يقنع جوها

(١) من من نظم المؤلف .

(١) الغداف : بالضم : الغراب ، والجئل : الكثير الملتف ، والدجوجى : المظلم ،  
والأثيث : الكثيف .



الغيم والضباب ، فلا ترى الشمس سافرة ضاحكة كما هي في بلادنا إلا في أوقات خاصة .

وهذه حقيقة أعرب عنها الشاعر حافظ إبراهيم ، والبلاد هي إيطاليا وقد كان رحل إليها في بعض السنين .

والبيت الثاني لا يمتري إنسان أنه من نتاج العصر الحديث ، فقد عرض فيه لذكر الآلات اللاسلكية ولم تكن معروفة في غير هذا العصر .

والبيت لحافظ يخاطب به الأمريكان من قصيدة له .

والبيت الثالث من الشعر السياسي ، والقوم الذين يريدونهم الإنجليز والذين عانوا مظلهم هم المصريون بخاصة .

وإذن لابد أن يكون هذا الشاعر مصرياً مصرياً .

والشاعر حافظ إبراهيم أيضاً .

وهكذا يستطيع الشاعر الصادق الأداء ، المنتزع معانيه من البيئة والعصر انتزاعاً أميناً ، أن يمثل الجيل الذي يعيش فيه أصدق تمثيل .

---



## الفصل السابع

### جمال الجسد في التشبيه

قبل أن ندخل في تفاصيل هذا الموضوع ، نرى من المناسب أن نبين معنى الجمال في نظر القدامى ، لما له من الصلة الوثيقة بالموضوع الذي نحن بسبيله .

لا تكاد اللغة تفرق في المعنى بين الجمال والحسن والملاحة وما إليها ، ففي المعجمات اللغوية : الجمال : الحسن في الخلق والخلق .

والحسن : الجمال .

والملاحة : الحسن .

وملح الشيء بالضم ملاحة : بهج وحسن منظره .

ولكن علماء الجمال يعرفون كلا منها تعريفاً يميزه من الآخر ، وإن بقي عليه ظل من الغموض .

فقالوا في الحسن<sup>(١)</sup> : إنه تناسب الخلقة ، واعتدال البشرة ، وصفاء المادة .

وقيل : إنه مركب من الوضاعة والتناسب والصباحة .

وقيل : إنه بياض اللون وسواد الشعر ، وكل منهما شطره .

ومن ذلك قول سيدنا عمر - ض - : إذا تمَّ بياض المرأة وحسن شعرها ، فقد تمَّ حسنهما .

وقول السيدة عائشة : البياض : شطر الحسن .

---

(١) تزيين الأسواق - ١٨٦ - ديوان الصبابة - ٣٤ - ٣٥



وقالوا في الجمال : إنه ما أخذ البصر : أى ما استرعى النظر وجذبه إليه .  
وقالوا : إنه السمن ، لأن اشتقاق الجمال من الجميل - على وزن كريم -  
وهو الشحم المذاب .

يقال : اجتمع الرجل : إذا أذاب الشحم وأكله .  
والجميل الودك بعينه <sup>(١)</sup> ، ووصف الرجل به : يراد أن ماء السمن  
يجرى في وجهه <sup>(٢)</sup> ؛ فالجميلة : هى السمينة .  
وفرقوا بين الجمال والملاحة فقالوا فى الجارية : جميلة من بعيد ، مليحة  
من قريب .

فالجميلة : هى التى تأخذ بصرك جملة على بعد ، فإذا دنت لم تكن كذلك .  
والمليحة : هى التى إذا كررت فيها بصرك زادتك حسنا .  
يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظراً  
وقالوا المليحة : هى البيضاء لأنها مشتقة من الملححة بالضم وهى : البياض .  
ومثلها الصبيحة تشبهاً لها بالصباح فى بياضه .  
ويقول خالد بن صفوان لامرأته - وقد قالت له - : ما أجملك !  
أتقولين ذلك وما لى عمود الجمال ، ولا على رداؤه ولا برنسه ؟  
قالت : ما عمود الجمال ، وما رداؤه وما برنسه ؟  
قال : أما عمود الجمال : فطول القوام وفى قصر .  
وأما رداؤه : فالبياض ولست بأبيض .  
وأما برنسه : فسواد الشعر وأنا أصلع .  
ولكن لو قلت : ما أحلاك وأملحك لكان أولى <sup>(٣)</sup> .  
وهو بذلك لا يفرق بين الجمال والحسن ، ولكن يفرق بينهما وبين  
الملاحة .

(١) الودك بالفتح : الدم . (٢) أدب الكاتب - ٤٩ .

(٣) عيون الأخبار ٤ - ٢٣ .



ومن « حقائق الصوفية » ، الجمال : رياس ، والحسن : صورة ،  
والملاحاة : روح ، فذلك ستره عليك وهذا سره فيك فإذا سوّيته ونفخت  
فيه من روحي <sup>(١)</sup> .

وصفوة أقوال الأقدمين : أن الجمال عندهم : ما يدرك بالنظرة الأولى  
ويتعلق بالشكل العام ، كبسطة الجسم ، واعتدال القوام ، وجهارة المنظر ،  
وحسن السمات .

وأن الحسن يتناول كل الأجزاء بالتفصيل ، ويعرف بترديد النظر  
وفضل التأمل .

وأن الملاحاة هي : ما يسمونه بعدوبة النفس ، وخفة الظل والروح ،  
وبراعة الظرف ، وقوة الجاذبية .

والذى تطمئن إليه النفس : أن الجمال والحسن والملاحاة والصباحة  
والقسامة والوسامة إلى آخر هذه الألفاظ : أسماء لمعنى واحد لا يمكن  
تعريفه ، لأن مقاييسه تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأمزجة .

فلكل عصر جمال ، ولكل أمة جمال ، ولكل ذوق جمال ، ولعل هذا هو  
السّر في أن الشارع الحكيم أباح للخاطب أن يرى من مخطوبته وجهها  
وكفيها وقدميها .

فالوجه : عنوان الجمال ، والكفان والقدمان : مرآة البدانة والنحافة ،  
وبرؤيتهما جميعاً يتحقق للإنسان الشكل الذى يصبو إليه .

وفى الأقوال المأثورة ما يؤيد مذهبنا : من أن الجمال أو الحسن لا  
يحدّ بحدود .

قالوا : الحسن الصريح : ما استنطق الأفواه بالتسييح .



وفي ذلك يقول بشار :

تُلقي بتسبيحة من حسن ما خلقت      وتستفز حشا الرائي بإرعاد  
كأنما صورت من ماء لؤلؤة      فكل جارحة وجهه بمرصاد

ويقول الوداعي :

بدر إذا بدا محياه      أقول ربى وربك الله

ويقول ابن المعتدل :

نظرت إلى من زين الله وجهه      فيا نظرة كادت على عاشق تقضى  
وكبرت عشرأ ثم قلت لصاحبي      متى نزل البدر المنير إلى الأرض  
ويقول البهاء زهير :

بهت محاسنه العقول فما بدا      إلا وسبح من رآه وكبرا  
وقالوا : الحسن : معنى لا تناله العبارة ، ولا يحيط به الوصف .  
وقالوا :

شيء به فنن الورى غير الذى يدعى الجمال ولست أدري ماهو  
ويقول « جاريت » : لفظة جميل نستعملها كلنا بمعنى غير محدود شأننا  
في معظم الألفاظ .

ويقول : ليس أمامنا فيما أرى إلا القول بأن تفسير الجمال لما يكتشف  
بعد ، أو نسلم بأنه لا تفسير للجمال على الإطلاق ، وأن الأشياء الجميلة  
ليست لها صفة مشتركة خاصة تجعلها جميلة ، وأن الجمال إنما هو حقيقة مطلقة  
لا يسبر غورها .

ويقول : والآن لنأخذ صورة مألوفة جداً ، صورة « العذراء » وطفلها  
فنجده قبل كل شيء أن من الواضح جداً أن تأثير هذه الصورة في المسيحيين



يختلف عن تأثيرها في المسلمين ، أو البوذيين الذين لم يسمعوها بالمسيحية قط ، أو سمعوها كما يسمعون بدين أجنبي عجيب .

ونجد ثانيا : أنها إذا كانت صورة إيطالية قديمة ، اختلف تأثيرها في المبتدئ عنه في شخص ألف رؤية مثل هذه الصورة ، فلا تزعجه تقاليد عصرها وبساطته .

وقد يرى بعض الناس في هذه الصورة إمتاعا وفتنة ، لمجرد أنها قديمة وخيالية ومنتمية إلى بلاد يحبونها وتهفو نفوسهم إليها <sup>(١)</sup> .

ولم يفت الأقدمين أن يَخُصُّوا كل عضو بصفة .

قال ابن الأعرابي : تقول العرب : الخلاوة في العيين ، والجمال في الأنف والملاحة في الفم .

وزاد آخر : والظرف في اللسان .

وقال بعضهم : الظرف في القد ، والبراعة في الجيد ، والرقعة في الأطراف والخصر ، والشأن كله في الكلام ، وأحسن الحسن ما لم يجلب بتزيين .

وفي المعنى الأخير يقول بعض الشعراء :

إن المليحة مَنْ تزيّن حليها لا من غدت بحليها تزيّن

وقال غيره :

منعمة لم تلبس الوشى زينة ولكن أحببت أن تزان الملابس

وقال المتنبي :

لبسن الوشى لا متجملات ولكن كي يصنّ به الجمالا

وضفّرن الفدائر لا لحسن ولكن يخفن في الشعر الضلالا



وأخذه الصاحب بن عباد فقال :

لبسن ثياب الوشى لا لتجمل      ولكن لصون الحسن بين برود  
وذهب بعضهم<sup>(١)</sup> إلى أن الصباحة في الوجه ، والوضاءة في البشرة ،  
والرشاقة في القد ، واللباقة في الشمائل ، وكمال الحسن في الشعر .  
ويتفق مع الآخرين في أن الحلاوة في العينين ، والجمال في الأنف ،  
والملاحة في الفم ، والظرف في اللسان .

ومن البديهيّات المسلّمة أن للمرأة هذا المخلوق الضعيف سحراً أخذاً  
وفتنة خالية ، جعلت لها سلطاناً على الرجال لا يغالب وتأثيراً لا يقاوم ،  
لا نستثنى من ذلك الأباطرة أهل الدولة والصولة ، والملوك ذوى النفوذ  
والسيطرة ، وجبابرة الحرب الذين دوّخوا البلاد وقهروا العباد .

وحسبنا أن نعرف أن الحجاج الطاغية المتجبر لم يستح أن يصرح :  
بأنه يقبل باطن أقدام نسائه ، والبهاء زهير يقبل أقدام إحدى زائراته :  
فقبلت أقداماً لغيرى ما مشت      ووجهاً مصوراً عن سوى محجبا  
والطغرائى يقبل الأرض :

وزائرة وافت فأجلت خدها      وقبلت إكراماً لموردها الأرض  
وكلا الشاعرين كان وزيراً خطيراً .

وهذه منحة من الطبيعة للمرأة تقابل بها قوة الرجل وشوكته ليتعادلا  
في ميزان الحياة ، ويدوم بينهما الوفاق والوئام ، وتقوى الألفة والانسجام ،  
مصدقاً لقوله - تعالى - : « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا  
لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة » .

وليس من همنا أن نفصل القول في هذا الشأن ، وإنما نريد أن نقرر :



أن الرجل لا يتصور الحياة بدون المرأة غير صحراء جرداء موحشة لا أنس فيها ولا بهجة ولا صفاء !

وأنه لا عار عليه في الميل إليها ، والانجذاب نحوها والكف بها ، والحرص على أن ينعم في ظلها الرطب ، ويتملئ سعادة الحياة بجانبها ، ويتذوق رحيق المتعة من مفاتيحها الجسدية في ظل الحلال المباح ! ولقد صدق من قال : إن أصدق بيت قيل في هذا الصدد :

ونحن بنو الدنيا وهن بناتها وعيش بنى الدنيا لقاء بناتها  
وليس في هذا نشوز على السنن الكونية ، ولا خروج على نواميس  
الفطرة المركوزة في نفوسنا ، بل غير هذا هو الشذوذ أو الضعف أو المرض  
والانسلاخ من الطبيعة القويمة !

إن أرواحنا في هذا العالم لا تتخلل المادة فقط ، بل تجد ما يعبر عن رغائبها وعواطفها ومشئياتها بواسطة المادة نفسها ، والمادة وحدها هي وسيلة هذا التعبير في هذه الدنيا .

وما دمنّا بشريين فلا بد أن تكون لنا أبدان ، والأبدان خاضعة للسنن الكيمية والفسولوجية ، كما هي خاضعة للسنن الروحية أيضا . فمن جسم المرأة المحبوب اللحمي البسيط المستلذ الذي تخرجنا سليقتنا البشرية الأزلية إلى أن نفتغيه ونتوق إليه ، لا ينشأ عجب الحياة الجسمانية الجديدة فقط ، بل يتسع أفق العاطفة الإنسانية الروحانية ، ويسطع نور التفاهم الروحاني الذي لا تستطيع الروح المنعزلة وحدها أن تبلغ إليه <sup>(١)</sup> . والحق أن هذا الجسم الذي نحته الله بيده القادرة المبدعة كان مثار الفتنة للرجل منذ أن تفتحت عينه عليه ، ولم يستطع حتى الشعراء العذريون أن يصموا آذانهم عن ندائه المغرى المعسول !



فَنَسْمَعُ الْمَجْنُونِ - وَالْحَسْرَةَ تَنْهَشُ فؤاده - يَقُولُ لَزَوْجِ لَيْلَاهُ - :  
بِرَبِّكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلِي      قَبِيلُ الصَّبْحِ أَوْ قَبِيلُ فَهَاهُ  
وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُونُ لَيْلِي      رَفِيفُ الْأَفْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا  
وَيَقُولُ زَعِيمُ الْمَدْرَسَةِ الْعَذْرَوِيَّةِ جَمِيلُ بَشِينَةٍ :

ذَكَرْتُ مَقَامِي لَيْلَةَ الْبَيَانِ قَابِضًا      عَلَى كَفِّ حُورَاءِ الْمَدَامِ كَالْبَدْرِ  
تَجُودُ عَلَيْنَا بِالْحَدِيثِ وَتَارَةً      تَجُودُ عَلَيْنَا بِالرَّضَابِ مِنَ الثَّغْرِ  
وَيَقُولُ :

سَبَبْتَنِي بَعِيْنِي جُودُ وَوَسْطُ رَبِّهِ      وَصَدَرَ حِكْمِي لَوْنُ اللَّجَيْنِ وَجِيدِ  
كَمَا أَنَّ هَذَا الْجِسْمَ الْبَدِيعَ أَكْبَرُ مَصْدَرٍ لِإِلْهَامِ الْفَنَانِينَ مِنْ جَمِيعِ الْأَلْوَانِ  
وَالْمَشَارِبِ ، وَإِلْهَابِ عِبْقَرِيَّاتِهِمْ وَإِذْكَاءِ عَوَاطِفِهِمْ .  
وَمَا نَلَا حُظَّهُ أَنْ الرِّسَامِينَ التَّقْلِيدِيِّينَ يُفَضِّلُونَ رَسْمَ جُسُومِ الْبَشَرِ  
وَوُجُوهِهِمْ ، وَهِيَ مَادَّةٌ - إِذَا كَانَتْ قَدْ فَقِدَتْ بِالْأَلْفَةِ بَعْدُ جَدَّتَهَا وَانْتَهَا -  
فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَمَثِّلُ فِي دَقَّةٍ وَتَفْصِيلٍ حَيَاتِنَا وَحَيَاةَ مَنْ نَرَاهُمْ مِنْ بَنِي الْإِنْسَانِ (١) .  
وَإِذَا كَانَتْ الْمَرْأَةُ فَتْنَةً لِلنَّاسِ جَمِيعًا ، فَقَدْ كَانَ حُظُّ الْعَرَبِيِّ مِنْ هَذِهِ الْفَتْنَةِ  
أَعْظَمَ وَأَشَدَّ !

فَالْعَرَبِيُّ بِطَبْعِهِ رَقِيقُ الْحَسِّ مَرْهَفُ الشُّعُورِ مَتَوَقِّدُ الْعَاطِفَةِ ، يُصِيبُهُ الْجَمَالُ  
وَيَتِيَّمُهُ الْحَسَنُ ، وَتَمِيلُ بِهِ الْمَلَا حَةَ كُلِّ تَمِيلٍ ، حَتَّى لِيَتَدَلَّهُ لِبِهِ وَيَجْنُ جَنُونَهُ  
حِينَ ، وَتَتَلَفُ نَفْسُهُ حِينَ آخِرٍ ، وَحَتَّى رَأَيْنَا مِنْ قَوْمِهِ قَبِيلَةً كَامِلَةً تَتَخَصَّصُ  
فِي الْحُبِّ وَفِي أَشْعَارِ الْحُبِّ ، وَفِي الْمَوْتِ فِي الْحُبِّ ، وَتَعْدُهُ اسْتِشْهَادًا  
كَالْمَوْتِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَهِيَ بَنُو عَذْرَةٍ .

يَقُولُونَ جَاهِدْ يَا جَمِيلُ بِغَزْوَةٍ      وَأَيُّ جِهَادٍ غَيْرُهُنَّ أُرِيدُ







وأما ما عداه فنادر أن تيسر لشاعر بيت أو بيتان أو أكثر في عضو بعينه ، أما في ضمن غيره فكثير<sup>(١)</sup> .

ولا شك أن الوجه خليف بذلك فهو عنوان الجمال ، ومظهر الصباح ، وموطن الجاذبية ، ومجلى الصحة والشباب .

وفيه جملة من الأعضاء النفيسة يتركز فيها السحر ويتبلور الفتون ! فيه ما قاله بعض العذريين لرجل من بني فزارة — لأمه في الحب — :  
أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ، ترشق بالعيون الدعج ، من تحت الحواجب الزج ، والشفاه السمر ، تبسم عن الثنايا الغر ، كأنها شذر الدر ، لجعلتموها اللات والعزى وتركتم الإسلام وراء ظهوركم !  
ثم الوجه إلى ذلك سمة الوراثة النقية الراقية والمواهب الناضجة المكتملة . فهناك تقابل وثيق بين ملامح الوجه والدماغ ، والعلامات الفسيولوجية للدماغ تبدو مرتبطة حتماً بانحطاط عقلي ونفسي للجنس ، فنجدتها أبرز ما تكون عند المتوحشين ، ونراها تزول متى انتقلنا من الهمجية إلى الحضارة ، وحين تظهر فجأة على بعض الأفراد تبدو نوعاً من الرجوع الوراثة «At avisme» فمن الممكن إذاً أن نأمل أنها ستزول شيئاً فشيئاً في الأجناس العليا بتأثير التقدم العقلي .

وأهم الخصائص التي تميز الوجه القبيح في رأى علماء الجمال والفسيولوجيا : بروز الفكين ونبوء الوجنتين ، وفطس الأنف أو فتقسه ، وتباعد العينين ، وسعة الفم ، وغلظ الشفتين<sup>(٢)</sup> .

وقد شبهوا الوجه جملة بكل منير وضاح بهيج ؛ كالقمرين والكواكب والصباح والمنارة والمصباح والسراج والصحيفة والمرأة والمرأة الغريبة والدينار .

(١) تزيين الأسواف — ٢٢٨ (٢) تعاليقات الدروبي على مسائل في فلسفة الفن المعاصرة — ٨١



وبكل صاف رقيق كالدر والبرد والياسمين .  
وشبهوه تفصيلا بأشياء كثيرة مناسبة .  
فشبهوا الجبهة بالصبح ، والمرآة .  
وشبهوا الحاجب بالقوس ، والنون .  
وشبهوا العين بعين الغزال والمهابة ، وبالترجس .  
وشبهوا نظراتها بالسيف والسهم والنبل والسحر والخمر .  
وشبهوا أهدابها بريش السهام وقوادم الطير .  
وشبهوا الخد بالورد ، والشقائق ، والأرجوان ، والجلنار ، والعندم ،  
والتفاح ، والخمر والجمر ، والماء والنار .  
وشبهوا الأنف بحد السيف ، وقصبة الدر .  
وشبهوا الفم بالخاتم في صغره وضيقه .  
ولكن يجب أن يلاحظ أن ضيق الفم كان مستملحا في النساء فقط  
لا الرجال ؛ فالجاحظ يقول<sup>(١)</sup> : ومدحوا سعة الفم وذموا صغره ؛  
قيل لأعرابي : ما الجمال ؟ قال : طول القامة وضخم الهامة ورحب الشدق  
وبعد الصوت .  
ومن وصف أبي المخش لابنه : كان والله أشدق خرطمانيا : أى واسع  
الشدق واسع الخرطوم ، وهو ما ضم عليه الخنكان .  
ويقول : ويدلك على تفضيلهم سعة الأشداق ، وهجائهم ضيق الأفواه  
قول الشاعر :  
لما الله أفواه الدبى من قبيلة      إذا ذكرت في النائبات أمورها  
ولما شبه أفواههم بأفواه الدبى - وهى صغار الجراد - لصغرها  
وضيقها .



وشبهوا الأسنان بالآقاحى واللؤلؤ والبرد والطلع والحب والبلور.  
والسيال<sup>(١)</sup> والشعاع .

وشبهوا الريق بالخرقة الصرف ، أو الممزوجة بالماء البارد ، وبالشهد  
والعسل والقند<sup>(٢)</sup> ، وبالماء الفرات ، وماء السحاب ، أو الماء الممزوج  
بالمسك أو الزنجبيل .

وشبهوا حديثها ونغمتها بوسواس الحلى وزجل الحمام وبغمام الظباء  
وقطع الرياض والدر المنشور ، والوشى ، والعسل ، والسحر الحلال .  
وشبهوا ابتسامها بوميض البرق

وشبهوا نكمتها بالمسك والعنبر ونشر الرياض وريح الخزامى وعرف  
العود .

وشبهوا شعرها بالليل والفحم وأذنان الخيل والحيات والكرم وعناقيد  
الكرم وأعذاق النخل<sup>(٣)</sup> والجبال ، وبالغدير تصفقه الرياح فى حال  
الجمودة .

وشبهوا شعر أصداعها بالغوالى والعقارب والصواالج والمسك والسبيج<sup>(٤)</sup>  
وجناح الغراب .

وشبهوا فرق الرأس بالصبح .

وشبهوا جيدها بجيد الظبي والغزال ولأبريق الفضة .

وشبهوا الصدر والترائب بالعاج والمرآة وصدر الدمية .

---

(١) السيال بالفتح : نبات له شوك أبيض طويل .

(٢) القند بالفتح : عسل قصب السكر الجامد .

(٣) الأعذاق : جمع عذق بالكسر وهو القنو ، والعذق بالفتح : النخلة نفسها .

(٤) السبيج محرقة : الخرز الأسود .



وشبهوا نديها بحقاق العاج والكافور والرمان وأنف الظبي وقلب الظبي .  
وشبهوا قدها بغصن البان وقضيب الرند والآس والخيزران والريح .  
وشبهوا بطنها بالقباطى<sup>(١)</sup> المطوية المدبجة ، وعُكُنْها بالقراطيس المدرجة  
والسرة بمدهن العاج .  
وشبهوا ظهرها بالجدول .  
وشبهوا ردفها بالكثيب ، وبالكثيب المهيل وأمواج البحر في حال  
المشى .

وشبهوا خصرها بالعنان المجدول ، وبخصور المها والزنابير وحلقة الخاتم .  
وشبهوا أوراكها بأنقاء الرمل ، وسوارى العاج والرخام .  
وشبهوا ساقها بأنبوب البردى والجُمار والبرد .  
وشبهوا القدم باللسان مطلقاً ، وبالسان الحية خاصة .  
وشبهوا أصابع يديها بالأساريع<sup>(٢)</sup> والمساويك والعنم والعناب والبلح .  
وشبهوا كعبها بأصل أذن الجؤذر — وهو الصغير من أولاد بقر  
الوحش — .

وشبهوا مشيتها بمشية القطاة والمهاة والحية والوجى الوحل ، والظافر  
في الحرب ، والمنزوف<sup>(٣)</sup> والراسف في القيد ، والسائر على البيض وقطع  
الزجاج ، والريح المهتز والغصن المروح والفن الممطور .  
وشبهوا رائحتها بالأترجة والمسك وفأرة المسك<sup>(٤)</sup> والعنبر والقرنفل  
والغالية والملاب والزعفران والرند والنَّد .

---

(١) القباطى : ثياب بيضاء اللون كانت تنسج في مصر فنسبت للقبط .

(٢) الأساريع : دود أحمر يشبه الأصابع المخضوبة . (٣) المنزوف : السكران .

(٤) فأرة المسك : وعاءه .



هذا بعض ما قالوه في المرأة ، وقد عرضنا فقط لما يتصل بما نحن بسبيله من التشبيه ، ويبدو من هذا مبالغ عاطفتهم الجمالية ومقدار تعلقهم بالمرأة وقوة انفعالهم بمفاتنها البدنية ، ولا يضيرهم هذا النزاع إلى الحسن المادى كما لا يضيرهم أن تنبض أوصافهم بالاشتياها الجنسي ، فغير هذا نفاق ورياء ومغالبة للطبيعة الغلابة .

وجمال المرأة أرفع أنواع الجمال - مهما يقلد كانت ، - والصفات التي تعجبنا في المرأة أكثر من غيرها هي بعينها الصفات التي تتصل بالشهوة أكثر من غيرها ، وتمت إلى غريزة الجنس بأسباب وثيقة .  
إن المرأة الجميلة في نظر ابن الشعب هي المرأة الفارعة البضة الزاهية ألوانها ، العريضة أردافها ، وهذه هي المرأة التي تروى شهوة الجنس إلى أبعد حد .

وإن كانت صورة الجمال في الطبقات الاجتماعية العليا لا تقابل اليوم على هذا النحو الدقيق الحاجات الأولى التي تسيطر على الجنس والفرد ، فذلك لأن هذه الحاجات نفسها قد تطورت بصورة عامة ، فضعفت على مر الأيام وراقت شيئاً بعد شيء ، فأجمل النساء اليوم هي التي تناسب صبوات حياتنا الفردية وتتفق مع هذه العواطف والميول التي نشارك فيها أبناء العصر<sup>(١)</sup> .



# الفصل الثامن

## الخطأ في التشبيه

الخطأ في التشبيه نوعان :

- ١ - خطأ في اللفظ ؛ وهو مخالفة قواعد النحو والصرف ، أو استعمال الألفاظ العامة أو الأجنبية بدل الألفاظ العربية الصحيحة .
- ٢ - خطأ في المعنى ؛ كأن يكون فاسداً أو محالاً أو متناقضاً أو مخالفاً للعادة أو الواقع إلى غير ذلك .

وفي التنبيه على خطأ المعاني وصوابها يقول العسكري : إن الكلام ألفاظ تشتمل على معان تدل عليها وتعبر عنها ، فيحتاج صاحب البلاغة إلى إصابة المعنى كحاجته إلى تحسين اللفظ ، لأن المدار بعدُ على إصابة المعنى ، ولأن المعاني تحل من الكلام محل الأبدان ، والألفاظ تجري معها مجرى الكسوة ، ومرتبة إحداهما على الأخرى معروفة .

ثم يقول : والمعاني بعد ذلك على وجوه :

- ١ - منها ما هو مستقيم حسن نحو قولك : قد رأيت زيدا .
- ٢ - ومنها ما هو مستقيم قبيح نحو قولك : قد زيدا رأيت .  
وإنما قبيح لأنك أفسدت النظام بالتقديم والتأخير .
- ٣ - ومنها ما هو مستقيم النظم وهو كذب ، مثل قولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر .
- ٤ - ومنها ما هو محال كقولك : آتيك أمس ، وأنتك غدا .  
والفرق عنده بين المحال والفاقد : أن كل محال فاسد ، وليس كل فاسد



محالا ، ألا ترى أن قولك : قام زيد بالكسر فاسد وليس بمحال .  
والمحال : ما لا يجوز كونه ، وجوده ، ألبته ، كقولك : الدنيا في بيضة .  
وأما قولك : حملت الجبل وأشباهه فكذب وليس بمحال ؛ لجواز أن  
يزيد الله في قدرتك فتحمله ١

ويجوز أن يكون الكلام الواحد كذبا محالا وهو في قولك : رأيت  
قائما قاعدا ، ومررت بيقظان نائم ؛ فتصل كذبا بمحال ، فصار الذي هو  
الكذب هو المحال بالجمع بينهما وإن كان لكل واحد منهما معنى على حiale .  
وذلك لما عُقد بعضهما ببعض حتى صارا كلاما واحدا .

ومنها الغلط ، وهو أن تقول : ضربني زيد وأنت تريد ضربت زيدا  
فغلطت ، فإن تعمدت ذلك كان كذبا (١) .

ويرجع الخطأ في اللفظ إلى الجهل بمفردات اللغة ، وعدم الإحاطة  
بالعرف اللغوي في قواعد الإعراب والبناء والأقيسة .  
ويرجع الخطأ في المعنى إلى أسباب كثيرة .

١ — منها وصف شيء لم يره الواصف أصلا ، أو رآه رؤية عابرة ، أو  
سمع بوصفه كقول أبي نواس في وصف الأسد :

كأنما عينه إذا نظرت بارزة الجفن عينٌ مخنوق

ألا تراه — وهو مقدّم في المحدثين — لما وصف الأسد وليس من  
معارفه ، ولعله ما شاهده قط إلا مرة في العمران إن كان شاهده ، دخل  
عليه الوهم فجعل عينيه بارزتين وشبههما بعيون المخنوق ، وقام عنده أن هذا  
أشنع وأشبه بشتامة (٢) وجه الأسد ، وذهب عنه من صفة أبي زيد (٣)  
وغیره لغثور عينيه لما هو أعلم به من أخذه عنه .

(١) الصنائع ٦٦ — ٦٧ — ٦٨ (٢) الشتامة : كراهة الوجه وعبوسه .

(٣) شاعر معروف بوصف الأسد .



وأكبر ظنى — والله أعلم — أن أبا نواس إنما رجع بالصفة إلى الرجل المشبه بالأسد ، وجعل ازورار عينيه وبروز جفنيه من علامات الغيظ والحنق على أقرانه في الحرب <sup>(١)</sup> .

والصواب ما وصفه به ابن عبد ربه في قوله :

ليث تطير له القلوب مخافة من بين هممة له وزئير  
وكأنه يومى إليك بطرفه عن جمرتين بجلد منقور  
وكما وصفه أبو زيد الطائي من قبل :

كان عينيه في وقبين من حجر قيصا اقتياضا بأطراف المناقير <sup>(٢)</sup>  
وقوله :

وعينان كالوقبين في قلب صخرة يرى فيهما كالجمرتين تسعر  
وكقول الراجز :

كأنما ينظر من خرق حجر

٢ — ومنها أن يكون الواصف رأى الشيء عيانا غير مرة ولكنه لم يعمم النظر ولم يدقق الملاحظة في رؤية الأجزاء ، فيقع في الخطأ حينما يعرض للوصف التفصيلي ، وقد وقع في ذلك كثير من الشعراء كالنابغة في قوله :

كأن حجاج مقلتها قلب من الشيقين حلق مستقاها

الشيقين : موضع ، وحلق : غار ، ومستقاها : مأوها .

شبه حجاج مقلتها بقلب في هذا الموضع المذكور الذى نصب مأوه ليكون أبعد غورا .

والحجاج لا يغور لأنه العظم الذى ينبت عليه شعر الحاجب <sup>(٣)</sup> .

(١) العمدة — ٢ — ١٨٧

(٢) الوقب : النقرة في الحجر ، وقيصا : تقرا ، والمناقير : آلات النقر .

(٣) الموشح — ٨٧



٣ - ومنها الوصف بالظن دون اليقين كقول أبي جبلة الأعرابي<sup>(١)</sup> :  
 بَرِيَّةٌ لَمْ تَأْكُلِ المَرْقُقَا ولم تذق من البقول الفستقا  
 تعاطى ما لا يعرف - كما يقول ابن رشيق - فجعل الفستق بقلًا على ما في  
 نفسه من لعاع<sup>(٢)</sup> البقل .  
 وأراد بقوله : بَرِيَّةٌ أَمَا مِنْ سَكَّانِ البَادِيَةِ لَمْ تَأْكُلِ مطاعِمَ الحَضَرِ كالمِرقُقِ  
 والفستق الذي ظنه بقلًا .  
 وقول رؤبة :

هَلْ يَعْصَمُنِي حَلِيفٌ سَخْنِيتٍ أَوْ فَضَّةٌ أَوْ ذَهَبُ كَبْرِيتٍ<sup>(٣)</sup>  
 قال ابن الأعرابي والأصمعي وغيرهما : ظن رؤبة أن الكبريت ذهب .  
 وفي العقد الفريد : سمع بالكبريت أنه أحمر فظن أنه ذهب .  
 وفي شفاء الغليل : وذكره رؤبة في شعره بمعنى الذهب وخطيء فيه ؛  
 لأن العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الألفاظ .  
 وقال ابن دريد في الجهرة : وهذا مما غلط فيه رؤبة فجعل الكبريت  
 ذهبًا<sup>(٤)</sup> .

وقد قال العلامة تيمور ، باشا ، معلقا على ذلك : قلنا : ولا يخرج ما في  
 اللسان عن ذلك ، ولكنه ذكر تفسير الكبريت بالذهب في قول لبعضهم ،  
 وهو كما لا يخفى يناقض ما اعترض به هؤلاء الأئمة ، فلعله حدث بعد نظم  
 البيت ، وبني على ما فيه وثوقا من قائله بالشاعر ، وليحقق<sup>(٥)</sup> .  
 وقول شاعر :

كَأَنَّهُ سَبَطَ مِنَ الْأَسْبَاطِ .

(١) رواية العقد الفريد - ٣ - ٣٤٤ : أنه أبو نخيلة الراجز .

(٢) اللعاع كغراب : البيت الناعم أو أول ما يبدو منه .

(٣) السخنيت بكسر فسكون : الشديد .

(٤) المزهر - ٢ - ٣١٣ (٥) أو هام الشعراء - ١١



ظن السبط رجلا ، وإنما السبط : واحد الأسباط من بني يعقوب<sup>(١)</sup> .  
 ٤ - ومنها قياس شيء على شيء من غير تثبت ولا تبين كوصف العرب  
 لمنازل النجوم دون أن يفطنوا إلى أنها في تغير مستمر .  
 وفي ذلك يقول ابن رشيق<sup>(٢)</sup> : ولما رأيت العرب - وهم أعلم الناس  
 بهذه المنازل وأنوائها لأنها سقف بيوتهم وسبب معاشهم وانتجاعهم -  
 غلطوا فيها فقال أحدهم :

من الأنجم العزل والراحة .  
 وقال امرؤ القيس :

إذا ما الثريا في السماء تعرضت      تعرض أثناء الوشاح المفصل  
 فأنى بتعرض الجوزاء .

ورأيت كل من عني بالنجوم من المحدثين واستوفى جميع المنازل مخطئا  
 لا شك في خلافه ؛ لأنه إنما يصف نجوم ليلة سهرها والنجوم كلها لا تظهر  
 في ليلة واحدة ؛ لذلك قلت أنا احتياطا في ذلك الليل من نسب قصيدة  
 مدحت بها السيد الحسن :

قد طال حتى خلته من كل ناحية وسط  
 وتكررت فيه المنازل منه لأمي الغلط

على أن المبرد يقول في بيت امرئ القيس المتقدم : وقد أكثر الناس  
 في اثريا فلم يأتوا بما يقارب هذا المعنى ، ولا بما يقارب سهولة هذه الألفاظ .  
 وقد عيب عليه فقيلا : الثريا لا تتعرض في السماء ، وقال من يعذره :  
 إنه أراد الجوزاء وهي التي تمر متعرضة في جنب غير مستقيمة ، فلما لم يستقم  
 له الوزن وضع الثريا موضعها كأحر عاد في شعر زهير ، وضعه موضع  
 أحر ثمود<sup>(٣)</sup> .

(٢) العمدة - ٢ - ١٩٦

(١) المزهري - ٢ - ٣١٢

(٣) الكامل - شرح المصنف - ٦ - ١٤٥



ويعنى بشعر زهير قوله :

فُتْنَجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشَامَ كُلَّهُم كَأَحْمَرِ عَادٍ ثُمَّ تُرْضَعُ فَتُقَطَّمُ  
ويقول السيوطي : قالوا : أراد بالثريا : الجوزاء فغلط ، وتأوله  
آخرون على أن معنى تعرضت : أعرضت قال : ويقال : إنها تعترض في  
آخر الليل .

ويقال : إنها إذا طلعت طلعت على استقامة فإذا انتقلت تعرضت <sup>(١)</sup> .

وقال بعضهم ممن يعذره : أراد الجوزاء لأنها تتلوها . <sup>(٢)</sup>

وقال بعضهم في تصحيحه : الثريا تعرض أول ما تطلع ، كما أن الوشاح  
يلقاك بعرضه وهو ناحيته .

وقال أبو عمرو : يعنى إذا أخذت الثريا في وسط السماء كما يأخذ  
الوشاح في وسط المرأة .

وقال الباقلاني : والأشبه عندنا : أن البيت غير معيب من حيث عابره  
به ، وأنه من محاسن هذه القصيدة . . . . . ولكن لم يأت فيه بما يفوت  
الشأو ، ويستولى على الأمد <sup>(٣)</sup> .

هذه أقوالهم في بيت امرئ القيس ، ونفهم منها أنهم غير مجمعين على  
خطئه فيه .

وكذلك يقال : في « أحمر عاد » .

فالزورنى يقول : وأراد بأحمر عاد : أحمر ثمود وهو عاقر الناقة ، واسمه  
قُدار بن سالف <sup>(٤)</sup> .

ويقول ابن قتيبة : وإنما هو أحمر ثمود عاقر الناقة <sup>(٥)</sup> .

(١) الزهر - ٢ - ٣١٤ (٢) الموشح - ٣٦ (٣) إعجاز القرآن - ١٤٠

(٤) شرح المعلقات - ٨٧ (٥) الشعر والشعراء - ٤١



ويقول المرزباني : قال أبو سعيد الضرير : سمعت الأصمعي يقول :  
لا أحب قول زهير « البيت » .  
إن ثمود لا يقال لها : عاد ؛ لأن الله — عز وجل — إنما نسب قداراً  
عاقرة الناقة إلى ثمود .

قيل : فقد قال : « وأنه أهلك عاداً الأولى » .  
فقال معناه : التي كانت قبل ثمود لا أن مهنا عادين <sup>(١)</sup> .  
ويرد ابن رشيق على الأصمعي بقوله : ولا أدري لما خطأه وقد سمع  
قول الله — عز وجل — : « وأنه أهلك عاداً الأولى » .  
فهل قال هذا إلا وثم عاد أخرى كما قال قيس بن سعد بن عبادة :  
سراويل عادى نمته ثمود

وكان يقال لثمود : عاد الصغرى <sup>(٢)</sup> .  
ه — ومنها الغلو في الوصف زيادة في المدح أو التحسين إلى غير ذلك  
فينقلب الأمر إلى ضده كقول امرئ القيس :  
وأركب في الروح خيفانة كسا وجهها سعف منتشر <sup>(٣)</sup>  
أراد المبالغة في وصف ناصية الفرس بالطول فشبهها بسعف النخلة ،  
وإذا غطى الشعر العين لم يكن كريماً <sup>(٤)</sup> .  
وقول الحكم الخضري يمدح :

كانت بنو غالب لا متها كالغيث في كل ساعة يكف  
وليس في المعهود أن يكون الغيث واكفا في كل ساعة <sup>(٥)</sup> .  
وإن كان البيت يحتمل من التأويل أن يكون معناه : كأن هؤلاء القوم

(١) الموشح — ٤٥ (٢) العمدة — ٢ — ١٩١

(٣) الخيفانة : التي لها عين زرقاء وأخرى سوداء .

(٤) الصناعتين — ٩١ (٥) الموشح — ٢٣٢



كالغيث إلا أنه غيث يكف كل ساعة ، وإن لم يدل لفظه على هذا المعنى  
دلالة واضحة (١) .

٦ - ومنها قصد تقويم البيت فيضطر الشاعر إلى الكذب ، كهذا  
الشعر الذي أنشده الكميت نصيباً من قصيدة له ؛ مطلعها :  
أبت هذه النفس إلا اذكرا  
فلما بلغ إلى قوله :

إذا ما الهجارس غنيها يحاوبن بالفلوات الوبارا  
قال له نصيب : الفلوات لا تسكنها الوبار .  
فلما بلغ إلى قوله :

كأن الغطاطم في غليها أراجيز أسلم تهجو غفارا  
قال له نصيب : ما هجت أسلم غفارا قط .  
فانكسر الكميت وأمسك (٢) .

الوبار بالكسر : جمع وبرة ياسكان الباء : حيوان أصغر من السنور  
مغير اللون لا ذنب له يحبس في البيوت ويعلف فيها .  
والغطاطم بضم الغين : صوت غليان موج البحر ؛ والمراد هنا :  
صوت غليان القدر .

شبه صوت غليان القدر في شدته واحتداه بارتجاز قبيلة أسلم في هجوها  
قبيلة غفار .

وفي هذا يقول الخفاجي : وما يحتاج إليه التشبيه : أن يكون الأمر  
المشبه به واقعا مشاهداً معروفاً غير مستنكر ؛ ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه  
والتمثيل من الإيضاح والبيان .

(١) سر الفصاحة - ٢٤٠

(٢) الصناعتين - ٩٤ - الموشح - ١٩٣ مع اختلاف يسير .

(٣) سر الفصاحة - ٢٤٠



وقد أراد نصيب من السكينة : أن يكون شبه شيء واقع معروف  
وهذا كما قال : كأن مناقضة فلان وفلان مناقضة جرير والفرزدق ، فيكون  
هذا الكلام صحيحاً .

ولو قيل : كأن مناقضتهما مناقضة الأحوص وعمر بن أبي ربيعة ، لم  
يكن التشبيه صحيحاً إذ كان المشبه به لم يقع<sup>(١)</sup> .  
ويتصل بذلك أن يضطر الشاعر إلى التعميم في موضع التخصيص كقول  
ذى الرمة في وصف الوتر .

كأنه في نياط القوس حلقوم

وقد أنكر عليه الأصمعي ذلك وقال : حلقوم ماذا ؟  
إذ كان يجب عليه أن يقول : حلقوم طائر أو حلقوم قطة أو غيرها  
عما يشبه الوتر ، وإلا فقد يكون الحلقوم حلقوم فيل أو حلقوم بعير  
وهذا من الأصمعي إنكار صحيح وإن كان الخطب يسيراً ؛ لأن العرب  
لا تشبه الوتر إلا بحلقوم الطائر<sup>(٢)</sup> .

أو يضطر إلى القلب كقول النابغة الجعدي :

كانت فريضة ما تقول كما كان الزنا فريضة الرجم  
والأصل : كان الرجم فريضة الزنا .

وكقول الشماخ في أبيه :

منه ولدت ولم يؤشَب به حسبي لياً كما عصب العلباء بالعود  
العلباء بالكسر : عصب العنق ، ويؤشَب به : يخلط .  
والوجه : كما عصب العود بالعلباء .  
أو يضطر إلى حذف ما ينعكس به المعنى كقول جميل :



لا حسنها حسن ولا كدلالها دَلَّ ولا كوقارها توقير  
فحذف كاف التشبيه ؛ فصار المعنى : كأنه ليس حسنها حسناً<sup>(١)</sup> .  
أو يضطر إلى حذف بعض حروف الكلمة كقول امرئ القيس  
في وصف فرسه :

لها متفتان خطّاتا، كما أكبَّ على ساعديه النمرُ  
الأصل خطّاتان فحذف النون .

والخطّاة : المكتنزة ؛ أراد : لها متتان ممتلئان لحما كساعدي النمر المبارك  
على الأرض في الضخامة .

وليس هذا من صفات الجياد الجيدة ، فالمستحسن فيها قلة اللحم في المتن  
والوجه كقول الشاعر :

قد أشهد الغارة الشعواء تحماني جرداء معروفة اللّحيين سر حوب<sup>(٢)</sup>  
وقول طفيل الغنوى :

معركة الألحى تلوح متونها .

وقد وقع في هذا الخطأ أبو ذؤيب الهذلي حيث يقول :

قُصر الصُّبوح : لها فُشِّرَج لحمها بالنّى فهي تشوخ فيها الإصبع  
قصر الصُّبوح لها : اقتصر لها على اللبن عوضاً عن الماء ، وشرح لحمها :  
عوى بعضه فوق بعض ، والنّى : الشحم .

قال الأصمعي : هذه الفرس لا تساوى درهمين ؛ لأنه جعلها كثيرة  
اللحم ، رخوة تدخل فيها الإصبع<sup>(٣)</sup> !

(١) العمدة - ٢ - ١٠٧

(٢) السرحوب بالضم : الطويلة . (٣) الصناعتين - ٨٥



أو يضطر إلى وضع كلمة مكان أخرى كقول عدى :  
ولقد عدت دوسرة كعلاة القمين مذكاراً

الدوسرة : الناقة الضخمة ، والعلاة بالفتح : السندان .  
جعلها مذكاراً والمثنائات عندهم أحمد ، وأراد مذكرة فلم يتفق له (١) .  
٧ - ومنها ذهول الشاعر عن صواب المعنى ، لانغماره في لجة الشعر  
وسبحه في آفاق الخيال فيقع في الزلل والخطأ ؛ لأن عقله الباطن يكون  
مسيطرأ على إدراكه ، وعقله الواعى يصبح في شبه شلل ، والشعراء يعرفون  
ذلك بالتجربة ويعجبون كيف يقعون في هذه الأخطاء حينما يشوبون  
إلى وعيهم .

وفي ذلك يقول ابن رشيق : ولا بد أن يؤتى على الشاعر المفلق والعالم  
المتفطن ؛ لما بنى عليه الإنسان من النقص والتقصير ، وخير ما في ذلك أن  
يرجع المرء إلى الحق إذا سمعه ولا يتمادى على الباطل لجاجة وأنفة من الخطأ ،  
فإن تماديه زيادة في الخطأ الذي أنف منه (٢) .

وهذه الحال التي تعترى الشعراء تسبب وقوعهم في أشياء معيبة كالتناقض  
في قول المسيب بن علس :

فقتل حاجتها إذا هي أعرضت	بخميصة سرح اليدين وساع (٣)
وكان قنطرة بموضع كورها	ملساء بين غوامض الأنساع (٤)
وإذا أطففت بها أطففت بكل كل	نبض الفرائص مجفراً الأضلاع (٥)

(١) الموشح - ٨٨ (٢) العمدة - ٢ - ٢٠٧  
(٣) سرح بضمين : سريع . (٤) الأنساع : سيور عريضة جمع نسع بالكسر .  
(٥) المجفّر : العظيم الجنبين من كل شيء .



فكيف تكون خميصة وقد شبهها بالقنطرة ، والقنطرة لا تكون إلا عظيمة .

ثم قال : مجفّر الأضلاع : - أى عظيمها وواسعها - وكل هذا ينقض ما ذكره (١) .

أو الإحالة كقول عبد الرحمن بن حسان :

وإن مال الضجيع بها فدعص من الكُشبان ملتبد مهيل

قالوا : وكيف يكون ملتبداً مهيلاً !

هذا مستحيل متناقض !

غير أن ابن رشيق يقول : والذي عندي فيه أنه صواب ؛ لأنه إنما أراد بالتعباده : صلابته ملمس العجيزة وأنها غير مسترخية ، وجعله مهيلاً لارتعاده واضطرابه من العظم كما قال ابن مقبل :

يمشين هَيْلَ النَّقا سالت جوانبه ينهال طوراً وينهال الثرى حيناً

فقد جعله مرة ينهال ، ومرة ينهال الثرى عن التثني الذي فيه (٢)

أو الفساد كقول أبي تمام (٣) :

ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعها لم يضيق عن أهله بلد

وذلك أن البلد التي تضيق بأهلها لم تضيق بأهلها لضيق الأرض .

ومن اختط البلدان لم يخططها على قدر ضيق الأرض وسعتها ، وإنما اختطت على حسب الاتفاق ولعل المسكون منها لا يكون جزءاً من ألف جزء ، فلا معنى تصديره ضيق البلدان الضيقة من أجل ضيق الأرض .

(١) الموشح - ٩٠ (٢) العمدة - ٢ - ٢٠٧

(٣) الصناعتين - ١٢٠ - الموازنة - ١٨٠ - ١٨١ .



والصواب أن يقول : ورحب صدر لو أن الأرض واسعة كوسعه  
لم يسعها الفلك ، أو لضائق عنها السماء ، أو يقول : لو أن سعة كل بلد  
كسعة صدره لم يضيق عن أهله بلد .

والجيد في هذا المعنى قول البحترى :

مفازة صدر لو تطرق لم يكن ليسلكها فرداً سلك المقاب (١)  
أى لم يكن يسلكه إلا بدليل لسعته ، وأيضاً فإن الجزء من الأرض  
هو ما يكون فيه الحيوان والنبات ، وإنما مقداره على ما يقول أهل الهندسة  
الربع من الأرض وأقل من الربع ، والمسكون من جملة ذلك لعله لا يكون  
جزءاً من ألف جزء من ذلك ، فما معنى جعله ضيق البلدان الضيقة إنما هو  
من أجل ضيق الأرض .

فإن قيل : لا يدل قوله : الأرض ، - وهو لفظ عموم - على  
البلدان التى هى مخصوصة .

قيل : لا يكون الخطأ إلا هكذا ؛ أن يريد القائل لفظة تدل على معنى  
فيأتى بأخرى ليست فيها على ذلك المعنى دلالة .

أو وضع الشيء فى غير موضعه كقول جرير - يصف بقر الوحش - :  
يمشى بها كل موشى أكارعه مشى الهرايد حجوا بيعة الزون  
الأكارع : قوائم الدابة ، والهرايدة : سدة بيت النار للهند ، أو عظام  
الهند أو علماؤهم أو خدم نار المجوس ، والبيعة معبد النصارى ، والزون :  
الصنم .

وعلى هذا فالغلط فى ثلاثة مواضع : أحدها أن الهرايد : المجوس  
لا النصارى ، والثانى : أن البيعة للنصارى لا المجوس ، والثالث : أن النصارى  
لا يعبدون الأصنام ولا المجوس (٢) .

(١) المقاب : جمع مقنب كبير : جماعة الخيل والفرسان ، وسليك : أحد العدائين

(٢) الصناعتين - ٩٣

المشهورين .



## الفصل التاسع

### أخطاء الشعراء في التشبيه

يذهب الجمهور : إلى أن العربي الصريح لا يجوز عليه الخطأ ، بل إنه لا يستطيع ذلك لو أراد (١) .

ويصرح ابن جني : أن العربي لا يخطئ . وأنه يصيب ولا يفهم (٢) .  
ويروون في هذا : أنه قيل لعمر بن لُجأ : قل إنا من المجرمون منتقمون ، فقال : إنا من المجرمين منتقمون (٣) .

ويقول الجاحظ : روى أصحابنا : أن رجلا من البلديين قال لأعرابي : كيف أهلك بكسر اللام ؟ قال : صلبا !

لأنه أجاب على فهمه ، ولم يعلم أنه أراد المسألة عن أهله وعياله (٤) .  
ومن أشد اللغويين المحدثين تعصبا لهذا الرأي : المرحوم الشيخ حمزة فتح الله ؛ يقول في بيت زهير :

ومن يعص أطراف الزجاج فإنه يطيع العوالى رُكبت كل لهزم  
بسكون الياء في « العوالى » ، ونحوه إهمال أن الناصبة والجزم بها ، وتأكيدهما  
الماضى وإثبات حرف العلة أو نون الرفع مع الجازم ، إلى غير ذلك ، بحقيقة الحال فيه أنه مبني على لغات أخرى أو ضرورات سائغة ؛ لأن الحق أن العرب معصومون من الخطأ واللين في الألفاظ حتى قيل : إن البدوي لا يطاوعه لسانه في ذلك .

(٢) الخصائص - ١ - ٢٤٢ - ٢٥١

(٤) المصدر السابق - ١ - ١٤٦ - ١٤٧

(١) ذيل الأمالي للقالى - ٤٠

(٣) البيان والتبيين - ١ - ١٤٧



ثم يقول : ولا التفات لما نقل في المزهري عن ابن فارس ، ولا إلى ما ذكره الزمخشري في المفصل : من أن تحريك هاء السكت في قوله : وارحمته لحن ، ولا لما أطال به فارس أفندي صاحب الجوائب في مقدمة ديوانه وجاسوسه<sup>(١)</sup> .

ولكن يعارض ذلك أن اللحن وقع من بعض العرب الخالص : فقد ذكروا : أنه قيل لأعرابي : أتمم الرمح ؟ قال : نعم .

فقيل له : قلها مهموزة ، فقالها مهموزة .

فقيل : أتمم الترس ؟

قال : نعم .

فلم يدع سيفاً ولا ترساً إلا همزه !

فقال أخوه - وهو يهزأ به - : دعوا أخي فإنه يهزم السلاح جملة !<sup>(٢)</sup> وكان عيسى بن عمر يقول : أساء النابغة في قوله :

فبت كأي ساورتني ضئيلة من الرقش في أنيابها السم نافع ويقول : موضعها : ناقعا<sup>(٣)</sup> .

وذكر أبو زيد : أنه سمع أعرابياً يقول : نسيما بالمد .

فقال : والواحد إذا أتى بشاذ نادر لم يكن قوله حجة مع مخالفة الجميع<sup>(٤)</sup> .

وكان ذو الرمة يخطئ رؤبة في اللغة ويقبل رؤبة منه ذلك<sup>(٥)</sup> .

وكان عبد الله بن إسحاق الحضرمي يكثر الرد على الفرزدق فهجاه<sup>(٦)</sup> .

(١) المواهب الفتحية - ٢ - ٨٠ (٢) البيان والتبيين - ٢ - ١٧٥

(٣) طبقات الشعراء - ١٢ - الموشح - ٤١

(٤) المزهري - ١ - ١٥٢ (٥) الأغاني ١٦ ص ١٧ « الساسي »

(٦) الشعر والشعراء - ٢٥



وفي شرح الفصيح لابن خالويه : كان الفراء يجيز كسر النون في « شتان » ، تشبيهها بسيان وهو خطأ بالإجماع .

فإن قيل : إن الفراء ثقة ولعله سمعه ، فالجواب : إن كان الفراء قاله قياساً فقد أخطأ القياس ، وإن كان سمعه من عربي فإن الغلط على ذلك العربي لأنه خالف سائر العرب وأتى بلفظة غير مرغوب فيها <sup>(١)</sup> .

وكان أبو عمرو بن العلاء أشد تسليماً للعرب ، وكان ابن إسحاق وعيسى بن عمر يطعنان عليهم <sup>(٢)</sup> .

وقد لحن الأصمعي ابن قيس الرقيات في بيت من قصيدته في النذبة :

تبيكم أسماء معولةً وتقول ليلى وارزيتيه

وقال : كان ينبغي أن يقول : وارزيتاه كما تقول : واعماه وأخياه <sup>(٣)</sup> .

وكان يقول : الكميت تعلم النحو وليس بحجة وكذلك الطرماح ، وكانا يقولان ما قد سمعاه ولا يفهمانه .

وقال رؤبة عنهما : كانا يسألانني عن غريب شعرهما <sup>(٤)</sup> .

وقال الأصمعي : أنشدني عقبة بن رؤبة .

ودغبة من خطل مغدودن .

وإنما هي دغوة ، يقال : فلان ذو دغوات ، أي سقطات <sup>(٥)</sup> .

والدغوة أيضاً : الخلق الرديء ، والخطل كفرح : الكثير الكلام

الفاسد ، والمغدودن : الشاب الناعم .

وقال : أخطأ أبو النجم في قوله :

كالشمس لم تعد سوى ذرورها

(١) المزهري ٢ - ٣١ (٢) الموشح - ٤١

(٣) المصدر السابق - ١٨٧ (٤) المصدر السابق - ٢٠٩

(٥) المصدر السابق والرقم .



أى لم تتجاوز ذرورها ، فأدخل سوى لأجل الإعراب .  
والعداء : الظلم وتجاوز الحق (١) .  
وقد نسبوا الخطأ إلى رؤية فى أشياء كقوله فى وصف الحجر :  
وشققها اللوح بمازول ضيق  
ففتح الياء ، والصواب ضيق أو ضيق .  
وقوله :

صوادق العقب مهاديب الولق .  
ففتح اللام ، وإنما هو الولق ، وهو سير سريع .  
وقوله - يصف الرامى - :

لا يلتوى من عاطس ولا نغق  
وإنما هو النغيق والنغاق ، وجاء بشيء بينهما .  
وقوله فى وصف القوس .

نبيعة ساورها بين النيق  
قال النيق : جمع نيقة ، ولا يقال : نيقة وإنما هو النيق ، وهو رأس الجبل  
وقوله :

إذا دنا منهم أنقاض النقق

يعنى الضفادع .

وكان ينبغى أن يقول : نقق جمع نقوق .  
وقوله :

أقفرت الوعساء والعشاعث من بعدهم والبرق البرارث



الوعساء والعناعات : موضعان ، والبرق : جمع برقة ، موضع فيه حجارة سود وبيض ، ومنه يقال : جبل أبرق .

قال : البرارث ، وإنما هي البراث جمع برث ، وهي الأرض اللينة (١) .  
ومما تجب ملاحظته أن بعض ما خطئوا فيه رؤية ، وهو : فتح الياء من « ضيق » ، وفتح اللام من « الولق » ، لا يعد خطأ ، بل جاء على القاعدة المعروفة وهي إتياع الحرف الثاني للأول في الحركة ، أو نقل الكلمة إلى صيغة « فعل » ، بكسر العين .

وهذا الخطأ مرجعه إلى الاختلاط بالأعاجم لا إلى تقدم الزمان وتأخره وفي ذلك يقول الخفاجي : فلعل من يحدنا نستدل بكلام العرب المتقدمين على لغتهم ولا نستدل بكلام المتأخرين ، من يتخيل أن هذا شيء يرجع إلى الزمان وليس الأمر كذلك ، وإنما العرب الأول لما كثرت الإسلام واتصلت الدعوة وانتشرت ، حضر أكثرهم وسكنوا الأرياف وفارقوا البدو وخالطهم الباقى ، فامتزج كلامهم بمن جاوروه من الألباط وعاشروه من الأعاجم ، وعدم منهم الطبع السليم الذى كانوا عليه قبل هذه المخالطة ، فهم الآن لا يحتج بكلامهم لهذه العلة ، لا لأن القدم والحدوث سببان فى الصواب والخطأ ، ولهذا كان الأصمعى ينكر أن يقال فى لغة العرب : مالح ، فلما أنشد فى ذلك شعر ذى الرمة ، قال : إن ذا الرمة قد بات فى جوانيت البقالين فى البصرة زمانا .

أراد بذلك أنه بمخالطتهم سمعهم يقولون : مالح فقال له ، فلم يحز أن يحتج بكلامه لهذا السبب .

ولو فرضنا اليوم أنه فى بعض الصحارى النائية عن العماره قوما على



عادة المتقدمين في البدو وترك الإلمام بأهل المدر متمسكين بطبعهم وجارين على سجيبتهم ، كان على هذا الفرض قولهم حجة واتباعهم واجبا<sup>(١)</sup> .  
ومهما يكن من شأن اختلافهم في جواز الخطأ اللفظي على العربي الصريح ، فهم متفقون على جواز الخطأ عليه في المعنى .

يقول الجاحظ : وليس الأعرابي بقدوة إلا في الجر والنصب والرفع وفي الأسماء ، وأما غير ذلك فقد يخطئ فيه ويصيب<sup>(٢)</sup> .  
ويقول ابن جنى : المولدون يستشهد بهم في المعاني كما يستشهد بالقدمات في الألفاظ<sup>(٣)</sup> .

ويقول الشهاب الخفاجي : إن العرب القدماء يخطئون في المعاني دون الألفاظ<sup>(٤)</sup> .

ويقول الحموي : إذا نظرت في الكلام العربي إما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة ، وإما أن تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف ، وإما أن تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم ، وهو علم العربية « النحو » وإما أن تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني ، وإما أن تبحث عن طرق دلالة الكلام إيضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان ، وإما أن تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع .

فالعلوم الثلاثة الأولى يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا ، لأن المعترف فيها ضبط ألفاظهم .

والعلوم الثلاثة الأخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم ؛ لأنها

---

(١) مر الفصاحة — ١٢٢ (٢) الحيوان ٢ — ٤ ،  
(٣) العمدة ٢ — ١٨٣ (٤) شفاء الغليل — ١٦٩



راجعة إلى المعاني، ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم إذ كان الرجوع فيها إلى العقل (١).

### أخطاء العرب والمؤلفين

وستنورد فيما يلي جملة من أخطاء العرب والمؤلفين في التشبيه وحده لأنه غايتهما من هذا الفصل ، معقبين عليها بالشرح والإيضاح والنقد بقدر ما يتسع له المقام .

قال امرؤ القيس - يصف الفرس - :

لها ذنب مثل ذيل العروس تسدُّ به فرجها من دبر<sup>٢</sup>  
قالوا : ذيل العروس مجرور ، ولا يجب أن يكون ذيل الفرس طويلاً  
مجوراً ولا قصيراً .

ولم قال : من دبر ؟

ومن أين تسد بذنبها فرجها من قبل<sup>٣</sup> !

فليس هذا من كلام الخذاق ، والصواب قوله :

ضليع إذا استدبرته سد فرجه . بضاف فوق الأرض ليس بأعزل

الفرج : الفضاء الذي بين الرجلين ، والأعزل : الذي يميل عظم ذنبه إلى أحد الشقين .

وشرط كونه فوق الأرض ؛ لأنه إذا بلغ الأرض وطئه برجليه وذلك عيب لأنه ربما عثر به ، واستواء عظم ذنبه من دلائل العتق والكرم كسبوغ ذنبه .

وقد رد ذلك المرتضى ، بقوله : وما أرى العيب يلحق امرأ القيس ؛ لأن العروس وإن كانت تسحب أذيالها وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض

(١) خزائن الأدب ص ٥ - ٦



عيبا ، فليس بمنكر أن يشبه به الذنب وإن لم يبلغ إلى أن يمس الأرض ، لأن الشيء إنما يشبه الشيء إذا قاربه أو دنا من معناه ، فإذا أشبهه في أكثر أحواله فقد صح التشبيه ولاق به ؛ وامرؤ القيس لم يقصد أن يشبه طول الذنب بطول ذيل العروس فقط ؛ وإنما أراد السبوغ والكثرة والكثافة ألا ترى أنه قال :

تسد به فرجها من دبر

وقد يكون الذنب طويلا يكاد يمس الأرض ولا يكون كشيئا ولا يسد فرج الفرس ؛ فلما قال : تسد به فرجها علمنا أنه أراد الكثافة والسبوغ مع الطول ، فإذا أشبه الذنب الذيل من هذه الجهة كان في الطول قريبا منه فالتشبيه صحيح وليس ذلك بموجب للعيب <sup>(١)</sup> .

ومثل قول امرئ القيس قول خدّاش بن زهير :

لها ذنب مثل ذيل الهدى إلى جوّجو أيد زافر

الهدى : العروس التي تهدي إلى زوجها ، وأيد : شديد ، وزافر : صفة لجوّجو وهو الصدر لأنها تزفر منه .

أراد بذيل العروس طوله وسبوغه ، فشبه الذنب السابغ به وإن لم يبلغ في الطول إلى أن يمس الأرض <sup>(٢)</sup> .

...

وقال طرفة — يصف الناقة — :

كان جناحي مضر حتى تكنف حفافيه شكا في العسيب بمسرَد  
المضر حتى : الأبيض من النسور أو العظيم ، والحفاف ككتاب :

(١) الموشح - ٣٦ (٢) أمالي المرتضى - ٤ - ١٢

(٣) الموازنة - ٣٤٨ - ٣٤٩



الجانب ، والشك : الغرز ، والعسيب : عَظَم الذنب ، والمسرد كبرد :  
الإشقي ، المثقب ، .

يقول : كأن جناحي نسر أبيض غرزا ياشفي في عظم ذنبها فصارا  
في ناحية .

شبه شعر ذنبها بجناحي نسر أبيض ، والنجائب توصف برقة شعر  
الذنب وخفته ، وجعله طرفة كثيفا طويلا عريضا (١) .

...

وقال - يصف عنق الناقة - :

وأتلع نهاض إذا صعدت به كسكان بوصى بدجله مُصعد  
الأتلع الطويل ، والبوصى : ضرب من السفن ، والسكان : ذنب  
السفينة .

يقول : هي طويلة العنق ، سريعة النهوض به ، فإذا رفعت ونصبته  
أشبه ذنب سفينة من هذا النوع المسمى بالبوصى حين يصعد في نهر دجلة .  
هذا تفسير الزوزني للبيت (٢) .

وذهب القاضي الجرجاني : إلى أنه أراد الدقل ، الصارى ، وهو الخشبة  
التي تحمل الشراع فأخطأ وذكر بدله السكان .

...

وقال النابغة - يصف الناقة - :

تحيد عن أسن سود أسافله مثل الإماء الغوادي تحمل الحزما  
الأسن : شجر إذا نظر الناظر إليه من بعيد شبهه بشخوص الناس ،  
وهو بشع المنظر تسميه العرب رموس الشياطين .



قال الأصمعي : إنما توصف الإمام في مثل هذا الموضع بالرواح لا بالغدو ، لأنهم يجئن بالخطب إذا رحن .

وقال العسكري : وإنما تحمل الإمام حزم الخطب عند رواحن ، فأما في غدوهم إلى الصحراء فإنهم مخفّات ، وفي ذلك يقول الأحنس بن شهاب التغلبي :

تظل بها رُبد النعام كأنها إمام تُزجى بالعشى حواطب<sup>(١)</sup>  
وإنما شبه النعام بالإمام الحواطب ؛ لأن النعامة إذا خفضت عنقها ومشت كانت أشبه شيء بماش وعلى ظهره حمل<sup>(٢)</sup> .

. . . . .

وقال النابغة — يصف الناقة أيضا — :

مقدوفة بدخيس النحّض بازها له صريف صريف القعو بالمسد  
الدخيس : ما دخس بعضه في بعض ، والنحّض : اللحم ، والبازل :  
الغاب ، والقعو : البكرة .

شبه صوت نأها بصوت البكرة بالحبل .

قال الأصمعي<sup>(٣)</sup> : قرأت على أبي عمرو بن العلاء شعر النابغة الذبياني ، فلما بلغت قوله :

مقدوفة . . . . .

قال لي : ما أضرّ عليه في ناقته ما وصف !

قلت : وكيف ؟

قال : لأن صريف الفحول من النشاط ، وصريف الإناث من الإعياء والضجر ، كذا تكلمت العرب .

(١) في العقد الفرزد — ٣ — ٤٣٠ : إمام يرحن بالعشى حواطب .

(٢) الصناعتين — ٨٢ — الموشح ٤٤ (٣) المصدر السابق ٤٢



قال : فرآني بسكوتي مستزيدا فقال : ألم تسمع قول ربيعة بن مقروم الضبي :

كناز البضيع جُمالية إذا ما بغمن تراها كتوما  
كناز البضيع : كثيرة اللحم صلبة ، وجمالية : تشبه الجمال في خلقتها ،  
والبخام بالضم : الصوت .

يعنى إذا صوتت النوق من الأين والتعب لم تصوت لقوتها وجلدها .

• • •

وقال ساعدة بن جؤية — يصف السهام —  
كساها رطيب الريش فاعتدلت له قداح كأعناق الظباء الفوارق  
الفوارق : التى أخذها المخاض فندت فى الأرض .  
شبه السهام بأعناق هذه الظباء — فى هذه الحال — وليس بينها شبه ،  
ولو وصفها بالدقة لكان أولى (١) .

• • •

وقال قيس بن الخطيم :  
كأنها عود بانه قصيف .  
والمرأة إنما تشبه بالعود المتثنى لا المتقصف (٢) .  
وقد أخذه ابن أبى فن فقال فى « وصيف » الخادم الصغير :  
أبها الظبي المليح القدم مج — دول مُهْفَهَفْ  
أنا من ميلك فى مشبك م مرعوب مخوف  
لا تمي — لن فاني خائف أن تنقص

(١) الصناعتين — ٢١٧ — الموشح — ٨٧

(٢) المصدر السابق — ٣٤٧ — ٣٤٨



ويقول ابن الرومي في بيت ابن أبي فتن هذا : إنما أراد أنه يميل من  
لينه ونعمة أعضائه فأسرف حتى أخطأ ، وذلك أنه جعل اللين المفرط  
يتقصف ، وإنما كان ينبغي أن يقول : لو عقد لانهقد من لينه فضلا عن  
أنه يميل وهو سليم من التقصف ، وأنشد لنفسه يعارض ذلك :

أيها القائل إني خائف أن تنقصف  
ليس هذا الوصف إلا وصف مصلوب مجفف

\*\*\*

وقول أوس بن حجر :

كان ريقتها بعد الكرى اغتبتت من ماء أدكن في الحانوت نضاح  
ومن مشعشة كالمسك تشربها أو من أناييب رمان وتفاح  
ظن أن الرمان والتفاح في أناييب .

وقيل : إن الأنايب : الطرائق التي في الرمان ، وإذا حمل على هذا الوجه  
صح المعنى<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقول بشامة بن الغدير - يصف راحلته - :

وصدرها مهيع كالخليف تخال بأن عليه شليلا  
المهيع : الواسع ، والخليف : الطريق في الجبل ، والشليل : المسح من  
الصوف أو الشعر .

شبه صدرها في اتساعه بالطريق في الجبل ، ولكثرة ما عليه من الوبر  
يظن أن عليه مسحا من صوف أو شعر .

وقد خطأه الأصمعي في ذلك لأن من صفة النجائب قلة الوبر<sup>(٢)</sup> .



وقال المسيب بن علس :

وكان غاربها رباوة مخرم وتمدّثني جديلهما بشراع  
الرباوة : الراية ، والمخرم : طريق الجبل ، والجديل : الزمام المجدول .  
أراد تشبيه العنق بالدقل ، الصارى ، فشبهه بالشراع .

والجيد منه قول ذى الرمة :

وهاد كجذع الساج سام يقوده معرق أحناء الصييين أشدق  
الهادى : العنق ، والمعرق : ما عرى من اللحم ، والأحناء : الجوانب ،  
والصبيان على وزن فعيلان : طرفا اللحية ، والأشدق : الواسع .  
وقال أبو حاتم : الشراع : العنق ، ويقال للعنق : شراع وتليل ، فإذا  
صحت هذه الرواية فالمعنى صحيح<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقال بشر بن أبي خازم — يصف سفينة — :

ونحن على جوانبها قعود نغض الطرف كالإبل القحاح  
أجالد صفهم ولقد أراني على زوراء تسجد للرياح  
إذا ركبت بصاحبها خليجا تذكّر ما لديه من جناح  
غض طرفه : كسره وأطرق ولم يفتح عينيه ، والقحاح : الرافعات الرموس  
من قمح البعير قموحا : رفع رأسه عن الحوض وامتنع عن الشرب كتقمح  
وانقمح فهو قاح .

فكيف يشبه المطرق بالرافع رأسه<sup>(٢)</sup> ١٩

\*\*\*



وقال الشماخ - يصف ناقته - :

فنعيم المعتزى رحلت إليه رحي حيزومها كرحى الطحين  
المعتزى : المنسوب إليه ، والحيزوم : الصدر ، ورحى الحيزوم : ما يمس  
الأرض من صدر البعير إذا برك ، ويسمى : الكركرة .

وفي المخصص واللسان :

فنعيم المعتزى ركبت إليه

شبه رحي حيزومها برحي الطحين في عظمها وكبرها .

وإنما توصف النجائب بصغر الكركرة ولطف الخف<sup>(١)</sup> .

وقال العسكري : السعدانة ، الكركرة ، توصف بالصغر .

وقال من احتج للشماخ : إنما شبهها بالرحى لصلابتها كما قال :

قلانس يطحن الحصى بالكراكر<sup>(٢)</sup>

ويقول ابن رشيقي : وخطأه الأصمعي ؛ فقد ظنه يصفها بالكبر وهو

عيب لا محالة ، وإنما وصفها بالصلابة لا غير<sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وقال النابغة الجعدي - يصف المطى - :

كان تواليا بالضحى نواعم جعل من الأثاب

توالى الخيل والإبل : مآخيرها ، والأثاب : شجر ينبت فى بطون الأودية

فى البادية ؛ واحدها : أثابة ، والجعل : صغار النخل .

شبه مآخير المطى بصغار النخل ، والصواب وصفها بالعظم .

ففى البيت مأخذان : أولها تشبيه المطى بالجعل ، وثانيهما جعل الجعل

- وهو صغار النخل - من الأثاب .

(١) الشعر والشعراء - ١٤٦ (٢) الصناعتين - ١١١

(٣) العمدة - ٢ - ١٩١



ويقول القاضي الجرجاني : وإنما المراد الكبار وبه يصح الوصف كما زعموا. (١)

ويقول ابن قتيبة : أخذوا عليه أن يجعل صغار النخل ، فكيف جعله من الأثاب !

ثم يقول : ولا أراه إلا صحيحاً على التشبيه ؛ كأنه أراد نواعم أثاب كالجعل .

وقد تسمى العرب باسم الشيء إذا كان له مشبهها ، ولعل الأثاب أن يكون أفناؤه تسمى جعلاً كما تسمى أفناء النخل وقصاره جعلاً (٢) .

\* \* \*

وقال حميد بن ثور :

لما تخاللت الحمول حسبتها دوماً بأيلة ناعماً مكموماً (٣)

الدوم : شجر المقل وهو لا يُكَم ، والمكمووم لا يكون إلا النخل ؛ فظن أن الدوم النخل (٤)

شبه الحمول بالدوم المكمووم في هذا الموضع قياساً له على النخل وهو قياس خطأ ؛ لأن الدوم لا يحتاج إلى التكميم كما نحتاج أعناق النخل خشية تساقط ثمرها .

\* \* \*

وقال خفاف بن ندبة :

كنواح ريش حمامة نجدية ومسحت باللثتين عصف الإثم

يريد : كنواحى فنقص من الكلمة .

وهذا النوع يسمى : التلثيم .

(١) الوساطة - ١٧ (٢) الشعر والشعراء - ٢٣٢ - ٢٣٣  
(٣) أيلة بالفتح : جبل قرب ينبع ، وبلدين بين ينبع والشام على ساحل البحر الأحمر .  
(٤) المزهر - ٢ - ٣١٣



وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلثها والنقص فيها .

ومثله قول علقمة بن عبدة :

كان إبريقهم ظي على شرف مفدّم بسبا الكتان مرثوم  
أراد بسبائب الكتان فحذف للعروض .

والسبائب : الشقق الرقيقة ، والمرثوم : الذي في أنفه بياض .  
أو يجتزىء بالضمة عن الواو في مثل كأنه وله وبيناه كقول الشاعر :  
له زجل كأنه صوت حاد إذا طلب الوسيقة أو زمير  
أورد الإعراب إلى أصله كقول الشاعر :  
ما إن رأيت ولا أرى في مدني كجوارى يلعبن في الصحراء  
وقد صرح ابن الأثير بقبح هذا النوع وعدم جواز استعماله لنا ، وإن  
كانت العرب قد استعملته <sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقول آخر :

تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف  
يريد : الدراهم والصيارف فزاد في الكلمة <sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وقال الخطيئة :

صفوف وماذى الحديد عليهم وبيض كأولاد النعام كثيف  
الماذى : الحديد كله : الدرع والمغفر والسلاح أجمع .  
شبه البيض الذي يلبس على الرؤوس بأولاد النعام ، وأراد به بيضه <sup>(٣)</sup> .

...

(١) المثل السائر — ٢١٢ (٢) سر الفصاحة ٧٥

(٣) الصناعتين ١٠٧ — الموشح — ٨٩



وقال متمم بن نويرة :

وكأنه فوق الحبال جائبا ريم تضايقه كلاب أخضع  
الأخضع : الذى فى عنقه انحناء وخضوع وهو صفة لريم .  
وصف ذكر الطباء بالخضوع ، وإنما يحب له الاستشراف كما يقول  
القاضى الجرجاني .

. . .

وقال المرار بن منقذ . العدوى - يصف النخل - .

كان فروعها فى كل ربح عذارى بالذوائب ينتصينا<sup>(١)</sup>  
وقد خطاه الأصمى وقال : لم يكن له علم بالنخل ، وإذا تباعد النخل  
كان أجود له وأصلح لثمره .

وبما كانت تقوله العرب عن الأشياء : قالت نخلة لآخرى : أبعدى  
ظلى عن ظلك ، أحمل حملى وحملك<sup>(٢)</sup> .

ويؤخذ من تحقيق العلامة تيمور « باشا »<sup>(٣)</sup> : أن المذموم تقارب  
ما بين الأصول ، فأما أن يمتد جريده ويكثر خوصه ويتصل ببعضه ببعض  
حتى لا ترى منه الشمس ويمنع الطير من أن تشقه فهو من نعته الجيد ، وأن  
رواية أبى حاتم عن الأصمى : أنه قال : فى مثل للفرس والنبط : تقول  
النخلة لأختها : تباعدى عنى وأنا أحمل حملى وحملك ؛ لم يذكر فيه تباعد الظل .  
ثم صوب قول المرار وقال : لا شيء أحسن من هذا الوصف للنخل .  
واستشهد على صحة كلامه بقول ذكوان العجلي :

نواضر غلبا قد تدانت رموسها من النبت حتى ما يطير غرابها  
ترى الباسقات العم منها كأنها ظهائن مضروب عليها قباها<sup>(٤)</sup>

(١) الانتصاء : الأخذ بالناصية فى الخصومة . (٢) الشعر والشعراء - ٤٤٠  
(٣) أوهم الشعراء - ٣٣ (٤) للعم من النخل : التامة فى طولها والنفانها .



بعيدة بين الزرع لا ذات حُشوة قصار ولا صُعل سريع ذهابها<sup>(١)</sup>

...

وقال أيضا - يصف الخال -<sup>(٢)</sup>

وخال على خديك يبدو كأنه منا البدر في دجاء باد دجونها  
وهو من مخالفة العرف ، وذكر ما ليس في العادة .  
والمعروف أن الخيلان سود أو سمر ، والحدود الحسان إنما هي البيض  
فأتى الشاعر بقلب المعنى .

وهكذا قول الشاعر الآخر :

كأنما الخيلان في وجهه كواكب أحرقن بالبدر  
ويمكن أن يحتج لهذا الشاعر بأن يقال : شبه الخيلان بالكواكب من  
جهة الاستدارة لا من جهة اللون .

والجيد فيه قول العباس بن الأحنف :

لخال بذاك الخد أحسن عندنا من النكتة السوداء في وضح البدر  
وقبله قال مسلم :

وخال كخال البدر في وجه مثله لقينا المنى فيه فحاجزنا البذل

...

وقال الطرِّ ماح - يصف ناقته - :

تمسح الأرض بمعنونس كمثل مثلاة النِّياح القيام  
المعنونس : الذنب الطويل ، والمثلاة : واحدة المآلى ، وهي خرق  
تمسكها النساء بأيديهن إذا قمن للنياحة .  
فأفصح : بأن الذنب يمس الأرض ، وأساء في التشبيه أيضا<sup>(٣)</sup> .

(١) الحشوة بالضم والكسر : دغل الأرض ، والصعل : الدقيقة الرأس وما فيها عوج

جمع صملاء . (٢) الصناعتين ٩٣ — ٩٤ (٣) الموشح — ٢٥٩



ففي البيت عيبان : وصف ذنب الناقة بالطول حتى تسمح به الأرض  
وهو عيب فاحش مع مخالفته للواقع .

ثم تشبيهه بإياه بخرقة النائحة ، وهي ليست طويلة حتى تصل إلى الأرض  
وصاحبها قائمة ، ولا تغدو أن تكون منديلا كما نشاهده في المآتم .  
ففي التشبيه مخالفتان صريحتان للواقع .

\*\*\*

وقال رجل - يرثى عمر بن عبد العزيز -

ردت صنائعُه إليه حياته فكأنه من نشرها منشور  
والصحيح أن يقول : منشر ؛ لأنه يقال : أنشر الله الموتى فنشروا<sup>(١)</sup> .  
والحق : أن « منشور » صحيحة فليس في البيت ما يعاب ، وفي المعجمات .  
نشره فنشر ، وأنشره : أحياه .

\*\*\*

وقال عبد الله بن عبد الرحمن القس :

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصرا ملامكا فالقتل أعفى وأيسر  
قال قدامة : هذا الشعر من التناقض ، فإن هذا الشاعر أوجب للهجر  
والقتل أنهما مثلان ، ثم سلبهما ذلك بقوله : إن القتل أعفى وأيسر ، فكأنه  
قال : إن القتل مثل الهجر وليس مثله<sup>(٢)</sup> .  
وقال العسكري : إن الهجر والقتل مثلان ، ثم سلبهما ذلك فقال : إن  
القتل أعفى وأيسر .

فكأنه قال : إن القتل مثل الهجر وليس هو مثله ، وذلك متناقض .  
ولو كان استوى له أن يقول : بل القتل أعفى وأيسر لكان الشعر



مستقيماً ، لأن لفظة «بل» تنفي الماضي وتثبت المستأنف كما قال زهير :  
 حتى الديار التي لم يعفها القدم بلى وغيرها الأرواح والديم  
 على أنهم عابوا هذا البيت على زهير ، ولكنه بمجيء بلى فيه لم يكن  
 عندي فاسداً . (١)

\* \* \*

وقال زياد الأعجم ليزيد بن المهلب :  
 هل لك في حاجتي حاجة أم أنت لها تارك طارح  
 أمتهالك الخير أم أحياها م كما يفعل الرجل الصالح  
 إذا قلت قد أقبلت أدبرت كمن ليس غاد ولا راثح  
 وكان ينبغي أن يقول : غاديا ولا راثحا .  
 وزياد كثير اللحن في شعره ؛ ولهذا قيل له : الأعجم ، ولفساد لسانه  
 بفارس (٢) .

\* \* \*

وقال أيمن بن خريم - يمدح بشر بن مروان - (٣)  
 وإنا قد رأينا أم بشر كأم الأسد مذكاراً ولوداً  
 فأتى في البيت بما هو أقرب إلى الذم منه إلى المدح ؛ لأن الناس مجمعون  
 على أن نتاج الحيوانات الكريمة أعسر وأولادها أقل كما قال الأول (٤) :  
 بغاث الطير أكثرها فراخاً وأم الصقر مقلات تزور  
 المقلات : الناقة تضع واحداً ، والمرأة لا يعيش لها ولد .  
 ورواية قدامة :

وإنا قد وجدنا أم بشر

...

(٢) الشعر والشعراء - ٢٥٩

(٤) هو كثير عزة .

(١) سر الفصاحة - ٢٢٩ - ٢٣٠

(٣) الصناعتين - ٩٧ .



وقال أبو النجم العجلي :

أخنس في مثل الكظام مخظمه

الأخنس : القصير المشافر ، والكظام ككتاب : سداد الشيء ،  
والمخظم : الأنف .

وصف مشافره بالخنس وإنما توصف المشافر بالسبوطه .

ومن وصف أعرابي للإبل : .. عظام الحناجر ، سباط المشافر . (١)

....

وقال أيضاً في وصف الفرس :

كأنها مبيجة القصار

القصار : محور الثياب ، والمبيجة : أداة من الحجر يدق عليها الأدم  
الجلد . .

والمبيجة لصاحب الأدم وغيره (٢) .

والحق أنه لا معنى الاعتراض عليه ، فإن المبيجة - كما في كتب اللغة -  
مدقة القصار ، وصانع الجلد .

....

وقال عدي بن الرقاع العاملي :

لهم راية تهدي الجموع كأنها إذا خطرت في ثعلب الرمح طائر

الثعلب : طرف الرمح الداخل في جبة السنان .

والراية لا تحيط ، وإنما الخطران للرمح (٣) .

....

(١) الصناعتين - ٨٨ - ٨٩

(٢) المصدر السابق ٩٠ - الشعر والشعراء - ٣٨٦ .

(٣) الصناعتين - ٩٣



وقال عمر بن لَجَأ من أرجوزة وصف فيها إبله فجعلها كالجبال في عظم الخلق ، ثم قال في فحلها .

كالظرب الأسود من ورائها  
الظرب : الجبل الصغير في الغلط من الأرض ، ولا يوصف الفحل بأنه أصغر من إنائه في الخلقة .  
ثم قال :

جر العروس الثني من رداها  
وقد عابه جرير : بأنه وصف إبله حتى جعلها كالجبال ثم جعل فحلها كالظرب .  
ثم قال في الجزء الثاني ، والله ما شعره من نمط واحد وإنه لمختلف العيون وبلغ عمرو قول جرير فقال : أيعيب قولي .  
جر العروس . . . . .  
وإنما أردت لينه ولم أرد أثره .  
وكان ذلك هو سبب وقوع الشر بينهما<sup>(١)</sup> .

...

وقال رؤبة :  
كنتم كن أدخل في جُجريدأ فأخطا الأفعى ولاقى الأسودا  
جعل الأسود دون الأفعى في المضرة وهي فوقه فيها<sup>(٢)</sup> ، لأن الأسود : الحية العظيمة .

...

وقال العماني الراجز منشدا «الرشيد» في وصف فرس :  
كَأَنَّ أَذْنِيه إِذَا تَشَوَّفَا قَادِمَةً أَوْ قَلْبًا مُحَرَّفَا

(١) خزانة الأدب للبغدادي — ٢٦٢

(٢) الصناعتين — ٨٨ — الشعر والشعراء — ٣٨٦



فقال الرشيد : دع كان وقل : تخال حتى يستوى شعرك ، وكان قد  
لحن ولم يعرف ، ولم يفطن له أهل المجلس حتى قال الرشيد ذلك فتعجبوا  
من علمه وفضله <sup>(١)</sup> .

قال المبرد : والراجز - وإن كان لحن - فقد أحسن التشبيه <sup>(٢)</sup> .  
ونسب الشنقيطي البيت إلى أبي نخيلة الراجز ، وذكر : أنه قد أجيب  
عنه بأجوبة :

- ١ - أن الشاعر قد لحن .
- ٢ - أن خبر كان محذوفة وقادمة مفعول ، والتقدير : تحكيان قادمة .
- ٣ - أن الرواية : قادمة أو قلها بألفان من غير تنوين ، على أن الأصل  
قادمتان أو قلبان محرفان ، فحذفت النون لضرورة الشعر .
- ٤ - أن الرواية : تخال أذنيه <sup>(٣)</sup> .

\* \* \*

وقال أبو نواس - يصف الناقة - :

كأنما رجلها قفا يدها رجل وليد يلهو بدقوق  
الدقوق : لعبة .

وإذا كانت كذلك كان بها عقّال ، وهو من أسوأ العيوب <sup>(٤)</sup> .

\* \* \*

وقال في وصف الكلب :

كأنما الأظفور من قنابه موسى صنّاع ردّ في نصابه

---

(١) ديوان المعاني - ١ - ٣٦ - ٣٧

(٢) الكامل « شرح المصنف » - ٧ - ٤٧ - ٤٨ (٣) الدرر اللوامع - ١ - ١١٢

(٤) العقال كرماني : داء في رجل الدابة .



القناب ككتاب : المخلب .

شبهه بموسى الحلاق الحاذق حين يدخله فى قرابه ، لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذى ينستر إذا أرادا حتى لا يتبين ، وعند حاجتهما تخرج المخالب حُبنا محدة يفترسان بها ، والكلب مبسوط اليدين أبدا غير منقبض<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقال يصف الحباب — وهو أبداع ما قيل فيه — (٢) :

قامت ترينى وأمر الليل مجتمع      صبحا تولد بين الماء واللهب  
كان صغرى وكبرى من فواقعها      حصباء در على أرض من الذهب  
وقد أخذه ابن المعتز فقال :

يا خليلي سقياني فقد لا      ح صباح وأذن الناقوس  
من كُتبت كأنها أرض تبر      فى نواحيه لؤلؤ مغروس  
وقد خطأ النحاة أبا نواس فى قوله المتقدم ، وفى ذلك يقول ابن الأثير :  
ولا شك أن قلة المبالاة بالأمر واستشعار القدرة عليه ، توقع صاحبه فيما لا يشعر أنه وقع فيه فيجهل ما يكون عالمابه ، ألا ترى أن أبا نواس كان معدودا فى طبقات العلماء مع تقدمه فى طبقات الشعراء ، وقد غلط فيما لا يغلط مثله فيه ، فقال فى صفة الخمر :

كان صغرى . . . . .

وهذا لا يخفى على مثل أبى نواس ؛ فإنه من ظواهر علم العربية وليس من غوامضه فى شيء ، لأنه أمر نقلى يحمل ناقله فيه على النقل من غير تصرف وقول أبى نواس : صغرى وكبرى غير جائز ؛ فإن فعلى أفعل لا يجوز



حذف الألف واللام منها ، وإنما يجوز حذفهما من فعلى التى لا أفعل لها نحو حبلى إلا أن تكون فعلى أفعل مضافة ، وههنا قد عريت عن الإضافة ومن الألف واللام ، فانظر كيف وقع أبو نواس فى مثل هذا الموضع مع قربته وسهولته (١) .

والصحيح : أن أبا نواس لم يخطئ ، لأنه أراد هنا ثبوت الوصف لمحله من غير نظر إلى تفضيل ؛ كقولهم : نصيب أشعر الحبشة : أى شاعرهم إذ لا شاعر غيره فيهم .

والأمر هنا كذلك : أى كأن صغيرة وكبيرة . . .

وذكر محمد بن سلام الجمحى عن يونس بن حبيب ؛ قال : جاء رجل إلى رؤبة بن العجاج فسأله عن قول الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمه أعز وأطول  
فقال له : أقعد .

فلما أذن المؤذن وقال : الله أكبر ، قال : ما يقول هذا ؟  
قال : الله أكبر من كل شيء .

قال : وكذا ذاك أطول من كل شيء .

ويقول ابن سنان الخفاجى : تأولوا قول الفرزدق على وجهين أحدهما : أن يكون أعز وأطول بمعنى عزيزة طويلة .

والثانى : أعز وأطول من بيتك يا جرير .

ثم يعقب على هذا : بأن ذلك من التعسف فى التأويل ، ومراد الشاعر أوضح من أن يخفى وأشهر من أن يجهل ، وهو أعز وأطول من السماء التى ذكرها فى أول البيت .



وإنما جاء بها لهذا الغرض ، وهذه مبالغة في الشعر معروفة مستعملة ،  
وليست بالمكروهة ولا الغريبة (١) .

...

وقال أبو الشَّيْص الخُزاعي :

وجناح مقصوص تحيِّف ريشه ريبُ الزمان تحيِّف المقراض  
قالوا : ليس المقراض من كلام العرب .

وتبعه البحتري فقال :

وأبت تركيَّ الغديَّات والآصال حتى خضت بالمقراض  
فعاوبوه عليهما جميعاً .

قال الخفاجي : وقد تكون الكلمة عربية إلا أنها قد عبر بها عن غير  
ما وضعت له في عرف اللغة (٢) .

وفي اللغة قرضت الشيء قرضا من باب ضرب : قطعته بالمقراضين .  
والمقراض أيضا بكسر الميم ، والجمع مقاريض .

ولا يقال : إذا جمعت بينهما مقراض كما تقول العامة ، وإنما يقال عند  
اجتماعهما : قرضته بالمقراضين ، وفي الواحد قرضته بالمقراض ، وقرض  
الثوب بالمقراض .

فالكلمة من كلام العرب كما ترى ، ولا نرى وجها لتخطئة استعمالها .

\* \* \*

وقال محمد بن عبد الملك الزيات - يصف ناقته في قصيدة مدح بها  
الحسن بن سهل - مطلعها :

كانها حين تنامى خطوها أخذس مطوى الشوى يرعى القلَّ



الأخنس : ذكر البقر الوحشي ، والشوى : الأطراف .

والعيب الأول في البيت : مخالفته العادة في بدء القصيدة بالتشبيه ، فلم يجر الشعراء على هذا الرسم الغريب .

والعيب الآخر : أنه خالف جميع الشعراء في وصف الناقة ، لأنهم إنما يصفون الناقة بالظليم والحمار والثور بعد الكلال غلوًا في الوصف ومبالغة . هذا هو الجيد ، فإن لم يفعلوا لم يذكرها : أنها بذلت جهدها واستفرغت جميع ما عندها بل يدعون التأويل محتملا للزيادة .

ثم قال : يرعى القل ، والثور لا يرعى قلل الجبال وإنما ذلك الوعل فإنه لا يسهل ، والثور في السهول والدُمث ومواقع الرمال ، إلا أن يريد بقلل النبات أعاليه .

وربما أن تكون القل نبتا بعينه أو مكانا فقد يمكن وما سمعت بهما .<sup>(١)</sup> وهذا الخطأ وقع فيه ابن الزيات على علمه وفضله لتعاطيه ما لا يحسن ، فثله وهو الحضري المتترف ليس من ركاب النوق وليس له عهد بمزاولة شئونها حتى يخبر أحوالها كالأعراب أو بعض الشعراء الذين اعتادوا الرحلة في الفيافي كالتنبي الذي يقول في مدح عبد الله بن يحيى البحتري :

إليك ابن يحيى بن الوليد تجاوزت بي البيد عيس لحبها والدم الشعر<sup>(٢)</sup>  
فضحت بذكركم حرارة قلبها فسارت وطول الأرض في عينها شبر  
فجاء بضد ما جاء به ابن الزيات من وصفها بالقوة والنشاط والمرح على

(١) العمدة - ١ - ١٤٧ - ١٤٨ (٢) يروي الشعر بفتح الشين : أي يرى

السير جسدها فلم يبق فيها غير الوبر على الجلد ، وهي رواية الخوارزمي ، ويروي الشعر بكسر الشين : يعني أن انبعثها على السير مستمد من الشعر الذي كان يحدوها به فيوفر لها لحمها ودمها ويغنيها عن استهلاكه ، والبيت الثاني يؤيد هذا المعنى .



ما تكابده من الجهد والمشقة في قطع المفاوز كلها بيلوغ الممدوح وشوقه  
إلى لقائه !

\*\*\*

وقال أبو تمام:

يوم كطول الدهر في عرض مثله      ووجدى من هذا وذلك أطول  
فجعل للدهر — وهو الزمان — عرضا ، وذلك محض المحال .  
وعلى أنه ما كانت إليه حاجة ، لأنه قد استوفى المعنى بقوله : كطول  
الدهر ، فأتى على الغرض في المبالغة<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقال :

كالأرحب المذكى سيره المرطى      والوخد والملع والتقريب والخبب  
الأرحب من الإبل : منسوب إلى أرحب : حى من همدان تنسب  
إليهم الإبل .

والمذكى : الذى قد انتهى فى سنه ، والمرطى : من عدو الخيل فوق  
التقريب ودون الإهذاب ، والوخد : الاهتزاز فى السير مثل وخذ النعام  
والملع : من سير الإبل السريع ، والتقريب : من عدو الخيل معروف ،  
والخبب دونه .

جمع فى هذا البيت أنواعا من العدو ووفق فى ذلك مع البعد عن التكلف  
ولكن عيبه أنه خلط بين ما يخص الإبل وما يخص الخيل .  
فليس التقريب من عدو الإبل ، وهو فى هذا الوصف مخطئ .



وقد يكون التقريب لأجناس من الحيوان ولا يكون للإبل ، وإنما ما رأينا بعيراً قط يقرب تقرب الفرس .

والمرطى أيضاً من عدو الخيل لم أراه في أوصاف الإبل ولا سيرها .<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وقال - يصف الفرس - :

وبشعلة نبذ كأن فليلها في صهوتيه بدم شيب المفرق  
الشعلة بالضم : البياض في ذنب الفرس والناصية والقذال ، والفيلس :  
ما تفرق منها بصهوتيه ، والصهوة موضع اللبد ، وهو مقعد الفارس من  
من الفرس .

وذلك الموضع أبدأ ينحت شعره لغمز السرج إياه فينبت أبيض لأن  
الجلد هنا يرق ، وأنت تراه في الخيل كلها على اختلاف شياتها ، وليس  
بالبياض المحمود ولا الحسن ولا الجميل .

فهذا خطأ من هذا الوجه ، وهو خطأ من وجه آخر ؛ وهو أن جعله  
شعلة ، والشعلة لا تكون إلا في الناصية أو الذنب ، وهو أن يبيض عرضها  
وناحية منها فيقال : فرس أشعل وشعلاء ، وذلك عيب من عيوب الخيل  
فإن كان ظهر الفرس أبيض خلقة فهو أرجل ولا يقال أشعل .  
وقد أخذ البحترى قوله : بدم شيب المفرق ، فجاء به حسناً جداً ثم سلم  
من العيب فقال :

وبشعلة كاشيب مر بمفرقي غزل لها من شيبه بغرامه

فقال : بشعلة ، ولم ينص على موضعها ، ومعلوم أنه أراد بياضاً  
في الناصية ،



وقال : « مر بفرق غزل ، فأوضح أنه ذلك الموضع أراد .  
وقال : « لها عن شبيهه بغرامه ، فأتى بشيء يفوق كل حسن ؛ إلا أن  
البياض في الناصية من عيوب الخيل ، وكذلك البياض في الذنب ؛ ليس بين  
الناس في ذلك اختلاف »<sup>(١)</sup> .

\*\*\*

وقال في الفرس أيضا :  
مسود شطر مثلما اسود الدجى مبيض شطر كابيضاض المهرق  
شطر الشيء : جانبه وناحيته ، قال الله — عز وجل — : « فول وجهك  
شطر المسجد الحرام ، : أى ناحيته .  
وقد يراد بالشطر : نصف الشيء ؛ يقال قد شاطرتك مالى : أى ناصفتك  
فهذا هو الأكثر الأعم فيما يستعملونه ، وذلك من أقبح شيآت الأبلق على  
ظاهر هذا المعنى ، ولم يرد أبو تمام وإنما أراد بالشطر ههنا : البعض أو  
الجزء : أى مسود جزء مبيض جزء ، فجاء بالشطر لأنها لفظة أحسن من  
الجزء ومن البعض في هذا الموضع »<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*

وقال — يصف فرساً أيضاً — :  
هاديه من جذع الأراك وما تحت الصلا منه صخرة جلس  
الهادى : العنق ، والصلا : وسط الظهر ، والجلس : العظيمة .  
أنكر عليه أبو العباس أحمد بن عبيد الله : أن يشبه عنق الفرس بالجذع  
وأن يكون الجذع جذع أراك .  
فمتى كان للأراك جذوع ؟ لأن عيـدان الأراك لا تغلظ حتى تصير  
كالجذوع ولا تقاربها .



وقد سلم الآمدى بجواز تشبيهه عنق الفرس بالجذع استدلالاً من كلام العرب ، ووافق أبا العباس فى إنكاره أن تكون عيدان الأراك جذوعاً. (١)

\* \* \*

وقال :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى      ومحت كما تحت وشائع من برد  
محت : بليت .

جعل الوشائع : حواشى البرد أو شيئاً منها وليس الأمر كذلك ، إنما الوشائع : غزل من اللحمة ملفوف يحرقه الناسج بين طافات السدى عند النساجة ، قال ذو الرمة :

به ملعب من معصفات نسجه      كنسج اليماني برده بالوشائع  
فأما قول كثير عزة :

ديار عفت من عزة الصيف بعدما      تجد عليهم الوشيع المنمما  
إنما أراد بالوشيع هنا : ما تسد به الخصاصاة بين الشيتين ، وهذه وشائع الغزل .

والمنمى : مأخوذ من النام ، وهو نبت طيب الريح .  
أى بعد ما كانت هذه الديار تجد بالوشيع : أى يخصص جنابها .  
ومثل أب تمام لا يسوغ له الغلط فى مثل هذا لأنه حضرى ، وإنما يسامح فى ذلك البدوى الذى يريد الشىء ولم يعاينه فيذكر غيره لقلة خبره بالأشياء التى تكون بالأمصار .

وأما أبو تمام فليست هذه حاله ، بل ما جهل هذا ولكنه سامح نفسه فيه ، ألا ترى إلى قوله فى موضع آخر - يصف قصيدة - :  
الجدُّ والهزل فى توشيع لحتها      والنبل والسخف والأشجان والطرب

(١) الموازنة - ١٢٥

(٢) هذا رأى الآمدى ، وأرى أنها مأخوذة من النمة ، وهى : الزخرفة والنقش .



فقال : في توشيع لحنها (١) .

\*\*\*

وقال :

رقيق حواشي الحلم لو أن حلمه بكفبك ما ماريت في أنه بُرد  
أنكر عليه أبو العباس أحمد ذلك ، وقال : هذا الذي أضحك الناس  
منذ سمعوه إلى هذا الوقت .

ولم يزد على هذا شيئاً .

وقال الأمدى : والخطأ ظاهر ، لأنى ما علمت أحداً من شعراء الجاهلية  
والإسلام وصف الحلم بالبرقة ! وإنما يوصف الحلم بالعظم والرجحان والثقل  
ونحو ذلك (٢) .

وأورد على قوله أمثلة من كلام الشعراء .

ويرى الدكتور طه حسين : أن وصف الحلم بالبرقة في شعر أبي تمام  
وقع موقعه ؛ لأن الشاعر متأثر برقة العيش ولين الحياة في عصره ، فالحلم  
في العصر العباسي رقيق رقة هذا العصر بخلاف الحلم في العصر الجاهلي .

وأقول : إن وصف الحلم بالبرقة جاء في شعر الأعراب البداءة أيضاً .  
يقول بعضهم في وصف اسماعيل بن صبيح الكاتب - وكان من  
أحسن الناس خطاً - :

رقيق حواشي الحلم حين تبوره يريك الهوينى والأمور تطير (٣)  
تبوره : تختبره .

فليس بصحيح ما قاله الأمدى : من أن وصف أبي تمام للحلم بالبرقة لم  
يأت في جاهلية ولا إسلام !

(٢) المصدر السابق - ١٢٦ - ١٢٧

(١) الموازنة - ١٧٠ - ١٧١

(٣) زهر الآداب ٢ - ١٠٩



وقد أنكر العسكري هذا الوصف على الأعرابي كما أنكره الآمدي على أبي تمام فقال : إنه ردىء لأن الحـلم يوصف بالرجحان والرزانة لا بالارقة .

وعقب على ذلك بقوله : لا ، بل أحسبني سمعت بيتا لبعض المحدثين يصف فيه الحـلم بالارقة ليس بالمختار .<sup>(١)</sup>  
ثم قال : واستعمل أبو تمام هذا اللفظ فعيب عليه .<sup>(٢)</sup>  
فالامر كما ترى لا يعدو اختلاف وجهات النظر .

\*\*\*

وقال في رثاء محمد بن حميد الطوسي :

كان بنى نيهان يوم وفاته نجوم سماء خرو من بينها البدر  
وقد قال له أحمد بن عبيد بن ناصح : أردت أن تصف حسن حالهم بعده أو سوء حالهم ؟

فقال أبو تمام : لا والله إلا سوء حالهم ، لأن قمرهم قد ذهب .  
فقال : والله ما تكون الكواكب أحسن ما تكون إلا إذا لم يكن معها قمر !

ألا قلت كما قال أبو يعقوب إسحاق بن حسان الخريبي :

بقية أقمار من العز لو خبت لظلت معد في الدجى تنسكع  
إذا قمر منها تغور أو خبا بدا قمر من جانب الأفق يلمع  
قال : فوجم وسكت<sup>(٣)</sup> !

والحق أن هذه مغالطة صارخة ؛ فإن أبا تمام لم يرد وصف حالهم الحسية من إشراق وبهجة ورفعة حتى يقال : إن سناهم ومعناهم يتضاعف إذا غاب القمر ، ولكنه وصف حالهم المعنوية فشبه فقيدهم بالقمر في سيادته الكواكب ، وشبههم بالكواكب بالنسبة إليه ، فكأنه قال : غاب



قمرهم الذى هو موضع زهوهم وواسطة عقدهم ومجلى زينتهم فأصبحوا بعده  
كواكب مجردة من غير قمر ، وما حسن كواكب لا تحف بأقمار ؟  
ولا شك أن هذا معنى جميل مستقيم ، ولا يعيبه إلا جاهل أو متعصب !  
وقد سبق أبو تمام بهذا المعنى فى قول صفية الباهلية كما يقول العسكرى :<sup>(١)</sup>  
أخنى على مالك ريبُ الزمان ولا يبقى الزمان على شيء ولا يذر  
كنا كأنجم ليل بيننا قمر يحلو الدجى فهوى من بيننا القمر

\*\*\*

وقال — يصف الصلة — :

حلت محل البكر من معطى وقد زفت من المعطى زفاف الأيم  
فوضع الأيم مكان الثيب وليس الأمر كذلك ، فليس الأيم : الثيب فى  
كلام العرب ، إنما الأيم التى لا زوج لها بكرأ كانت أو ثيبا ، قال الله —  
عز وجل — : « وأنكحوا الأيأى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم »  
وليس مراده — تعالى — نكاح الثيبات من النساء دون الأبكار ، وإنما  
يريد النساء اللاتى لا أزواج لهن .

وقد قال الشماخ :

يقرُّ بعينى أن أحدث أنها وإن لم أنلها أيم لم تزوج  
وليس يسره أن تكون ثيبا .

وقد وقع البحترى فى هذا الخطأ نفسه فقال :

نشقُّ عليه الريح كلَّ عشية جيوب الغمام بين بكر وأيم  
وقد حكى أن بعض كبار الفقهاء وهو محمد بن إدريس الشافعى غلط  
فى ذلك ، والصحيح ما ذكرناه<sup>(٢)</sup> .

\*\*\*



وقال البحترى - يصف الفرس - :

ذنب كما سحب الرداء يدب عن عُرْف وعُرْف كالقناع المسبَل  
قال الأمدى : هذا خطأ فى الوصف ، لأن ذنب الفرس إذا مس  
الأرض كان عيبا فكيف إذا سحبه ؟

وإنما الممدوح من الأذئاب ما قرب من الأرض ولم يمسه (١) .  
وقد اعتذر له المرتضى بكلام طويل . زبدته : أن الشاعر لا يصح أن  
يؤخذ عليه فى كلامه التحقيق والتحديد ، لأنه مبنى على النجوز والتوسع  
والإشارات الخفية ، والإيماء إلى المعانى ، وإلا بطل الشعر جميعه ، لأن  
المخاطب به يعرف أوضاعه ويفهم أغراضه لا الفلاسفة وأهل المنطق .  
والبحترى لم يرد بقوله غير المبالغة فى وصف الذنب بالطول والسبوغ  
وأنه قد قارب أن ينسحب وكاد يمس الأرض ، ومن شأن العرب أن تجرى  
على الشيء الوصف الذى كان قد يستحقه وقد قرب منه القرب الشديد ،  
ويأتوا بألفاظ المبالغة صنعة وتأنقا لا لتحمل على ظواهرها تحديدا وتحقيقا  
بل لتفهم منها الغاية المحمودة والنهاية المستحسنة ويترك ما وراء ذلك ، فلا  
ننكر على البحترى أن يريد أنه فى غاية الطول الممدوح المحمود ؛ لا أنه  
ينجر فى الأرض على الحقيقة (٢) .

• • •

وقال البحترى أيضا :

بدت صفرة فى لونه إن حدهم من الدرما صفرت نواحيه فى العقد  
وحرّت على الأيدى مجسة جسمه كذلك موج البحر ملتهب الوقد  
ولست ترى شوك الأراكه خائفا سمووم رياح القادحات من الزند  
وصف فى البيت الأول الدر بالصفرة ، وإنما يوصف بشدة البياض ،



وإذا أريد المبالغة في وصفه ووصف بالنصوع ، ومن أعيب عيوبه الصفرة وقالوا : كوكب درى لبياضه ، وإذا اصفر احتيل في إزالة صفوته ليتوضأ .

واستعمال الحواشي في الدر أيضاً خطأ ، ولو قال : نواحيه لكان أجود والحاشية للبرد والثوب ، فأما حاشية الدر فغير معروفة .

وفي البيت الثاني وصف موج البحر بالالتهاب وهذا غلط ؛ لأن البحر غير ملتهب الموج ولا متقد الماء ، ولو كان متقدأ أو ملتهباً لما أمكن ركوبه وإنما أراد أن يعظم أمر الممدوح فجاء بما لا يعرف .

والخطأ في البيت الثالث : أنه شبه العليل بشوك القتاد لصلابته على شدة العلة .

وزعم أن شوك القتاد لا يخاف النار التي تقدح الزناد ، وقد علمنا أن النار تفلق الصخر وتلين الحديد ، فكيف يسلم منها شوك القتاد ! وليس لذكر السموم والرياح أيضاً فائدة (١) .

\*\*\*

وقال أبو المعتصم — يصف جرى الفرس — .

كأنما أربعة إذا تناهين الثرى

ريح القبول والدبور والشمال والصبا

قال الأصمعي : والقبول والصبا واحد .

وفي كتب اللغة : القبول كصبور : ريح الصبا ، لأنها تقابل الدبور ، ريح الغرب ، أو لأنها تقابل باب الكعبة ، أو لأن النفس تقبلها . فجاء بتكرار لا فائدة فيه .

\*\*\*



وقال المتنبي - يصف الحمى - :

إذا ما فارقتني غسّلتني كأننا عاكفان على حرام  
وليس الحرام أخص بالاغتسال من الحلال (١) .  
يعنى أن الحرام والحلال يغتسل منهما على السواء لأن الغسل من مطلق  
الجنابة بغض النظر عن الحل والحرمة .

\*\*\*

وقال :

قالت وقد رأت اصفرأى من به وتنهت فأجبتها المتنبي  
فمضت وقد صبغ الحياء بياضها لوني كما صبغ اللجين المسجد  
ذكر أن الحياء يصفر اللون وهو لا يصفره بل يحمره ، وهو جهل  
بطبائع الأشياء .

وقد اعتذر له الواحدى : بأن هذا الحياء كان مختلطاً بالخوف من  
الفضيحة ، أو الخوف من أن يسمع الرقيب هذا الكلام ، فغلب الخوف  
على الحياء فأكسبها صفرة (٢) .

ولا يخفى ما فى ذلك من التهاوت .

\*\*\*

وقال السرى الرفاء :

قم يا غلام فهاهما فى كأسها كالجُمْلَنارة فى جنى نسرين  
أو ما رأيت هلال شهر كقد بدا فى الأفق مثل شعيرة السكين  
جعل الزجاج كأساً ، ولا يقال : كأس إلا إذا كانت مملوءة (٣) .

\*\*\*

(١) اليتيمة - ١ - ١٤١ (٢) العرف الطائب ١ - ٤١

(٣) ديوان المعانى ١ - ١٤٣



وقال المعري :

ولقد سلوت عن الشباب كما سلا      غيرى ولكن للحزين تذكر  
فيقال : كيف يجوز أن يسلو وهو حزين يتذكر .  
ويقول ابن سنان الخفاجي : وقد قرأت عليه هذا البيت في جملة شعره  
ولم أسأل عنه .  
والذي يحتمل عندي من التأويل : أنه أراد بالسلو ههنا اليأس ورفض  
الطمع ، فكأنه قال : قد بئست من الطمع في الشباب يأس غيرى ، ولكنني  
حزين أتذكر ، وهذا وجه قريب <sup>(١)</sup> .

\* \* \*

ولا يخلو شعر العصريين من الأخطاء بالرغم من ثقافتهم الرفيعة ،  
وما أمدتهم به العلوم من المعارف الوثيقة ، فمن ذلك على سبيل التمثيل قول  
أميرهم « شوقي » يصف تصعيد الطائرات في الجو :

ذهبت تسمو فكانت أعقباً      فنسورا فصقورا فحاما  
بعضها في طلب البعض كما      طارد النسر على الجو القطاما  
وكان الترتيب الواقعي في البيت الأول أن يقول : فكانت نسورا  
فأعقبا فصقورا فحاما .

لأن النسور أضخم من العقبان أجساما ، وإن كانت أقل منها قوة  
وبطشا ، والعادة أن الطيارة تصغر حين تصعد في الجو شيئا فشيئا ، فمن  
المعقول أن تبدو باديء ذي بدء في نظر العين نسرا ثم عقابا لا العكس ،  
ولكنه هنا يقول : إنها بدأت صغيرة ثم صارت كبيرة وهذا محال !

وفي البيت الثاني : ذكر أن النسر يطارد القطام بالضم والفتح وهو  
الصقر ، وذلك جهل فاضح بطبيعة كل منهما .



فالنسر من الطيور التي تأكل من صيد غيرها وتقع على الجيف المطروحة كالحدأة .

والصقر من عتاق الطير وأحرارها كالعقاب والشاهين والباز ، وهي بمثابة الأسود من الحيوان المفترس ، تصيد وتترك بقايا فرائسها للنسور وغيرها من كلاب الطيور .

فالنسر لا يفكر في مطاردة الصقر ، وهو أعجز وأجبن وأضعف من أن يطارده .

وكان يصح البيت لو قال :

بعضها في طلب البعض كما طارد الصقر على الجو الحماما

---



## الفصل العاشر

أ - أدوات الكتابة وهروف الرهباء فى التشبيه .

ب - تشبيه أعضاء الجسم برهباء .

هذه ألوان طريفة من التشبيه ، بل لعلها أطرف ألوان التشبيه جميعاً ، وبديهي أن هذه الضروب من صور التشبيه لا تروج إلا فى العصور التى ترتقى فيها الحضارة المادية ، وتنشر الكتابة والثقافة حتى يمكن انتزاع هذه الصور منها .

وحين نتصفح آثار الجاهليين والمخضرمين تطالعنا بعض هذه الألوان على قلة وفى إطار محدود ، تجرى بها السنة شعراء بعضهم كان ملأ بالكتابة أو خالط الحضر ، وبعضهم كان أمياً بدوياً ولكن لم يعيه التشبيه اعتماداً على الرؤية .

يقول مرقش الأكبر :

الدار قفر والرسوم كما رُقش فى ظهر الأديم قلم<sup>(١)</sup>  
وكان مرقش يكتب ، فقد دفعه أبوه هو وأخاه حرمة إلى نصراني  
من أهل الحيرة فعلهما الخط<sup>(٢)</sup> .

وقد عظم اتصاله بالحارث بن أبي شمر الغساني حتى روى : أنه اشتغل  
كاتباً له<sup>(٣)</sup> .

(١) الترقيش : التزيين والتحسين أو الكتابة ، والأديم : الجلد .

(٢) معاهد التنصيص — ١ — ١٦٣ .

(٣) شعراء النصرانية — ١ — ٢٩٢ .



ويقول طرفة في وصف الناقة :

وخذ كقرطاس الشامي ومشفّر كسبت اليماني قدّه لم يُجَرّد  
السبت بالكسر : جلود البقر المدبوغة بالقرظ ، والتجريد : اضطراب  
القطع وتفاوته .

شبه خدها في ملاسته بقرطاس الرجل الشامي ، وشبه مشفرها في لينه  
واستقامة قطعه بسبت الرجل اليماني .

ويقول الأخنس بن شهاب التغلبي :

لابنة حطّان بن عوف منازل كما رُقش العنوان في الرق كاتب<sup>(١)</sup>  
ولم يكن طرفة ولا الأخنس يعرفان الكتابة .

ونجد ذلك أيضاً في قوله ثعلبة بن عمرو :

لمن دمن كأنهن صحائف قفار خلا منها الكشيّب فواحف<sup>(٢)</sup>  
وقول الحارث بن حلزة اليشكري :

لمن الديار عفّون بالحبس آياتها كمهاارق الفرس<sup>(٣)</sup>

وقول المرار بن منقذ الحنظلي العدوي :

وترى منها رسوما قد عفت مثل خط السلام في وحي الزبر<sup>(٤)</sup>

وقول معاوية بن مالك :

من الأجزاء أسفل من تميل كما رجعت بالقلم الكتابا<sup>(٥)</sup>

---

(١) الرق بالكسر والفتح : جلد رقيق جداً ، أو الصحيفة البيضاء .

(٢) الكشيّب وواحف : موضعان .

(٣) الحبس مثلث الحاء : موضع ، والمهاارق : الصحف جمع مهرق يضم فسكون ففتح .

(٤) الوحي : نقش الكتاب ، والزبر : الكتيب جمع زبور .

(٥) الأجزاء : منعطفات الوديان جمع جزع بالكسر .



وقول عبد الله بن عنمة الضبي :

فلم يبق إلا دمنة ومنازل كما رُدَّ في خط الدواة مدادها  
وقول حاتم الطائي :

أتعرف أطلالا ونؤيا مهدما كخطك في ربق كتابا منمنيا<sup>(١)</sup>  
وقول كعب بن زهير :

أتعرف رسما بين دهمان والرقم إلى ذى مراهيط كما خط بالقلم  
وفي العصر الأموي نثر لها على أمثال لا توصف بالكثرة في كلام  
بعض الأعراب والرجاز والشعراء .

فمن ذلك ما أنشده ابن سلام لأبي النجم العجلي الراجز ، يصف صديقا  
كان يسقيه الشراب فيصرف من عنده ثملا :

أخرج من عند زياد كالخرف تخط رجلاى بخط مختلف<sup>(٢)</sup>  
كأنما تكتبان لام ألف

وقول ذى الرمة — يصف عين ناقته — :

كأنما عينها شبرا وقد ضمرت وضمها السير في بعض الأضاميم<sup>(٣)</sup>  
يريد : كأن عينها في هذه الحال ميم لتدويرها وغثورها .

ومن الغريب أنه أخذ على أبي النجم وذى الرمة أنهما يعرفان الكتابة ؛  
قال الصولي : وقد عيب أبو النجم بهذا فقيل : لولا أنه يكتب ما عرف  
صورة لام ألف وعناقها لها ، كما عيب ذو الرمة فقيل : لولا أنه يكتب  
ما عرف الميم<sup>(٤)</sup> .

(١) النؤى كقفل : الحاجز من التراب يقام لمنع السيل عن البيوت ، والمنمنة : الزخرف  
والنقش .

(٢) الحرف : ككتف : فاسد العقل .

(٣) الأضا : كقطا : الغدران جمع أضاة . (٤) الموشح — ١٧٧



وذكر الأصمعي<sup>(١)</sup> : أنه قيل لدى الرمة : من أين عرفت الميم لو لا صدق من نسبك إلى تعليم أولاد الأعراب في اكتاف الإبل !  
فقال والله ما عرفت الميم إلا لأنني قدمت من البادية إلى الريف ، فرأيت الصبيان وهم يجوزون بالفجر<sup>(٢)</sup> في الأوق<sup>(٣)</sup> ، فوقفت حيالهم أنظر إليهم ، فقال غلام من الغلّة قد أزقمت<sup>(٤)</sup> هذه الأوق فجعلتموها كالميم .  
فقام غلام من الغلّة فوضع منجمه<sup>(٥)</sup> في الأوق فنجنجه<sup>(٦)</sup> فأفهبها<sup>(٧)</sup> .  
فعلت أن الميم شيء ضيق فشبهت عين ناقتي به وقد أسلهمت<sup>(٨)</sup> وأعيت .  
وحكروا : أن هشام بن عبد الملك قال لأعرابي : انظر كم على هذا الميل من عدد الأميال ؟

ولم يكن الأعرابي يحسن القراءة فضى ينظر ، ثم عاد فقال : رأيت شيئاً كرأس المحجن<sup>(٩)</sup> متصلاً بحلقة صغيرة تتبعها ثلاث كأطباء<sup>(١٠)</sup> الكلبة ، تُفضى إلى هنة<sup>(١١)</sup> كأنها قطاة بلا منقار .  
ففهم هشام بالصفة أنها خمسة<sup>(١٢)</sup> .  
وقد كانت مكتوبة بالحروف « خمسة » .  
فرأس المحجن : الخاء ، والحلقة الصغيرة : الميم ، وأطباء الكلبة الثلاث : أسنان السين ، والحنة : التاء المربوطة .

(١) أمالي القالي — ٢ — ٦ (٢) الفجر بكسر الفاء والراء : الجوز .

(٣) الأوق : الحفر وزنا ومهني ، مفردا أوق بالضم .

(٤) أزق بتشديد الزاي : ضيق . (٥) المنجم كمنبر : العقب والكعب .

(٦) نجنجه : حركه . (٧) أفهبها : ملاءها . (٨) أسلهم : تغير .

(٩) المحجن كمنبر ومكنسة : العصا المعوجة .

(١٠) الأطباء : حلمات الضرع جمع طبي بالكسر والضم .

(١١) الهنة : الشيء اليسير .

(١٢) ديوان المعاني — ٢ — ٧٢



وهو من البراهين الناصعة على حدة ذكاء الأعراب .

ولما جاء العصر العباسي وعم الترف ولان جانب العيش ، وفشت القراءة وانتشر العلم والثقافة ، كثر هذا اللون في آثار المحدثين قولا وكتابة وشعرا .  
فمن ذلك قول أبي نواس — يصف البط — :

كأنما يصفرن من ملاحق صرصرة الأقلام في المهارق  
وقوله في المنسر :

ومنسر أكلف فيه شغفا      كأنه عقد ثمانينا<sup>(١)</sup>  
ألبسه التطريز من حوله      وشيا على الجؤجؤ موضونا  
له جراب فوق قفازه      يجمع تأنيقا وتسنيذا  
كل سنان عيج عن متنه      تحال محي عطفه نونا

وقوله يهجو الرقاشيين :

رأيت الرقاشيين سوداً من الصلي      وقدر الرقاشيين بيضاء كالبدر<sup>(٢)</sup>  
يبينها للمعتق بفنهم<sup>(٣)</sup>      ثلاث كخط الثاء من نقط الخير  
إذا ما تنادوا للرحيل سعى بها      أمامهم الحولى من ولد الذر<sup>(٤)</sup>

وقول ابن المعتز في قيام السقاة بين الندامى — وهو أجود ما قيل  
في ذلك — :

بين أقداحهم حديث قصير      هو سحر وما سواه الكلام  
وكان السقاة بين الندامى      ألفات بين السطور قيام  
شبه اصطفاف الشرب جلوسا بالسطور ، والسقاة بينهم بالآلفات  
فأحسن .

(١) المنسر كمجلس ومنبر : المنقار ، والشغا : زيادة المنقار الأعلى .

(٢) الصلي بفتح الصاد : النار . (٣) الذر : صغار النمل ، والحولى : ما أنى عليه

حول ، والمراد : الصغير جدا .



وقوله في وصف الحجاب المؤلف من المزاج :

تكتب فيه أيدي المزاج لنا ميمات سطر بغير تعريق<sup>(١)</sup>  
لا شيء يسلي همى سوى قدح تدمى عليه أوداج إبريق

ولعله مما ساعد على ذلك أن كثيراً من غلمان الموالى كانوا من كتاب  
الدواوين ، وأن الجوارى الحسان على اختلاف عناصرهن كن يمارسن  
الكتابة ويشاركن في الشئون الثقافية بنصيب ملحوظ ، فكان ذلك من منابع  
الإلهام الشعري .

وإنك لو اجد أثر ذلك فيما يذكره<sup>(٢)</sup> : من أن المأمون نظر إلى جارية  
من جواريه اسمها « منصف » ، تخط خطا حسنا ، وكان ذا شغف بها فقال :  
أراني منحت الود من ليس يعرف فما أنصفتني في المحبة « منصف » ،  
وزادت لدينا حظوة حين أطرقت وفي إصبعيها أسمر اللون أهيف  
أصم سميع ساكن متحرك ينال جسيات المني وهو أعجف  
وقوله :

كأنما قابل القرطاس إذ مشقت منها ثلاثة أقلام على قلم<sup>(٣)</sup>

يريد بالأقلام الثلاثة : أصابعها المحيطة بالقلم ، وهي المعنية بقول  
أبي تمام في وصف القلم :

وقد رفدته الخنصران وسددت ثلاث نواحيه الثلاث الأنامل

ويقول القصار في وصف جارية كاتبة ، اسمها « علم » .

(١) التعريق : عدم المبالغة في المزج .

(٢) ديوان المعاني - ٢ - ٨٤ - العقد الفريد ٢ - ٢٨٣ .

(٣) المثلث : مد أحرف الكتابة .



أفدى البنان وحسن الخط من علم إذا تقمَّعن بالحناء والسكتم<sup>(١)</sup>  
حتى إذا قابلت قرطاسها يدها ترى ثلاثة أقلام على قلم  
وكتبت جارية لعلى بن الجهم في رقعة بعثت بها إليه<sup>(٢)</sup> :

قلب يميل على لسان ناطق ويد تخط رسالة من عاشق  
مزج المداد بعبرة شهدت له من كل جارحة بقلب صادق  
فيمينه تحت الوساد ، وخده ويساره فوق الفؤاد الخافق  
فكتبت إليها :

مارقعة جاءتك مثنيّة كأنها خد على خد  
نثر سواد في بياض كما ذرّفت المسك في الورد  
ساهمة الأسطر مصروفة عن جهة الهزل إلى الجد  
يا كاتباً أسلمني عتبه إليه حسبي منك ما عندي

ويصف أحمد بن أبي صالح ، ابن شيرازاد ، جارية كاتبة فيقول<sup>(٣)</sup> :  
كان خطها أشكال صورتها ، وكان بيانها سحر مقلتها ، وكان سكينة  
غنج<sup>(٤)</sup> لحظها ، وكان مدادها سواد شعرها ، وكان قرطاسها أديم وجهها ،  
وكان قلبها بعض أناملها ، وكان مقطّعا<sup>(٥)</sup> قلب عاشقها .  
ويحكى عن بعضهم<sup>(٦)</sup> : أنه دخل دار الديوان ، فنظر إلى غلام بيده قلم  
كانه قضيب عقيان ، وعليه مكتوب :

وا بأبي      وا بأبي      من كف من يكتب بي

(١) التميمي : تخضيب أطراف الأصابع ، والسكتم بفتح التاء : نبت يخلط بالحناء ويستعمل خضاباً ، وإذا طبخ صار مداداً .

(٢) العقد الفريد - ٣ - ٢١ - ٤ - ٣٥٩

(٣) العمدة - ٢ - ٢٥ - زهر الآداب - ٣ - ٩٣

(٤) الغنج بالضم : الدلال والغزل . (٥) المقط بكسر الميم كما ضبطه الجوهري إلا أنه

قال : وفيه مقطة . (٦) العقد الفريد - ٣ - ٢٧



ويقول الصنوبرى فى كاتب جميل الصورة :

انظر إلى أثر المداد بخـده  
كبنفسج الروض المشوب بورده  
ما أخطأت نوناته من صدغه  
شيئا ولا ألفاته من قده (١)  
ألت أنامله على أقلامه  
شبهًا أراك فرندا كفرنده  
وكأنما أنقاسه من شعره  
وكأنما قرطاسه من خده (٢)  
ويقول أحمد بن يوسف : ما عبرات الغواني فى خدودهن بأحسن من  
عبرات الأقلام فى خدود الكتب !

ويقول العسكرى — يصف الصحيفة — :

بياض صحيفة تلتاح حسنا  
كغيم رق فى أطراف جو  
وماء ساح فى قاع فسيح  
بها نبذ من المسك الذبيح (٣)  
ومثل الصدغ فى وجه صبيح (٤)  
ومثل الخال فى الخد المليح (٥)  
ويقول فى القلم والقرطاس :

يبدو لناظره بلون أصفر  
ومدامع سود وجسم منحل  
فالدرج أبيض مثل خد واضح  
يثنيه أسود مثل طرف أكل (٦)  
ويقول منصور بن إسماعيل فى الدواة :

وسوداء ، مقلتها مثلها  
وأجفانها من لجين صقيل

(١) شبه شعر الأصدغ الملتوية بالنونات .

(٢) الأتقاس : جم نقس كمسك وهو المداد .

(٣) تلتاح : تلوح ، والمليح بضم الميم : المحاذر والملاح بسيفه .

(٤) الذبيح : المفتوح . (٥) الصدغ : المشرق .

(٦) العجم بفتح فسكون : النقط .

(٧) الدرج بفتح الدال وإسكان الراء وفتحها : ما يكتب فيه « الفرخ »



إذا ذرفت عبرة خلتها كغالية فوق خد أسيل  
 في هذه البيئة القارئة المثقفة انفسح مجال جديد للشعراء يقايسون فيه  
 بين الأعضاء الجميلة والحروف المكتوبة وأدوات الكتابة ذاتها .  
 ولم يكتفوا بذلك فوصفوا الرسائل نفسها - في بهاء قراطيسها ، وصفاء  
 مدادها ، وملاحة خطوطها ، وجمال حروفها - وصفا تشوبه نفحات ندية  
 عطرة من الغزل والفسيب ، حتى كأنها أجسام حية تروق وتروع بحسن  
 منظرها ودقة انسجامها ورقة بشرتها ولين مجسّتها !  
 وقد كثّر ذلك بنوع خاص في العصر العباسي الثاني وما تلاه من عصور  
 وأوغل فيه الشعراء إيغالا شديداً ، واتكثوا عليه في تشبيهاتهم الغزلية  
 وصور بيانهم كما سنفصله فيما يلي :

١ - الشطبة ، وهي الخط الذي يضرب به على الخطأ في الكلام .  
 ويشبه بها العذار كقول ابن عبد الظاهر :

بالصدغ أبدى شطبة	من شكها محوطة
سأله عن أمرها	فقال زاد اللفظ
قلتم بدا لي عارض	مشكّل منقّط <sup>(١)</sup>
جئت شطبت فوقه	وقلت هذا غلط

٢ - الهمزة :

وتشبه بها عطفة الصدغ كقول ابن حجة الحموي :  
 أَلِفُ الْقَدِّ مَدَّهَا لِي بَعْزَةٌ وَعَلَيْهَا مِنْ عَطْفَةِ الصَّدْغِ هَمْزَةٌ  
 وقول القاضي الفاضل - وهو من بدائعه - :  
 فِي خَدِّهِ فَنَحْ لِعَطْفَةِ صُدْغِهِ وَالْخَالُ حَبَّتْهُ وَقَلْبِي الطَّائِرُ

(١) العارض : صفحة الحد ، والمراد هنا : العذار .



٣ - الألف .

ويشبه بها القد كقول الحموي المتقدم :

ألف القد مدها لي بعزة .....

وقول الخبز أرزى :

أهيف يحكى بقده الألفا      يخسر من لم يكن به كلفا  
أحسن من بهجة الخلافة والأمن م      لمن قد يحاذر التلفا  
لو أبصر الوجه منه منهزم      يطلبه ألف فارس وقفا

وقول ابن الوردي :

قوامه أشبه شيء بالألف      كمثلها تكتبه لا يختلف

وقول ابن الجبار :

رنت إلى بعين الظبي والتفتت      بجيده وثنت من قدها ألفا

وقول ابن الدهان - يتحسر على ذهاب شبابه - :

وعهدى بالصبا زمنا وقدي      حكى ألف ابن مقله ، في الكتاب  
فصرت الآن منحنيًا كاني      أفتش في التراب على شبابي

ويشبه بالألف أيضاً العذار كقول ديك الجن الحمصي :

كان لا ما أدبرت فوق وجنته      واختط كاتبها من تحتها ألفا

شبه شعر الأصدغ باللام ، والعذار بالألف :

والشاهد في الشطر الثاني .

وقول العسكري :

وكان دارة صدغه وعذاره      ألف تقوم تحت نون تعطف

شبه الألف بالعذار ، والصدغ بالنون .



وقوله :

قد التوى صدغه واختط عارضه كأنه ألف من فوقها نون

٤ - اللام .

ويشبه بها شعر الأصداغ كما تقدم في قول ديك الجن :

كأن لاما أدبرت فوق وجنته . . . . .

وقول بعضهم :

ذو حاجب ما إن رأيت كنونه أبدا وصدغا ما رأيت كلامه

والشاهد في الشطر الثاني .

وقول ابن الوردى :

قال من أهواه صف صدغى بما فيه توجيئه وحيه إلى

قلت إن الصدغ لام قد كوى نصبها قلبى فهذى لام كى

والتورية في قوله : د لام كى ، غير خافية .

ويشبه باللام كذلك العذار على كثرة - وهو الشعر النابت على الخد -

كقول الحصرى :

يروع مُناجيئه بهاروت لحظه ويؤنسه منه بصورة آدم

ترى فيه لاما فردة فوق خده وفصاً من الياقوت من فوق خاتم

وقول ابن نباته :

لام العذار أطالت فيك تسهيدى كأنها لغراى لام توكيد

وقول ابن رشيق :

خطَّ العذار لها لاما بصفحته من أجلاها يستغيث الناس باللام

وقول الشاب الظريف :

بأنى أفدى حبيباً تيم القلب غراماً



عذر العاذل فيه      مذرأى العارض لا ما  
 وفي قوله : « لا ما » تورية .  
 وقول سعيد الدين بن عربى :  
 لما تبدى عارضا فى نمط  
 وقيل نمل فوق عاج قد سقط  
 وقال ابن وهبون الأندلسى :  
 وكان للحسن سر فيه مكتتم  
 لام يدل على بلبال مبصره  
 وقول ابن عيشون الأندلسى :  
 وسنان ما إن يزال عارضه  
 وقول ابن الخباز :  
 ولى كاتب أضمرت فى القلب حبه  
 له صنعة فى خط لام عذاره  
 وقول بدر الدين الدمامينى :  
 لا ما عذاريك هما أوقعا  
 فجـد له بالوصل واسمح به  
 وفى « لامين » تورية .  
 وقول ابن حجلة المغربى :  
 ومستتر من سنا وجهه  
 كوى القلب منى بلام العذار  
 وفى « لام كى » تورية .

مذرأى العارض لا ما  
 قيل ضياء بظلام اختلط  
 وقال قوم إنها اللام فقط  
 وشى به ناظرى من طول ما بحثا  
 ما زال يبعث وجدى كلما انبعثا  
 يعطف قلبى بعطفة اللام  
 مخافة حسادى عليه وعذالى  
 ولكن سها إذ نقط اللام بالخال  
 قلب المحب الصب فى الحين<sup>(١)</sup>  
 ففبك قد هام بلامين  
 بشمس لها ذلك الصدغ فى<sup>(٢)</sup>  
 فعرفنى أنها لام كى

(١) الحين كين : الهلاك . (٢) الفى : الفىء وهو ما كان شمسا فينسخه الظل .



وقد خالف الشاعر أبو غالب هذا النهج المسلوك فذم العذار ، محتجاً لذلك بأنه يشبه اللام فقال :

سأصنع في ذم العذار بدائعاً      فمن شاء فليقض الدليل كما أفضى  
ألا إنه كاللام واللام شأنها      إذا النصقت بالإسم صار إلى الخفض  
٥ — الميم والآلف .

وقع التشبيه بها في شعر أبي تمام فقال : (١)  
يرمى الكتبية بالكتاب إليهم      ويرون أحرفه الخيس كفاحاً (٢)  
من نقشه دُهما ومن ميماته      زرداً ومن ألفاته أرماحاً  
النقش : الحبر ، وأراد بدهم النقش : الخيول السود .  
وقد فسرهما المرحوم الأستاذ محمود مصطفى بالقيود وهو جائز ،  
ولكن تفسيرها بالخيول هنا أنسب ، لأنه يصف عماد جيش والخيول من  
أهم معداته ، ويؤكد ذلك ذكره الزرد والرماح .  
والعلاقة بين الميمات وحلقات الدروع ، وبين الآلفات والرماح ظاهرة .

٦ — الواو .

وهي من أكثر الحروف دورانا في شعر الغزل .  
والسر في ذلك أن الحسان في العهود القديمة كن يلوين ذوائبهن المسترسلة  
على الحدود بشكل الواو ، ففتن الشعراء بهذه الصورة الانيقة وأغرموا  
بوصفها .

وقد أشار أبو نواس إلى هذا الصنع بقوله :  
ألوى بصبرى أصداع لُوَيْن له      وغلّ صدرى ما تحوى غلائله

(١) هبة الأيام — ٣٦

(٢) الخيس : الجيش لأنه خمسة أقسام : الطليعة والساقة والميمنة والميسرة — وهما  
لجنبتيان — والقلب .



ومن ذلك قول محاسن الشَّوَاء :

أرسل فرعا ولوى هاجرى      صدغا فأعيا بهما واصفه  
نقلت هذا حية خلفه      تسعى وهذا عقربا واقفه  
ذا ألف ليست لوصل وذا      واو ولكن ليست العاطفه

وقول العباسي :

تطمعني في الوصل أصدغه      حين تريني أحرف العطف  
وهو ينظر إلى قول البهاء زهير - وفيه من الرشاقة واللفظ ما فيه - :  
عسى عطفة للوصل يا واو صدغه      على فإني أعهد الواو تعطف

وقول أمين الدولة التليساني :

نصبت على التميز إنسان مقلتي      أشاهد قد آمنه نصبا على الظرف  
أأخشى فراقا بعدها وقساوة      وقد جاء واو الصدغ للجمع والعطف

وقول برهان الدولة القيراطي :

ووردى خد نرجسى لوا حظ      مشايخ علم السحر عن لحظه رروا  
و واوات صدغيه حكين عقاربا      من المسك فوق الجلمار قد التورا

ومن النثر قول ابن حبيب الحلبي<sup>(١)</sup> : وصدغ معقرب ، لكنه لرقية  
السليم<sup>(٢)</sup> باب مجرب ، بعيد من القطف ، كأنه واو العطف ، أو جيم بحكمة  
العوج ، أو منجل صيغ من صبيح<sup>(٣)</sup> .

ويأني ذكر لواوات الأصداغ في البلاغة لدى التكلم على مواضع وصل  
الجملة ، وهو عطف بعضها على بعض بالواو أو إحدى أخواتها .

(١) نسيم الصبا - ٤١ (٢) السليم : اللامع .

(٣) السبيح كسبب : الحرز الأسود .



فمن ذلك أن يكون بين الجملتين « كمال الانقطاع » ، بأن تكون إحداهما خبرية والأخرى إنشائية ، فإن هذا من مواضع الفصل وهو ترك العطف ، ولكن ترك العطف يومهم خلاف المراد في مثل قوالك : لا ، وشفاك الله ! لمن قال لك : إنه مريض .

فإن القصد الدعاء المخاطب ، ولكنه لو ترك الوصل بعدم العطف لآوهم أنه دعاء عليه لا له ، فوصل بين الجملتين بالواو العاطفة لرفع التوهم ، مع أن الأصل في ذلك الفصل لا الوصل .

ويسوق البلغاء في ذلك مثالا طريفا يعد غاية في أدب النفس والدرس والآنس<sup>(١)</sup> وسلامة الذوق ؛ وهو أن المأمون<sup>(٢)</sup> قال يوما ليحيى بن أكيثم : هل تغدّيت اليوم ؟

فقال : لا ، وأيد الله أمير المؤمنين !

فقال المأمون : ما أظرف هذه الواو وأحسن موقعها !

وذلك أنه لو قال : لا ، أيد الله أمير المؤمنين ! لكان أشبه بالدعاء عليه لا له .

ولكنه استظهر بالواو وجعلها حاجة بين « لا » و « أيد الله أمير المؤمنين » ، حذراً من وقوع الشبهة<sup>(٣)</sup> .

وفي رواية : أن المأمون سأل اليزيدي عن شيء فقال : لا ، وجعلني الله فداك يا أمير المؤمنين !

فقال : لله درك ! ما وضعت هذه الواو قط في موضع أحسن من موضعها في لفظك هذا !

ووصله وحمله .<sup>(٤)</sup>

(١) يقسم الأدب إلى هذه الأقسام الثلاثة .

(٢) في زهر الربيع للأستاذ الجلاوى - ٢٢ - ٦٨ : أنه الرشيد .

(٣) ثمار القلوب - ٤٨٩ (٤) وفيات الأعيان - ٢ - ٣٠٤



وكان الصاحب بن عباد يقول : هذه الواو أحسن من واوات الاصداع  
في حدود الملاح !

وكان الثعالبي يسمى مثل هذا : حشو اللوزينج !  
والحق : أن الإشادة بقيمة هذه الواو والحث على استعمالها في مثل هذه  
المقامات ، يرجع إلى عهد بعيد ؛ فأول من نبه على ذلك الخليفة الأول  
أبو بكر الصديق — رضى الله عنه — .

فقد روى : أنه مر به رجل معه ثوب فقال له : أتبيعه ؟

فقال الرجل : لا ، رحمك الله !

وفي رواية : لا ، عافاك الله !

فقال الصديق : قد قومت ألسنتكم لو تستقيمون <sup>(١)</sup> ! ألا قلت : لا ،  
ورحمك الله <sup>(٢)</sup> !

وفي الرواية الأخرى : قل : لا ، وعافاك الله <sup>(٣)</sup> .  
وما يتصل بالواو : أن القدماء كانوا يطلقون على ما بعد العشرين من  
الشهر « الواوات » .

وكان أهل بغداد يقولون لرمضان بعد العشرين : وقع في الاثنين !  
وبعضهم يقول : وقع في الواوات .  
وفي ذلك يقول ابن المعتز :

قد قرب الله كل ما شسعا      كأننى بهلال الفطر قد لمعا  
نخز لشهرك قبل العيد أهبتة      فإن شهرك فى الواوات قد وقعا  
٧ - واو عمرو .

يضرّب بها المثل لما لا يحتاج إليه .

(١) فى المستطرف ١ - ٤١ : لو تستقيمون لقومت ألسنتكم .

(٢) ثمار القلوب - ٤٨٩ (٣) البيان والتبيين - ١ - ٢١٦



وأول من ضرب بها المثل أبو نواس حيث قال لا شجع السلي :  
أيها المدعي سلماً سفاهاً لست منها ولا قلامة ظفر<sup>(١)</sup>  
إنما أنت من سليم كواو ألحقت في الهجاء ظلاً بعمر و  
وفي بعض الراوايات :

إنما أنت ملصق مثل واو ألصقت في الهجاء ظلاً بعمر و  
وتبعه الشعراء في ذلك فقال ابن بسام :  
يا طلوع الرقيب ما بين ألف يا غريماً أتى على ميعاد  
يا ركوداً في يوم صيف وغيم يا وجوه التجار يوم الكساد  
خلّ عنا فإنما أنت فينا واو عمر أو كالحديث المعاد  
وأحسن ما سمع في ذلك قول أبي سعيد الرستمي للصاحب بن عباد :  
أفي الحق أن يعطى ثلاثون شاعراً ويحرم مادون الرضا شاعر مثلي<sup>(٢)</sup>  
كما ألحقت واو بعمر—رو زيادة وضويق «بسم الله» في ألف الوصل

وقد جاءت في وصف شوقي من قصيدة يصف بها البسفور :  
فيامن يطلب المرأى البديعا ويعشقه شهيداً أو سميعا  
رأيت محاسن الدنيا جميعا فهن الواو والبسفور عمرو  
ومثل واو عمرو في التمثيل بالزيادة التي لا يحتاج إليها : بغلة الشطرنج .  
٨ — النون .

ويشبه بها شعر الأصداغ كقول ابن المعتز :  
غلالة خده ورد جني ونون الصدغ منقوط بخال

(١) يريد قبيلة سليم .

(٢) هكذا ورد في ثمار القلوب — ١٢٠ ، وفي طراز المجالس للخفاجي — ١٤٣ :

من الناس من يعطى المزيد من الغنى .



وقوله :

له طُرَّة كجناح الغُدا ف      تلوح على غُرَّة مُقْمِرِه (١)  
وفي عَطْفَة الصدغ خال له      كما استلب الصَّولجانُ الكره  
والصولجان معقوف كالنون .

وقول العسكري :

لا والذي دار من صدغيك وانعطفنا      وصار نونا إذا صـيرته ألفا  
وقوله :

إذا التوى الصدغ فوق وجنته      رأيت تفاحة بها عضه  
وأثر العضة مقوس كالنون .

وقول نصر الهروي في تفاحة معضوذة :

تفـاحـة قد عضـها قمر      عمداً ومسك موضع العضه  
فكأنما نونان قد كُتبا      بالمسك في كرة من الفضة  
شبهه في البيت الثاني أثر الأسنان العليا والسفلى بنونين بجامع التقويس .

وقول شيخ الشيوخ الحموي :

قلت وقد عقرب صدغا له      عن مشقة الحاجب لم يُجِب  
قدّست يارب الجمال الذي      ألّفت بين النون والعقرب  
وقوله أيضا :

وبدر دجى لم ينتقل كسميه      ولكنه ما زال في القلب والطرف  
يلوح لعيني ما شقاً نون صدغه      فأعبد خلاقى على ذلك الحرف  
وفي الحرف تورية لطيفة .

(١) الطارة : شعر الناصية ، والغدا ف : الغراب .



أخذهما ابن الوردى بقافتيهما وغالب ألفاظهما فقال :  
يا بدر تم نـوره باهر منزله فى القلب والطرف  
صدغك حرف النون فى مشقه من يعبد الله على حرف !  
ولعمري إنها سرقة فاحشة كما يقول الحموى !<sup>(١)</sup>

وقول ابن جابر الأندلسى :  
سلب القلب غزال قد حكى البان لنا والعلماء  
نون صدغيه إذا أبصرها كاتب ألقى إليه القلباء  
ويشبهه بالنون الحاجب أيضا ، وهو تشبيه فاش كثير كقول ابن حجلة  
المغربى :

يرنو إلى بعين نون حاجبها كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان  
والشطر الثانى مأخوذ من قول ابن الرومى :  
تصمى المحب وتلقى الدهر شاكية كالقوس تصمى الرمايا وهى مرنان  
وقول ابن نباتة :

أغمـزه بنـاظـر ولم أفه بكلمه  
يجيبنى بحـاجـب لكن بنون العظمه  
وسرقه الصفدى فقال :<sup>(٢)</sup>

إن قلت زرنى قال لا بحاجب ما أظلمه  
فما ترى جـوابه إلا بنون العظمه

ونون العظمه : هى نون المضارع التى للمتكلم مع الغير ، لأنه يتكلم بها  
المعظم نفسه .

(١) خزانة الأدب - ٢١٥

(٢) شفاء الغليل - ٢٠٣



وقول آخر :

لها حاجبان الحسن والغنج فيهما  
وقول أمين الدولة التلمساني :  
أضيف الدجى معنى إلى لون شعره  
وحاجبه نون الوقاية ما وقت  
٩ - الحرف المشدد .

ويشبه به العناق كقول ابن سناء الملك :

وليلةً بتنا بعد سكرى وسكره      نبذت وسادى ثم وسدته يدي  
وبتنا كجسم واحد من عناقنا      وإلا كحرف في الكلام مشدد  
وقد اعترض عليه : بأن العروضيين يعدون الحرف المشدد بحرفين ،  
ولو قال : كحرف في النظام لسلم من النقد ؛ لأن الحرف المشدد في الخط  
يعتبر حرفاً واحداً ووزن البيت لا يختل به <sup>(١)</sup> .  
١٠ - لا .

وتستعمل في القلة كقولهم : فلم يكن إلا كلا ولا حتى حدث كذا .  
وكقول أبي نواس :

يا عافر القلب منى      هلا تذكّرت خلاً  
تركت منى قليلاً      من القليل أقلاً  
يكاد لا يتجزأ      أقل في اللفظ من لا  
وقد تستعمل مهموزة أو غير مهموزة في العناق كقول أبي جعفر  
الإليري :

لقوامه الألف التي      جاءت بحسن ما ألف <sup>(٢)</sup>

(١) تزيين الأسواق - ٢١٧ - ديوان الصبابة - ١٧٣

(٢) ما ألف : ما عهد من قبل .



عانقته فكأننى لام معانقة ألف

وقول بعضهم - يخاطب المحبوب - :

إذا اجتمعت لائى مع الألف التى حكمتك قواما ما يصير فقال لا

وقول نور الدين أبى الحسن المايرقى :

وذى هيف راق العيون انثناؤه بقدر كريان من البان مورك

كتبت إليه هل تجود بزورة فوقع «لا» خوف الرقيب المصدق

فأيقنت من «لا» بالعناق تفاؤلا كما اعتنقت «لا» ثم لم تتفرق

ويقول المقرئ<sup>(١)</sup> : وهذا أحسن من قول ذى القرنين بن حمدان :

إنى لأحسد «لا» فى أحرف الصحف إذا رأيت اعتناق اللام والألف

وما أظنهما طال اعتناقهما - إلا لما لقيا من لوعة الأسف

وفى رواية :

إلا لما لقيا من شدة الشغف<sup>(٢)</sup>

وهو عندى أفضل ، لأنه ليس من الضرورى أن يعتنق الأسيفان ،

ولكن فرط الشغف يحمل على ذلك دائما .

وهو كذلك أحسن من قول القيسرانى :

أستشعر اليأس منها ثم تطمئنى إشارة فى اعتناق اللام والألف

ومن قول الحموى :

بالحب صيرت لائما قامتى أترى يوما تعانق من أعطافك الألفا

لأن التكلف فيهما ظاهر .

وأشهر ما قيل فى هذا المعنى قول أبى بكر بن خارجة :

إنى رأيتك فى نومي تعانقنى كما تعانق لام الكاتب الألفا



وقد قالوا : إنه من المقلوب ، لأن الألف هي التي تعانق اللام .  
ويجوز أن يحتاج له بأن يقال : الألف لا تعانق اللام إلا واللام  
معانقة لها (١) .

#### ١١ - الشككتان .

وتأتیان فی وصف نحول العاشقين مع المعانقة كقول أبي الحسين  
التونسي :

ثم اعتنقنا فترانا معا في ظلمة الليل ونور العتاب  
جسمين صارا في الهوى واحدا كشككتين اختلطا في كتاب  
وقول آخر :

سقيا لعيش مضي والدهر يجمعنا ونحن نحكي عناقا شكل تنوين  
وقول المتنبي :

كم وقفة سجرتك شوقاً بعد ما غري الرقيب بنا واج العاذل (٢)  
دون التعانق ناحلين كشككتي نصب أدقهما وضم الشاكل (٣)

يقول : مع الشوق العارم الذي نحن فيه لم نقدر على المعانقة خشية  
الرقيب والعاذل ، ولكننا وقفنا فقط متقاربين ، فكنا من شدة نحولنا في  
هذه الحال كأننا شككتا نصب في دقتهما وتقاربهما .

وهو من مبالغات المتنبي المذمومة .

والفرق بين قول المتنبي وقول من قال :

كما تعانق لام الكاتب الألفا

---

(١) ديوان المعاني - ١ - ٣٤٣

(٢) سجرتك : ملأتك أو ألهبتك ، ويروي : شجرتك : بمعنى حبستك عن الكلام ،  
ويروي : سحرتك .

(٣) الشاكل : الذي يرسم شكل الكتاب ، وهو فاعل أدق أو ضم على التنازع .



أن الثاني قد أدّى إليك شكلاً مخصوصاً ، لا يتصور في كل واحد من المذكورين ، على الانفراد بوجه وصورة لا تكون مع التفريق .

وأما المتنبي فأراك الشيثين في مكان واحد وشدّد في الفرق بينهما ، وذلك أنه لم يعرض لهيئة العناق ومخالفتها صورة الافتراق ، وإنما عمد إلى المبالغة في فرط النحول ، واقتصر من بيان حال المعانقة على ذكر الضم مطلقاً ، والأول لم يعن بحديث الدقة والنحول ، وإنما عني بأمر الهيئة التي تحصل في العناق خاصة : من انعطاف أحد الشككين على صاحبه ، والتفاف الحبيب بمحبه كما قال الآخر :

لف الصبا بقضيب قضيبا

وأجاد وأصاب الشبه أحسن إصابة ، لأن خطي اللام والالف في «لا» ترى رأسيهما في جهتين ، وتراهما قد تماساً من الوسط ، وهذه هي حال المعتنقين على الأمر المعروف ، فأما قصد المتنبي فليس بصفة عناق على الحقيقة وإنما هو تضام وتلاصق ، وهو بنحو قوله :

ضمته ضمة عدنا بها أحدا فلو رأنا عيون ماخشيناهما

وذهب القاضي الجرجاني في بيت المتنبي : إلى أنه كأنه معنى مفرد غير مأخوذ من قوله :

كما تعانق لام الكاتب الألفا .

ثم يقول : ولئن كان أخفاه كما يقولون فليس عليه من عتب ، لأن التعب في نقله ليس بأقل من التعب في ابتدائه .

ويقول عبد القاهر : ولئن كان المتنبي قد زاد على الأول فليس تلك الزيادة من حيث وضع الشبه على تركيب شككين ، ولكن من جهة أخرى



وهي الإعراق في الوصف بالنيحول ، وجمع ذلك للخلين معا ، ثم إصابة مثال له ونظير من الخط فاعرف ذلك <sup>(١)</sup> .

١٢ — بقيت حروف أخرى يقع بها تشبيه الأعضاء على قلة ، وهي :

( ١ ) عطفة الرأ ، ويشبه بها الشارب .

( ٢ ) السين ، وتشبه بها الثنايا ، والطرة .

( ٣ ) الشين ، وتشبه بها الطرة المضفورة .

( ٤ ) الصاد ، وتشبه بها العين ، والفم .

( ٥ ) العين ، وتشبه بها العين ، والصدغ .

( ٦ ) الميم ، ويشبه بها الفم .

( ٧ ) النقطة ، ويشبه بها الخال .

وما تقدم من هذه التشبيهات تظهر في بعضه المناسبة واضحة معقولة :  
كتشبيه الحاجب بالنون : والعين بالعين : والفم بالميم : والقذ بالآلف :  
والصدغ بالواو : والخال بالنقطة : والثنايا بالسين .  
وبعضها لا نكاد نبتين وجه الشبه فيه : كتشبيه العين بالصاد : والطرة  
المضفورة بالشين مثلا .

وفيما يلي أمثلة عامة تنتظم هذه التشبيهات الأخيرة وما سبقها : وبعضها  
يحتوى على ضربين أو أكثر .  
قال ابن عبد ربه :

وأزهر كالعيوق من كف زهراء	لنا منهما دام وبرم من الداء <sup>(٢)</sup>
ألا بأبي صدغ حكى العين عطفة	وشارب مسك قد حكى عطفة الرأ
فما السحر ما يعزى إلى أرض بابل	ولكن فتور العين من طرف حوراء

(١) أسرار البلاغة — ١٦٣ — ١٦٤

(٢) الأزهر : يريد به الكأس ، والعيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة .



وكف أدارت مذهب اللون أصفرا بمذهبة في راحة الكف صفراء

وقال أبو جعفر الإلبيري على لسان محبوب يعتذر عن ترك السلام :  
لا تعتبن على ترك السلام فقد  
فالسین من طرّتی واللام مع ألف  
وقال بدر الدين بن لؤلؤ :

لك مبسم عذب اللبي يفتّر عن  
وفهم يحاكى الميم إلا أنه

وقال ابن مطروح :

قالت لنا ألف العذار بخده  
في ميم مبسمه شفاء الصادي

وقال آخر :

ياسين طرتها وصاد عيونها  
إني أعوذها بسورة طه

وقال ابن نباتة من أرجوزة :

لأحرف الحسن على خديه خط  
وإن رأيت قده العالی فصف  
والعارض النوني ما أنصفته  
واها له من حرف نون قد عرف  
يأتى بنقط الخال في الإعجام

وقال ابن نقادة :

صنم الجمال فصاده من عينها  
والنون حاجبها بخال ينقط  
والميم فوها فالخروف تألفت  
مكتوبة والصبر عنها يكشط



وقال ذو الوزارتين ابن الحكيم الرُّندى فى غرض كلفه سلطانه القول فيه<sup>(١)</sup> :

ألا واصل مواصلة العذار	ودع عنك التخلُّق بالوقار
قضيـب مائس من فوق دِـعص	تعمم بالدجى فوق النهار
ولاح بخـده ألف ولام	فصار معرِّفاً بين الدرارى <sup>(٢)</sup>
رمانى قاسم والسين صاد	بأشـفار تنوب عن الشِّفار <sup>(٣)</sup>
وقد قُسمت محاسن وجنتيه	على ضـدين من ماء ونار
فذاك الماء من دمعى عليه	وتلك النار من فرط استعارى
ألفت الحب حتى صار طبعاً	فما أحتاج فيه إلى ادِّكار
فمالي عن مذاهبه ذهاب	وفى هناك أشـعارى رشعارى

وقال شمس الدين الضرير الأندلسى :

قد حقّق الحسن نون حاجبه	وخطّ فى الصدغ واوريجان
ومدّ من حسن قده ألفا	أوقف عيني وقوف حيران

وقال أيضاً :

ألف ابن مقلة فى الكتاب كقده	والنون مثل الصدغ فى التحسين
والعين مثل العين لكن هذه	شُـكِـلت بحسن وقاحة ومجون
وعلى الجبين لشعره سين بدت	حار ابن مقلة عند تلك السين
قل للذى قد خط تحت الصدغ من	خـيـلانه نُـقـطا لجلب فتون <sup>(٤)</sup>
بالرجال وبأهلها من فتنة	فى وضع ذاك النقط تحت النون

(١) نفح الطيب - ٢ ص ٥ - ٩ (٢) يعنى بالألف واللام : العذار .

(٣) الأشفار : الأهداب جمع شفر بالضم والفتح .

(٤) الخيلان بالكسر : جمع خال .



وقد أخذ عليه قوله :

شككت بحسن وقاحة ومجون

فإن الوقاحة لا يصح وصفها بالحسن مهما بلغ صاحبها من الجمال ،  
ولو قال : خلاعة ومجون لحف نصيبه من الملام .

وقال بعضهم :

كان عذاره في الخد لام ومبسمه الشهي العذب صاد  
وطرة ليله شعر بهيم فلا عجب إذا سرق الرقاد

وقد ولد الشاعر من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد : لفظة  
« لص ، وولد من معناهما ، ومن معنى تشبيه الطرة بالليل : ذكر سرقة النوم .  
وهذا أغرب توليد سمع (١) .

وقول بعض الوعاظ — وقد رواه لسان الدين بن الخطيب (٢) — وهو  
من البدائع :

عانقت لام صدغها صاد لثي فأرتها المرأة في الخد لصا (٣)  
فاستراحت لما رأت ثم قالت أكتابا أرى ولم أر شخصا (٤)  
قلت بالكشط يمحي قالت اكشط ثم لما ذهبت اكشط قالت  
كان لصا فصار والله فصا  
قلت إن الفصوص تطبع بالثم م على خد كل من كان رخصا (٥)  
وقول شهاب الدين الخيمي :  
إن صدغ الحبيب والفم والعا رض منه ، واو ، وصاد ، ولام (٦)

(١) معاهد التنصيص — ٢ — ٧٧ (٢) نفح الطيب — ٣ — ٣٦٤

(٣) يريد باللام : شعر الصدغ ، وبصاد اللثم : الفم . (٤) الكتاب : الكتابة .

(٥) الرخص : الطرى الغض .

(٦) الواو للصدغ ، والصاد للفم ، والعارض — وهو العذار — للام



هي وصل بين المحاسن لما  
غير أنى أراه وصل وداع  
وقول ابن حجلة المغربي :

حبيب تغالى قدّه حين سُمتّه  
وخطّ عذارى أعجم الخالّ لامه  
وقول ابن سناء الملك :

له فم يمنعه ضيقه  
ولفظه سكران من ريقه  
ما فمه ميم وليكنه  
أن يُخرج اللفظ بتقويم  
فهو لهذا غير مفهوم  
علامة الجزم على الميم

ومن أجمع ما قيل في ذلك قصيدة طويلة لعلاء الدين الشاهينى :

كتب الجمال على صحيفة خده  
فبدا بنونى حاجبيه معرفا  
ثم استمد فمد أسفل صدغه  
فاعجب له إذ همّ ينقُط نقطة  
فتحققت فى حاء حمرة خده  
قسما بفاء فتور جيم جفونه  
وقد عد داود الأنطاكى هذه القصيدة من أبدع ما رأى (٧) .

والحق أنها متكلفة غارقة فى التصنيع ، وقد تراكت فيها الخلى والبهارج  
كما كثر توالى الإضافات فى قوله : « حاء حمرة خده ، و فتور جيم جفونه ، »  
فزادتها ثقلا

وإن كان فيها شيء طريف فهو محاولة الشاعر أن يرسم صورة تسودها



الوحدة والانسجام لوجه جميل قسيم وسيم ، تأنقت الطبيعة في إبداعه فجاء تحفة من التحف !

وحسن منه أن يذكر : أن الجمال أراد أن ينقط نون الحاجب ، لأن من حق النون أن تكون لها نقطة ، ولكن النقطة وقعت على الخد فاستحالت خالا !

فهذا تعليل دقيق جميل لوجود الخال على الخد ، وإن شئت فقل مغالطة رائعة ؟

ولا شك أن هذه التشبيهات تتفاوت تفاوتاً كبيراً بمقدار حظ قائلها من القدرة على النظم ، ومبلغ نصيبهم من مواتاة الطبع وتوهج الخيال ، ولكن قيمتها في دلالاتها على مبلغ ثقافة الشعراء العلمية وفطنتهم إلى خصائص الحروف في استعمالها ، واستخدام صورها في البيان ، وتطويع الشعر لذلك .

وقد وقع هذا النوع من التشبيه أيضاً في الرسائل الإخوانية كثيراً ، ولا يقل طرافة عن سابقه .

فمن النثر : ما جاء في تضاعيف رسالة بعث بها القاضي الفاضل إلى موفق الدين خالد القيرواني - وقد وقف له على رسالة كتبها بالذهب - ... فمن ألفاتها ألقت الهمزات غصونها حمائم ، ومن لامات بعدها يحسدها الحب على عناق قدودها النواعم ، ومن صادات نغمت غلة القلوب الصوادي والعيون الخوائم ، ومن واوات ذكرت ما في واوات الأصداء من العطفات ومن ميمات دنت الأفواه من ثغرها لتناول جنى الرشقات ، ومن سيدات كأنها الشيايا في تلك الثغور ، ومن دالات دأت على الطاعة لكانتها بإحناء الظهور ، ومن جيمات كالمناسر<sup>(١)</sup> تصيد القلوب التي تخفق لروعات

(١) المناسر : المنافير جمع مفسر بالفتح والكسر .



الاستحسان كالطيور ، وفيها ما تشتهى الأنفس وتلذ الأعين ، و« خالد »  
فيها خالد ، وتحيته المحامد ، ويده تضرب في ذهب ذائب ، والناس تضرب  
في حديد بارد<sup>(٢)</sup> .

وقد جمعت هذه الرسالة خصائص القاضى الفاضل في كتابته وكتابة  
عصره ، كما جمعت معظم التشبيهات الماثورة في الحروف ، وتشبيه الهمزات  
بالحمائم تشبيه جيد صائب ، فالمشابهة بينهما على طرافتها وغرابتها ودقة التفتن  
إليها ، يشهد البصر بتمام المطابقة فيها ، فهو من التشبيه المنظور والقريب البعيد .  
ومما جاء من الشعر في وصف كتاب قول المقرئ :

رأينا به روضا تدبج وشيه إذا جاد من تلك الأيادي غنائم  
به ألفات كالغصون وقد علا عليها من الهمز المطلّ حمائم  
وقوله أيضا في وصف كتاب - وقد وقع فيه النظم خلال كلام نثرى - :  
ولم تر عيناى من قبله كتابا حوى بعض ما قد حوى  
كأن المباسم مياته ولا ماته الصدغ لما القوى  
وأعينه كعيون الحسان تغازلنا عند ذكر الهوى  
كتاب ذكرت بالفاظه عهدا زكت بالحنى واللوى  
ويلاحظ أن التشبيهات قد وقعت مقلوبة بخلاف ما مر منها ، كما  
يلاحظ أن الشعر بعيد عن التكلف رقيق النسيج سلس الحاشية .  
وقول ابن حجلة المغربي في تقرّظ قصيدة مدح بها السلطان ، الناصر  
حسن ، :

فكم ألف بها أمسى رشيق القامة النضره  
وكم شين بحاشية الكتاب م تخالها طوره



وعين أصبحت في العين م مثل الدين والنقره  
وقوله أيضا - يقرظ كتابا ورد عليه من بعض أصحابه في مفتتح رسالة - :

ورافاني كتاب منك عال حكمت ألفاظه السهر الطوالا  
وكم شاهدت من خط ولكن مثالك ما رأيت له مثالا  
لئن أمست به ألفات قطع فكم وصل به ضمن الوصالا  
وكم ألف به للوصل لاحت كغصن البان لنا واعتدالا  
تعانق لامها طورا يميننا وآونة تعانقها شمالا (١)  
ظننت اللام فيه عذار خد وخلت النقط فوق الخد خالا  
وأمسى طالع الطامات فيه يعلم لينه الغصن الكمالا  
والشاهد في البيت السادس حيث شبه اللام بالعذار ، والنقط بالحال .  
وقول أبي الصلت الأندلسي :

ورد الكتاب فكان عند وروده عيداً ولكن هيج الأشواقا  
نوناته قد عانقت صاداته كعناق مشتاق يخاف فراقا  
فكأنما النونات فيه أهلة وكانما صاداته أحداقا  
والشاهد في البيت الأخير .

ومن الإخوانيات الطريفة : أن جمال الدين بن مطروح كتب إلى  
بهاء الدين زهير ، يطلب منه درج «فرخ» ورق وكانت قد ضاقت به الحال :

أفلاست يا سيدي من الورق نجد بدرج كعرضك اليق (٢)  
وإن أتى بالمداد مقترنا فمرحبا بالخدود والحدق  
فكتب إليه البهاء :

مولاي سیرت ما رسمت به وهو يسير المداد والورق

(١) الضمير في تعانق للألف .

(٢) الرق بفتح هـ : المديد البياض .

(٢) ديوان البهاء زهير - ١٤١



وعزّ عندى تسيير ذاك وقد شبهته بالحدود والحدق  
وقد ذكر ابن خلكان : أنهما كانا بالمشرق (١) .  
وهذا النمط من التشبيهات يكاد يكون معدوماً في شعر العصرين .  
وقد وقع منه التشبيه بالحروف في بعض شعر شوقي كقوله في الهمزية  
النبوية :

نُظِمت أسامي الرسل فهي صحيفة      في اللوح واسم محمد طُغْرَامُ  
اسم الجلالة في بديع حروفه      ألف هنالك واسم طه الباء  
وقوله :

في كل منطقة حواشي نورها      نون وأنت النقطة الزهراء  
وقوله من أندلسية :

مرمر تسبح النواظر فيه      ويطول المدى عليها فتري  
وسوار كأنها في استواء      ألغات الوزير في عرض طرس (٢)  
وشبه البارودي بالحروف إجمالاً في قوله :

غادر الندى بالجيزة الفيحاء      واحد الصبوح بنغمة الورقاء  
والمح بطرفك ما وحته يد الصبا      فوق الغدير تجد حروف هجاء (٣)  
من كل حرف فيه معنى صبرة      تتلو به الورقاء لحن غناء  
ومن قول المؤلف (٤) في وصف رسالة اصدیق جاء فيها تشبيه أدوات  
الكتابة ببعض سمات الحسن :

أتحف الخِلُّ خله بكتاب      نزل القابُ من لَماءٍ وعلاً  
قد حكى طرسه محيا وضيئاً      وحكى خطه عذاراً تدلّ  
وحكى نقشه سواد عيون      لسواد القلوب سددن نبلاً (٥)

(١) وفيات الأعيان ٢-٣٤٣ (٢) السوارى : العمدة : والوزير : ابن بركة .

(٣) الوحي : الكتابة . (٤) ألحان الأصيل ٥٠ .

(٥) النفس : الكسر : الخبر .



## الفصل الحادي عشر

### التشبيهات العقم

الأصل في العقم بضم فسكون : عدم قبول الحمل .  
تقول : امرأة عقيم ، ورجل عقيم : لا يولد لها .  
ومن المستعار : ريح عقيم : غير لاقح ، والدنيا عقيم : لا ترد على صاحبها خيراً ، والملك عقيم : لا ينفع فيه نسب ، لأنه يقتل في طلبه الأب والولد والأخ والعم ، وعقل عقيم : لا ينفع صاحبه ؛ وفي الحديث المرفوع «العقل : عقلان ، فأما عقل صاحب الدنيا فعقيم ، وأما عقل صاحب الآخرة فثمر»<sup>(١)</sup> .

ومن التشبيهات الممتازة نوع يسمى : التشبيهات العقم جمع عقيم .  
وقد وصفها ابن رشيق بأنها : التي لم يسبق إليها ، ولا تعدى أحد بعدهم عليها<sup>(٢)</sup> .

وقد جعلوا اشتقاقها من الريح العقيم خاصة ، وهي التي لا تلقح شجرة ولا تُنتج ثمرة<sup>(٣)</sup> .

وكان الأولى أن يكون اشتقاقها من الرحم العقيم ؛ لأنها الحقيقة والأصل ، وعقم الريح مستعار منها .

ومهما يكن فالمناسبة واضحة ، فهذه التشبيهات لا تعقب ولداً ولا تُؤتي ثمرة لعدم استطاعة محاكاتها ، فكأنها بترام لا خلف لها ولا عقب ، فلما كانت

(١) الأساس والقاموس مادة عقم . (٢) العمدة - ١ - ٢٠٢

(٣) المصدر السابق - ١ - ٢٠٢ - خزانة الأدب للبغدادى - ١ - ١٢٤



كذلك ، وُصفت بالعقم على التشبيه بالريح العقيم كما شاءوا ، أو الرحم العقيم أو المرأة العقيم أو الرجل العقيم إذا شئت .

ولا غرو في هذه التسمية ، فكثير من التشبيهات يصح وصفه بأنه : ولود ؛ كتشبيه الجاهل بالثور والحمار ، والجميل بالشمس والقمر ، والشجاع بالأسد ، والسخى بالغيث والبحر والريح ، والعزيم بالسيف والسيول ؛ ونحو ذلك ، لأن الناس كلهم ، الفصيح والأعجم والعالم والجاهل فيه سواء ، لأننا نجده في مغارس الطباع ومنابت الأفكار ، فهو مولود من عدة بطون ؛ وموصول النسب بكثير من الأرحام .

بل وجد أن بعض الكلمات كالأسد واليد تكثر فيهما الاستعارة في جميع اللغات (١) .

وهناك ضرب آخر كان مخترعاً ثم كثر حتى استوى فيه الناس ، وتواطأ عليه الشعراء آخراً عن أول ؛ نحو قولهم في صفة الخد : كالورد ، وفي القد كالفضن ، وفي العين : كعين المهاة من الوحش ، وفي العنق : كعنق الظبي وكإبريق الفضة أو الذهب .

فهذا النوع وما ناسبه قد كان مخترعاً ثم تساوى الناس فيه ، إلا أن يولد أحدهم منهم فيه زيادة أو ينخص بقرينة فيستوجب بها الانفراد من بينهم .

ومثل ذلك تشبيه العزم بهبوب الريح ، والذكا بشواظ النار (٢) . فأعمال هذه التشبيهات لا توصف بالعقم ، لأنه يمكن الإتيان بأمثالها والحذو على منوالها .

(١) تيارات أدبية بين الشرق والغرب - ٩٩

(٢) العمدة - ٩ - ٧٩ - ٨٠



ومن أوائل التشبيهات العقم قول امرئ القيس :

له أبطالا ظي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل

شبه خاصرني فرسه : بخاصرني الفرس في الضمور ، وساقيه بساق  
النعامة في الانتصاب والطول ، وعدوه بإرخاء الذئب — وهو نوع من العدو  
يشبه خيب الدواب — وتقريبه — وهو وضع الرجلين موضع اليدين في  
العدو — بتقريب التفل ، وهو ولد الثعلب .

فجمع أربع تشبيهات في بيت واحد .

وفيه يقول خلف الأحمر (١) : لم أر أجمع من بيت امرئ القيس :

له أبطالا ظي . . . . .

\* \* \*

وقوله أيضاً :

له قُصْرِيَا عَيْرٌ وساقا نعامة كفحل الهجان القيصري العضوض (٢)

ويقول فيه ابن قتيبة (٣) : وقد تبعه الناس في هذا الوصف وأخذوه  
ولم يجتمع لهم ما اجتمع له في بيت واحد ، وكان أشدهم إخفاء لسرقة :  
الشاعر ابن المعتز في قوله :

له قُصْرِيَا رُمٌ وساقا حمامة وسالفتا هيق من الربد أربد (٤)

وما جاء على نهج امرئ القيس ما نسب إلى يزيد بن معاوية :

لها حُكْمُ لقمان وصورة يوسف ونعمة داود وعفصة مريم  
ولي سقم أيوب وغربة يونس وأحزان يعقوب ووحشة آدم

(١) البيان والتبيين ٣ - ٢٥٣

(٢) القصريان : ضلعان تليان النرقوتين ، والهجان من الإبل : الأبيض الكريم .

(٣) الشعر والشعراء ٥ - ٤ (٤) الهيق : الظلم ، والربد : الغبر .



وقول أبي الحسن الموصى في مدح الطائع العباسي :

وإذا أمير المؤمنين أضاف لي      أملى نزلت على الجواد المفضل  
رأى الرشيد وهيبة المنصور في      حسن الأمين ونعمة المتوكل  
وقول الثعالبي :

لقناؤك يحكى قضاء الخوائج      ووجهك للغم والهم فارج  
وفيك لنا فن أربع      تسلى علينا سيوف الخوارج  
لحافظ الظباء ومشى القبايج      وطوق الحمام وحسن الدوارج (١)

وقول العدار في الضب - وكان يراه دائما على مائدة أيوب بن جعفر -

وكان لا يغيب أكل الضباب :

له كف إنسان وخاق عظاية      وكالقرود والخنازير في المسخ والغضب (٢)  
يشير في الشطر الثاني إلى قوله - تعالى - : « قل هل أنبئكم بشر من  
ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضبه عليه وجعل منهم الفرقة والخنازير  
وعبد الطاغوت » (٣)

وقول ابن حمديس الصقلي في وصف الزرافة :

لها نخزا قَرْم وأظلاف قرهب      وناظرتا رُثم وهامة أيل (٤)  
وقول شاعر في هجاء محمد بن أحمد بن الحسين بن حرب - وكان موكلًا  
ببيع الغلات ببغداد بأمر المعتمد - :

ألا تعسا ونكسا لابن حرب      وضرباً بالمقارع أي ضرب (٥)

(١) القبايج : الحجل ، والدوارج : ضرب من الطيور جميل المنظر ملون الريش .

(٢) العظاية بالفتح : دويبة تشبه سام أبرص .

(٣) هامش الحيوان - ٦ - ٧٨ للأستاذ عبد السلام هارون .

(٤) القرم : الفجل يترك « للطلاوة » والقرهب : السور المسن أو الكبير الضخم ،

والأيل بضم الهمزة وكسر هاء وفتح الياء المشددة : التيس الجبلي .

(٥) نكسا بالضم ويفتح ازدواجا .



لقد ملئت به بغداد جورا      وأفرغ بغضه في كل قلب  
تبارك من حباه بوجه قرد      ونسكة ضيغم وطباع كلب<sup>(١)</sup>  
وعيني فأرة ولسان ثور      وخلقه قنفذ وجبين دب  
ومن التشبيهات العقيم قول النابغة :

تراهن خلف القوم خزراً عيونها      جلوس الشيوخ في ثياب المرانب  
يصف النصور بضيق العيون وصغرها ، ويشبهها وهي جائمة بشيوخ  
جلوس في ثياب خلط غزلها بوبر الأرانب .  
ولم يسلم لهم ابن رشيقي بأن هذا التشبيه عقيم ، وعده من قول طرفة  
يصف عقابا :

وعجزاه دفت بالجناح كأنها      مع الصبح شيخ في بحاد مقنّع<sup>(٢)</sup>  
وهو ينظر أيضا إلى قول امرئ القيس :  
كأن ثيرا في عرائن وبه      كبير أناس في بحاد مزمل

\*\*\*

ومنها قول النابغة المشهور :  
فإنك كالليل الذي هو مدركي      وإن خلت أن المتأى عنك واسع  
وفيه يقول الأصمعي : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كان زهير  
يمدح السوق ، ولو ضرب أسفل قدميه مائة مرة على أن يقول مثل  
قول النابغة :

فإنك كالليل . . .

ماقاله ، ومالا يقوله مثل زهير فإن غيره أبعد منه<sup>(٣)</sup> .

(١) النكة : ريع الفم ، والأسد يوصف بالبخر كالصقر .

(٢) تدف : تدنو من الأرض حين تنفض . (٣) ديوان المعاني ١ - ١٧ - ١٨



ويقول ابن قتيبة : وهو مما سبق إليه ولم يتنازعه (١) .

\*\*\*

ومنها قول زهير - وقد شبه فيه المرأة بثلاثة أوصاف في بيت واحد - :

تنازعت المهـا شـبها ودرُّ البحور وشا كمت فيها الظباء (٢)

فأما ما فُويق العقد منها فمن أدماء مرتعها الخلاء (٣)

وأما المقلتان فمن مهاة ولدر الملاحاة والصفاء

وقد أعجب النقاد بتقسيم زهير هذا حتى قال بعض الرواة (٤) : لو أن

زهيراً نظر في رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري ما زاد على

ما قال (٥) .

وقد قلده الشعراء في هذا التقسيم فقال البحترى :

وفي القهوة أشكال من الساقى وألوان

حباب مثلها يضحك عنه وهو جـذلان

وسكر مثلها أسكر طرف منه وسنان

وطعم الريق إذ جا د به والصب هيمان

لنا من كفه راح ومن رياه ريحان

وقول ديك الجن :

وغرير يقضى بحكمين فى الرا ح بجور ، وفى الهوى بمُحال

للنقا ردفه وللخوط ما حُلِّم لنا وجيده للغزال (٦)

(٢) شا كمت : شابهه وشاكله .

(١) الشعر والشعراء - ٨٠

(٤) الشعر والشعراء - ٥٠

(٣) الأدماء : الظبية المشربة بياضاً .

(٥) يشير إلى رسالة عمر في القضاء وهى من مفاخر التشريع الإسلامى الخالد .

(٦) النقا : القطعة من الرمل المنقادة المحدودة .



فعلت مقلته بالصب ما تفعل م جدوى الأمير بالأموال  
وقول سيف الدين المشد :

وغادة أعشق من أجلها بدر الدجى والظبا والخيزران  
لأن ذا يشبهها بهجة وذاك الحاظا وهذا بنان

وقول كشاجم :

البدر لا يغنيك عنها إذا غابت وتغنيك عن البدر  
في فمها مسك ومشمولة صرف ومنظوم من الدر  
فالمسك للنكحة والخمر للريقة م واللاؤى للنفس

وفي قول كشاجم يقول العسكري : قد جمع تقسيما صحيحا ولم  
يترك مزيدا<sup>(١)</sup>.

\*\*\*

ومنها قول عنتره في وصف ذباب الروض :

وخلا الذباب بها فليس يبارح غرداً كفعل الشارب المترنم  
هرجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجزم

الأجزم : المقطوع اليدين ، والمكب : المقبل على الشيء

وترتيب الكلام : قدح المكب الأجزم على الزناد .

شبه الذباب - إذا كان واقعا ثم حك إحدى يديه بالأخرى - برجل

مقطوع اليدين ، يقدح بعودين .

ومتى سقط الذباب بفعل ذلك ، لأنه أبدا يحك إحدى يديه بالأخرى

كأنه يقدح بعود من مرخ<sup>(٢)</sup> أو عفار أو عرجون ، أو غير ذلك مما

يقدح به .

(١) ديوان المماني - ١ - ٢٤٠

(٢) المرح والعفار بفتح الميم والعين : شجر شديد الاحتراف .



وقد نوه النقاد بهذا التشبيه ، وبالفحوا في الإشادة به إلى درجة الإسراف .  
فقال الجاحظ : قالوا : لم يدع الأول للآخر معنى شريفا ولا لفظا بهيا إلا  
أخذه غير بيت عنتره .<sup>(١)</sup>

ويقول : ولا يعلم في الأرض شاعر تقدم في تشبيهه مصيب تام ، أو في  
معنى غريب عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل  
من جاء من الشعراء بعده أو معه — إن هو لم يقدر على لفظه فيسرق بعضه  
أو يدعيه بأسره — فإنه لا بدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكا فيه  
كالمعنى الذي تنازعه الشعراء ، فتختلف ألفاظهم وأعارض أشعارهم ، ولا  
يكون أحد منهم أحق بذلك المعنى من صاحبه ، أو أعلمه بحجده أنه سمي بذلك  
المعنى قط ، ويقول إنه خطر على بالي من غير سماع كما خطر على بال الأول  
هذا إذا قرعوه به ، إلا ما كان من عنتره في صفة الدياب ، فإنه وصفه فأجاد  
وصفه فتجأى معناه جميع الشعراء فلم يعرضوا له ، ولقد عرض له بعض  
المحدثين من كان يحسن القول ، فبلغ من استكراهه لذلك المعنى ومن اضطرابه  
فيه ، أنه صار دليلا على سوء طبعه في الشعر .

ثم يقول : ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاء غير شعر عنتره<sup>(٢)</sup> .  
ويقول في موضع آخر : لو أن امرأ القيس عرض في هذا المعنى لعنتره  
لافتضح<sup>(٣)</sup> .

ويقول ابن عمر البغدادي : وهذا من عجائب التشبيه ، يقال : إنه لم يقل  
أحد في معناه مثله<sup>(٤)</sup> .

ويقول العباسي : ولا يعرف للمتقدمين معنى شريف إلا نازعهم إياه

(١) البيان والتبيين — ٣ — ١٩٥ (٢) الحيوان — ٣ — ٩٦ و السامى «

(٣) المصدر السابق — ٣ — ٣٩ (٤) خزنة الأدب للبغدادي — ١ — ١٢٥



المتأخرون ، وطلبوا الشركة فيه إلا قول عنتره . . . . . وما زال الشعراء وجهابذة النقد يرون أن قول عنتره أوحدهم ويقيم فذ ، وأنه من المعاني العظم التي لا تولد<sup>(١)</sup> .

ومع هذا فينبغي ألا نتابعهم على هذا الغلو ونتلقى أقوالهم بالحذر ، فقد ظهر أن البيت معيب وأنه مبني على أساس منهار ، والفضل في ذلك للتحقيق العلمي ؛ فقد ذكر المغفور له أحمد تيمور باشا نقلا عن مجلة البيان لليازجي : أن صوت البعوض والذباب والنحل وأشباهاها يحدث من اهتزاز أجنحتها في الهواء على حد ما يكون من أجنحة الحمام .

وعلى هذا ففي قول عنتره تناقض ظاهر ؛ لأنه لا يمكن أن يحك الذباب إحدى ذراعيه بالأخرى إلا وهو واقع ، ومتى كان واقعاً تكون أجنحته ساكنة فلا يمكن أن يصوت ، ولكن عنتره توهم أن صوته من حنجرتة فلم يمتنع عنده الجمع بين هاتين الحالتين . انتهى بمعناه وأكثر لفظه .<sup>(٢)</sup>

وعنتره معذور في ذلك ، فإن هذه من المسائل العلمية الدقيقة التي لا تدخل تحت ملاحظته ، ويكفي أنه مضت القرون على ذلك ولم ينتبه إلى هذا الخطأ إلا في العصر الحديث .

وللغزالي رأى في الذباب وعمل ذراعيه لا يخلو من طرافة ولا ندري مبلغ صحته ؛ يقول : خلق الله العين طبقات لطيفة ، وجعل الأجفان غطاء ملاصقا لها بأهداب طويلة ؛ فانفتح الأجفان وانطباقها تتمسح به الحديقة من دقيق الهباء الذي يخالط الهواء ، ويخرج بشعاع البصر من بين الأهداب وهو كالشبكة عليها بحكمة باهرة ، ولما كان الذباب لا أجفان له تراه يتمسح

(١) معاهد التنصيص - ٢ - ١٢٢ - ١٢٣

(٢) أوهم شعراء العرب - ٣٧



بيديه عيفيه ثم يحكمهما لينزل ما تلبد بهما مما فضل مع الهوام وهذه حكمة بالغة (١).

وقد اندفع الشعراء وراء عنتره يقلدونه في بيته تقليداً أعمى تأثراً بما ذاع له من حسن الصيت ونباهة الشأن .

فشبه بعضهم من يفرك يديه ندامة بفعل الذباب وزاده اللطم فقال :

فعلُ الأديب إذا خلا بهمومه      فعل الذباب يرِن عند فراغه  
فتراه يفرك راحتيه ندامة      منه ويتبعها بلطم دماغه

وقول السلامي في وصف زنبار :

إذا حكَّ أعلى رأسه فكأنما      بسالفقيه من يديه جوامع (٢)  
وتعرض حازم في مقصورته لتشبيهه عنتره فقال :

ألقى ذراعاً فوق أخرى وحكى      تكلف الأجذم في قطع السنا  
كأنما النور الذي يفرعه      مقتدحا لزندة سقط ورى (٣)

فقصر عنه التقصير البين ، وأخل بذكر الإكباب والحك — ولها في تشبيهه عنتره موقع بديع — هذا إلى التكلف البادى على قوله :

تكلف الأجذم في قطع السنا

ثم رام أن يزيد فيه فقال .

كأنما النور . . . . .

ويرى العباسي — وما رآه هو الحق — : أن المعانى الشهيرة البارعة كتشبيهه عنتره هذا ، لا ينبغي أن يتعرض لأخذها متعرض إلا بالزيادة البينة البديعة الموقع ، والعبارة الناصعة السهلة حتى يتبين الفضل للثاني على

(١) طراز المجالس — ٢٤٨ .

(٢) الساقفة : ناحية مقدم العنق ، والجوامع : الأغلال .

(٣) يفرعه : يملوه ، والسقط مثلث السين : ما يقط من النار عند الاقتداح .



الأول ، والشعوف الآخذ على المأخوذ منه ، وإلا كان فاضحا لنفسه وماسخا  
للمعنى الذى تعرض لأخذه (١) .

وقد أحجم بعض الشعراء عن تقليد البيت الثانى الذى هو محل الشاهد  
لعسر أخذه ، وقلدوا البيت الأول الذى يصف ترنيم الذباب ، فقال  
ابن الرومى من قطعة رائعة :

إذا ارتفعت شمس الأصيل ونفّضت  
على الأفق الغرب ورسا مَزَعَزعا  
وقد ضربت فى خضرة الروض صفرة  
من الشمس فاخضر اخضرارا مشعشعا  
وظلت عيون الروض تخضّل بالندى  
كما اغرورقت عين الشجى لتدمعا  
فكانت أرائين الذباب هنالك  
على شدّوات الطير ضربا موقعا  
وفى ذلك يقول الحصرى (٢) : وقول عنتره فى وصف الذباب أوحده  
فرد ويقيم قد ، وقد تعاق ابن الرومى بذيله وزاد معنى فى قوله :  
إذا ارتفعت شمس الأصيل . . . . .

وقال عبد المجيد بن عبدون :  
ساروا ومسك الدياجى غير منهوب  
على ربا لم يزل شادى الذباب بها  
وقال سعيد البطليوسى :  
كان أهازيج الذباب أساقف  
لها من أزهير الرياض محاريب



ومن التشبيهات العقم قول عنتره أيضا في صفة الغراب :  
 خرق الجناح كأن لحى رأسه      جلمان بالأخبار هش مولع  
 شبهه لحيه بالجلدين وهما آلة الجز .

...

وقول النمر بن تولب :

كعاب عليها أوأو وزبرجد      ونظم كأجواز الجراد المفصل (١)  
 قال العسكري : كأجواز الجراد غريب بديع لم يسبق إليه ولا أعرف  
 واحداً أخذه (٢) .

...

وقول الخطيئة في الناقة :

ترى بين لحيتها إذا ما ترغمت      لغاما كبيت العنكبوت الممدد  
 ترغمت : غضبت ، واللغام : الزبد .  
 يشبه الزبد الذي يخرج من فمها بنسيج العنكبوت .

...

وقال الراعي — يصف جمودة الرأس — :

جدلا أسك كأن فروة رأسه      بذرت فأنبت جانبها فلفلا (٣)

...

وقول بشر بن أبي خازم — يصف عروق الأرطى (٤) وقد كشفها

ثور — :

يُشير ويُبدى عن عروق كأنها      أعنسة خراز تخط وتنشر

...

(١) الأجواز : الأوساط . (٢) ديوان المعاني — ١ — ٢٥٥

(٣) الجدل ككتف وعدل : الصلب ، والأسك : الصغير الأذنين .

(٤) الأرطى : نوع من الشجر .



وقول الطرماح في الظليم :

مجتاب شملة برجد ، لسراته قدر وأسلم ما سواه البرجد<sup>(١)</sup>

...

وقول مضر بن ربيعي في صفة رأس النعامة :

سكاه عارية الأخادع رأسها مثل المدق وأنفها كالسررد<sup>(٢)</sup>

...

وقول ذي الرمة في وصف الليل :

وليل كجلباب العروس قطعته بأربعة والشخص في العين واحد  
أحم علافي وأبيض صارم وأعيس تمهرى وأروع ماجد  
وأنشدهما الغرناطي<sup>(٣)</sup> :

وليل كائنات الرويزي جيته .....

والرويزي : الطيلسان كما جاء في القاموس نقلا عن الصاغاني .

وفي اللسان : أراد ثوبا أخضر من ثيابهم شبه سواد الليل به .

وفي الأساس : الرويزي : ضرب من الطيالة تصغير رازي منسوب إلى الرى على غير قياس .

والأحم : الأسود ؛ يعنى به الرجل ، وعلافي : منسوب إلى علاف ككتاب : وهو رجل تنسب إليه الرجال لأنه أول من عملها : والأعيس : بعيره الأبيض ، والمهرى بفتح فسكون : منسوب إلى تمهرة بن حيدان حي من اليمن ، والأروع : الماجد يكنى به عن نفسه .

وجلباب العروس : أخضر اللون : والعرب تعبر عن السواد بالخنصرة

قال تعالى : « مذهبهم » .....

(١) السرات : الظهر ، والبرجد بالضم : كساء غليظ .

(٢) المدق بكسر الميم وفتح الدال وكدهد : آلة الدق .

(٣) شرح مقصورة حازم - ١ - ٣٥



قيل في تفسيرها : خضراوان من الرى سوداوان ؛ ويقال : إن العراق  
لأنما سمي سوادا بلون السعف الذى فى النخل ومائه .

ويقول الجاحظ<sup>(١)</sup> : إنه لا يريد لون الجلباب ولكن يريد سبوغه .  
وقد أخذه ابن المعتز ونقله إلى ما هو أظرف منه وهو قوله :  
وليل كجلباب الشباب قطعته بفتيان صدق يملكون الأمانيا

...

وقول عدى بن الرقاع :  
تُزجى أغنَّ كان إبرة رَوْقه قلم أصاب من الدواة مدادها  
وقد سبقت قصته مع جرير .

...

وقول مجنون ليلى<sup>(٢)</sup> :  
كان القلب ليلة قيل يُغدى بليلى العامرية أو يُراح  
قطاة عزها شرك فبات تعالجه وقد غلق الجناح  
عزها : غلبها ، وغلق بالكسر : من الغلق بالفتح وهو الحبس .  
ويروى : تجاذبه بدل تعالجه .

والبيت تصوير رائع لقلب العاشق الواله فى حالة التئزى والاضطراب  
وفيه يقول المبرد : وقد قال الشعراء قبله وبعده فلم يبلغوا هذا  
المقدار<sup>(٣)</sup> .

...

---

(١) الحيوان - ٣ - ٧٧ .  
(٢) نسبهما العسكري لقيس لبنى فى دهران المعاني - ١ - ٢٧٠ .  
(٣) الكامل « شرح المصنفى » - ٦ - ١٥٤ .



وقول بشار :

كأنما النقع يوماً فوق رؤوسهم      سقف كواكبه البيض المباتير  
وهذا المعنى كما يقول الجاحظ<sup>(١)</sup> : غلب عليه بشار كما غلب عنتره  
على قوله :

وخلا الذباب والبيتين ،

وقد أورد ابن قتيبة<sup>(٢)</sup> البيت هكذا :

تبنى سنا بكها من فوق رؤوسهم      سقفا كواكبه البيض المباتير  
ونسبه إلى العتاني ، وقال : إنه أخذه من قول بشار المشهور :  
كان مثار النقع فوق رموسنا      وأصيافنا ليل تهاوى كواكبه

\*\*\*

وقول ابن الرومي في خباز رقاق - وقد أنشدهما أبو عمرو والنميرى<sup>(٣)</sup> :

ما أنس لا أنس خبازاً مررت به      يدحو الرقاقة وشكّ اللبح بالبصر  
ما بين رؤيتها في كفه كرة      وبين رؤيتها قوراء كالقمر  
إلا بمقدار ما تشدّاح دائرة      في صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

□

وقوله في أحذب<sup>(٤)</sup> :

قصرت أخادعه وغاز قدّاله      فكأنه مترقب أن يصفعا  
وكأنه قد ذاق أول صفحة      وأحس ثانية لها فتجمعا  
وابن الرومي في وصف خباز ارقاق يجري على عادته في الاستقصاء  
والاستياب والشمول ؛ فهو يحلو علينا صورة كاملة النواحي ، تامة الأضواء

(١) الحيران - ٣ - ٢٩ - الساسى .

(٢) الشعر والشعراء - ٤٧٩ (٣) المواهب الفتحية - ٧ - ٩٣

(٤) في معاهد التنصيص - ١ - ١٧١ : أنهما لعبد الله بن النطاح .



والظلال ، متدرجة في استيفاء أجزائها مع الترتيب والتفسيق ، فمن قطعة  
عجين إلى تسكويرها إلى تقويرها .

ثم زاد الصورة وضوحا بما مثل لها في البيت الأخير من تمثيل حسي ،  
فلو أن إنسانا رسم الحياز والرقاقة ما زادنا معرفة بهما أكثر من وصف  
ابن الرومي لها .

فهذا تشبيهه عجيب يوشك أن يكون قطعة من الشاشة البيضاء لما فيه  
من الحياة النابضة النامية والحركات المختلفة .

وتشبيهه الأحذب لا يقل عن سابقه طرافة ولا حيوية ولا دقة ، فهو  
يصور الأحذب تصويراً شاملاً جامعاً في قصر عنقه وتطامن مؤخر رأسه  
ولم يكفه ذلك حتى التمس له علة من ترقب الصفع ، ومن يخش الصفع يصر  
إلى هذه الحال الزرية !

ثم وصف مرة أخرى شكل بدنه في تقوسه وتقارب رأسه من رجليه  
والتمس لذلك علة طريفة أيضاً ، وهي ترقب الصفعة الثانية بعد أن ذاق  
حرارة الأولى !

وأحسب أن هذا وصف يربى على الرسم والتصوير والنحت في وضوحه  
وبيانه ، لأنه لا يقف عند رسم الأشكال ، بل يعلل وجودها على هذه  
الصفة .

\*\*\*

وقول سيف الدولة في قوس قزح :

قال أبو الحسن الإفريقي : أنشدني سيف الدولة لنفسه - وهو أحسن  
ما قيل في وصفها - :

وراق صبيح للصباح دعوته      فقام وفي أجفانه سنة الغمض  
يطوف بكاسات العقار كأنجم      فن بين منقض علينا ومنقض



وقد نشرت أبدى الجنوب مطارفا على الجو دُكنا والحواشي على الأرض (١)  
 يطرزها قوس السحاب بأحر على أخضر في أصفر إثر مبيض  
 كأذيال خود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض  
 وقد قفني على آثاره كثير من الشعراء فأجادوا ولكنهم لم يلحقوا به .  
 قال العلوي الجمالي :

فشبهت سرعة أيامهم بسرعة قوس يسمى قزح  
 تلون معترضا في السماء فما تم ذلك حتى قزح

وقال الوأواء الدمشقي :

أحين يوم ترى قوس السماء به والشمس مسفرة والبرق خلّاس  
 كأنها قوس رام والبروق لها رشق السهام وعين الشمس برّجاس

وقال ظاهر الدين الحريري من شعراء الخريدة :

أست ترى الجو مستعبرا يضاحكه برقه الخلب  
 وقد بات من قزح قوسه بعيدا وتحسبه يقرب  
 كطاق عقيق وفير وزج وبينهما آخر مذهب

وقال سعيد بن حميد القيرواني :

أما ترى القوس في الغمام وقد نطق فيه الهوام نوارا  
 حكى الطواويس وهي جاعلة أذنانها للمياه أستارا  
 أخضر في أحر على يقق على وشاح السحاب قد دارا  
 كأنما المزن وهي راهبة شدت على الأفق منه زئارا

(١) خص ريج الجنوب لأنها تجمع السحاب .



وقال عبد المحسن الصوري :

تأمل الجو ترى والياً      قد ولى العهد على السحب  
سار وقوس الله تاج له      ركضا من الشرق إلى الغرب  
وقوس قزح يشبه بها ما يقل لبسه ولا يدوم مكشه ، وقد سميت بذلك  
لتلوونها من القزحة بالضم وهي الطريقة من صفرة وحمرة وخضرة ، أو  
لارتفاعها من قزح بمعنى ارتفاع ، أو قزح اسم ملك موكل بالسحاب ، أو  
اسم ملك من ملوك العجم أضيفت قوس إلى أحدهما<sup>(١)</sup> ، أو هو قزح بالعين  
أي قوس السحاب .

ويلاحظ مما تقدم أن سيف الدولة سماها : قوس السحاب ، والعلوى  
سماها : قوس قزح ، والأواء سماها : قوس السماء ، والقيروان سماها :  
قوس الغمام ، والصوري سماها : قوس الله .

وفي الحديث : « لا تقولوا : قوس قزح ولكن قولوا : قوس الله  
فإن قزح من أسماء الشياطين »<sup>(٢)</sup> .  
وفي رواية : أن ذلك لابن عباس<sup>(٣)</sup> .

ويجوز أن تكون سميت بهذا الاسم « قوس » وأضيفت إلى الله -  
تعالى - لأنها من فعله وسائر القسي من برى الناس وفعلهم<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

ومن التشبيهات العقم النثرية قوله - تعالى - « والقمر قدرناه منازل  
حتى عاد كالعرجون القديم » .

« والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، حتى إذا  
جاءه لم يجده شيئا ،

(١) القاموس المحيط مادة قزح . (٢) المواهب الفتحية - ٢ - ٣٧

(٣) نهاية الأرب - ١ - ٩٠ (٤) ثمار القلوب - ١٩



« وإذا غَشِيَهُمْ موج كالظُّلَلِ ... »

« كأنهم جراد منتشر » .

« أو كظلماتٍ في بحرٍ لجيٍّ يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب  
ظلماتٌ بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها » .

\*\*\*

ومن الحديث : « الناس سواسية كأسنان المشط وإنما يتفاضلون بالعافية » .

« الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب » .

\*\*\*

ومن صور البيان العقم - وإن لم يكن من التشبيهات - قول أبي نواس  
تذكره لصلته بما نحن فيه :

ودارٍ ندأى عطَّلوها وأدلجوا	بها أثر منهم جديد ودارس
مُساحب من جرَّ الزقاق على الثرى	وأضغاث ريحانٍ جنى ويابس
حبست بها صبي وجددت عهدهم	ولانى على أمثال تلك لحابس
تُدار علينا الراح في عسجدية	حببتُها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها	مها تدرِّبها بالقسي الفوارس (١)
فيللراح ما زُرَّت عليه جيوبها	وللما ما دارت عليه القلائس
أقنا بها يوما ويوما وثالثاً	ويوما له يومُ الترحل خامس

يريد بالعسجدية : كشوساً مذهبة فيها صور منقوشة ، وهى صورة  
كسرى وصورة المها والفوارس .

ومعنى البيت السادس : أن حد الحُر من هذه الصور التى فى الكشوس

(١) تدرِّبها : تخبِّلها .



إلى التراقي والنحور ، وأنها مزجت بالماء فانتهى المزاج فيها إلى ما فوق رموسها ، وقد يكون الحجاب هو الذى انتهى إلى ذلك الموضع لما مزجت فازبدت .

والمعنى الأول أبدع ، وفائدته معرفة حدها صرفاً من حدها ممزوجة . وفيها يقول الجاحظ : نظرنا فى الشعر القديم والحديث فوجدنا المعانى تقلب ويؤخذ بعضها من بعض غير قول عنتره فى الأوائىل .

وخلا الذباب بها . . . . .

وغير قول أبى نواس فى المحدثين ، الأبيات المتقدمة ،

وعن يموت بن المزرع : قال : سمعت الجاحظ يقول : لا أعرف شعراً يفضل هذه الأبيات التى لأبى نواس ، ولقد أنشدتها أبا شعيب القلال فقال : والله يا أبا عثمان : إن هذا هو الشعر ولو نقر لطن !

فقلت له : ويحك ما تفارق عمل الجرار والخزف .

وقد علق على ذلك ابن الأثير بقوله : ولعمري إن الجاحظ عرف فوصف ، وخبر فشكر ، والذى ذكره هو الحق <sup>(١)</sup> .

ولكن ابن الأثير يناقض نفسه فى موضع آخر فيقول : وقد أكثر العلماء من وصف هذا المعنى وقولهم فيه : إنه مبتدع ، ثم يقول : ويحكى عن الجاحظ أنه قال : مازال الشعراء يتناقلون المعانى قديماً وحديثاً إلا هذا المعنى ، فإن أبا نواس انفرد بإبداعه ، وما أعلم أنا ما أقول لها ولا بى سوى أن أقول : قد تجاوز بهم حد الإكثار ، ومن الأمثال السائرة : بدون هذا يباع الحمار ، وفصاحة هذا الشعر عندى هى الموصوفة لا هذا المعنى فإنه لا كبير كلفة فيه ، لأن أبا نواس رأى كأساً من الذهب ذات تصاوير فحكاها فى شعره .



والذى عندى فى هذا: أنه من المعانى المشاهدة ، فإن هذا الخمر لم تحمل  
إلا ماء يسيراً ، وكانت تستغرق صور هذه الكأس إلى مكان جيوبها ،  
وكان الماء فيها قليلاً بقدر القلائس التى على رءوسها ، وهذه حكاية حال  
مشاهدة بالبصر (١) .

فنحن نرى أن ابن الأثير فى هذا القول الأخير قد عدل عن موافقة  
الجاحظ فى وصفها بالإبداع المتفرد بعد أن وافقه أولاً

وقد اختلف الناس فى تفسير البيت الأخير ، فذهب بعضهم إلى أن الأيام  
سبعة : ثلاثة فى المصراع الأول ، وأربعة ذكرت مطوية فى المصراع الثانى .

والأكثر والصولى يذكرون : أن أبانواس مر بالمداين فعدل إلى  
ساباط ، فقال له بعض أصحابه : ندخل إيوان كسرى ، فدخلنا فرأينا آثاراً  
فى مكان حسن تدل على اجتماع كان لقوم قبلنا ، فأقمنا خمسة أيام نشرب  
هناك ، وسألنا أبانواس صفة الحال فقال : « الآيات » .

ويقول ابن الأثير : ومراده من ذلك : أنهم أقاموا أربعة أيام .

ثم يعيبه بالتكرير والتطويل : فيقول : وباعجبا له ! يأتى بمثل هذا  
البيت السخيف الدال على العى الفاحش فى ضمن تلك الآيات العجيبة  
الحسن (٢) .

والمعيب : كلام ابن الأثير لا كلام النواسى : فتكرير الأيام هنا  
مستملح لأنها أيام قصف ولهو وطرب ، فلكل يوم نصيبه من اللذة ،  
ووزنه فى الدهر ، وقيمته فى العمر ، حتى تستحق أن تذكر تفاريق لا جملة  
لمزية كل منها ، ولعله لو استطاع أن يأتى بها جميعاً على هذه الشاكلة لفعل .



فهو كمثل قول الفرزدق :

اسقني خمسا وخمسا وثلاثا واثنيتين

من عُقَار كَدَمِ الجَوِّ ف يَحَرُّ الكُلَيْتَيْنِ<sup>(١)</sup>

فالتطويل هنا غير موجود ، وقد أوقع ابن الأثير في هذا الوهم أنه جعل الأيام أربعة .

ومعنى هذا : أن المصراع الثاني يحتوى على يوم واحد هو اليوم الرابع .

ولو عرف أنه يتضمن أربعة أيام ، وأن البيت كله يشتمل على سبعة أيام هي الأيام التي أقاموها في القصف كما يدل عليه الفهم الصحيح ، لعدّه من اللمحة الدالة لا التطويل الممل ! .

نعم يعد من التطويل والفضول قول ابن حيون :

أيا مشبه البدر بدر السماء لسبع وخمس مضت واثنيتين

ويا كامل الحسن في نعته شغلت فؤادى وأسهرت عيني

فإما منفت وإما قتلت فانت القدير على الحالتين

لأن قوله :

لسبع وخمس مضت واثنيتين

ليس في ذكرها تلذذ ولا استرواح ، وإنما هو العي والحصر .

وقد ذكروا : أن أبا نواس اهتدى إليه من قول امرئ القيس :

فلما استطابوا صبّ في الصحن نصفه وجاءوا بماء غير طَرَق ولا كدر<sup>(٢)</sup>

فجعل الماء والشراب قسمين : فتساق أبو نواس عليه وأخفاه بما

شغل به الكلام من ذكر الصور<sup>(٣)</sup> .

(١) بحر بفتح الحاء : لازم ومتعد .

(٢) الطرق : المطروق الذي خوضته الإبل وبولت فيه .

(٣) معاهد التنصيص — ٢ — ١٢٢ .



والحق أن السرقة غير واضحة ولا يحتاج الأمر هنا إليها : فالشاعر  
بسبيل وصف شيء مشاهد تكرر رؤيته : كئوس ذهبية نقشت صورة  
كسرى فارس في قعرها ، وفوارس تختل بقسيها وسهامها بقر الوحش في  
جوانبها ، وخمر تبلغ من الكئوس إلى حد التراقي والنحور ، وماء يمزج  
بها يغطي قلانس الفرسان .

والبيت بيان لحد الخمرة الصرّف من حدها ممزوجة ، وليس في وصف  
الكئوس على هذه الحال ما يعيا به إنسان !

وقد أخذه أبو العباس الناشئ فولد معنى زائدا<sup>(١)</sup> : وذلك حيث يقول  
ومدامة لا يَبْتَغِي من ربه      أحد حباه بها لديه مزيدا  
في كأسها صور تُظَنُّ لحسنها      عُرْبًا رزن من الخيام وغيدا<sup>(٢)</sup>  
وإذا المزاج أثارها فتقسّمت      ذهباً ودرأ توءما وفريدا  
فكأنهن لبسن ذاك مجامدا      وجعلن ذا لنحورهن عقودا

---

(١) زهر الآداب - ٣ - ١٥٨

(٢) العرب بضمين : المتعجبات إلى أزواجهن جمع عروب بالفتح .



## الفصل الثاني عشر

### تشبيه السخرية والتهكم

هناك لون من التشبيهات يقصد منه فوق الذم ، نوع من السخرية والتهكم يستمدان عناصرهما من الوصف بأشياء تبعث على الضحك في العادة .  
وليس من الضروري أن تكون هذه التشبيهات مقذعة أو جارحة للشرف أو قارضة للعرض ، وإن كانت لا تخلو من ذلك في الجملة ، وإنما المهم أن تشوبها روح الهزء ، وأن يكون الغرض الأول منها اللذع والتسكيت والتبكيك ، وأن ترمى إلى الهزل والتندر أكثر مما ترمى إلى السب والقذف ونحت الأثلاث !

فمن ذلك مثلاً : أن نصيبا الشاعر خرج من عند هشام بن عبد الملك وعليه ثياب بيض ، فنظر إليه الفرزدق فقال :  
كأنه لما بدا للناس أير حمار لُف في قرطاس

فالغرض الأساسي من مثل هذا التشبيه التهزؤ بالموصوف والضحك منه ، وإن حوى ذمالة بالسواد ، واختلاف الهيئة وعدم التناسب بالجمع بين النقيضين !

وأنت ترى حقا أن هذا الوصف يحملنا على السخرية والضحك من صاحبه ملء الأشداق ، ولكننا مع هذا لا نشعر بأنه مهين أو حقير أو نذل أو ساقط ، ولا هو نفسه يحس ذلك وإن أحس الخجل ، لأن الأمر لا يتعدى تصويره في لونه ولباسه وما تفرع عنهما من هيئة تصويراً يطابق



الحقيقة وإن لم يظن لها الناس وفطن لها الشاعر الأملحى ، وليس في ذلك انتقاص لكرامته وقدح في مروءته ووضع من منزلته ، فالسواد مما لا حيلة له فيه ، والبياض في الثياب مما يحب ويستجاد ، ولكنه الشعر الذى قال فيه أبو تمام :

يرى حكمة ما فيه وهى فكاهة      ويقضى بما يقضى به وهو ظالم  
ومن بديع ذلك قول رجل من أهل الكوفة فى المغيرة بن شعبه -  
وكان أعور دميماً آدم - (١) :

إذا راح فى قُبْطِيَّة (٢) متأزراً      فقل جعل يستنُّ فى ابن محض  
فأقسم لو خرت من استك بيضة      لما انكسرت من قرب بعضك من بعض  
قال ابن دريد لأبى حاتم : ما أظن أحدا سبقه إلى قوله : يستن فى  
ابن محض .

قال : بلى ، كان إبراهيم بن عربى والياً للبحامة ، فصعد المنبر يوماً وعليه  
ثياب بيض فبدا وجهه وكفاه ، فقال الفرزدق :  
ترى منبر العبد اللئيم كأنه      ثلاثة غربان عليه وقوع  
فهذا يشبه ذلك وإن لم يكنه (٣) .

ولست هذه الطريقة سهلة ميسرة لكل أديب أو شاعر ؛ لأن ذلك  
يرجع إلى مواهب رزقها أفراد قليلون فى الزمن المتطاوّل .

ونحن نعرف مئات من الناس بل ألوفاً ، ولا نكاد نعثربينهم على  
واحد خفيف الروح طيب النفس لطيف الظل رقيق المزاج حلواً النادرة !

---

(١) آدم : أسمر . (٢) القبطية : بالصم على غير قياس وقد تكسر : ثياب

تنسب إلى قبط مصر والجمع قباطي بضم القاف وفتحها .

(٣) أمالى القالى ١ - ٢٨٢



وأحسب أنه قد تمر عصور وتتعاقب أجيال ، ولا يجود الزمان بمثل  
نجيب الريحاني مثلاً ؟

والإجماع منعقد على أن مجالس الأنس والظرف والانبساط والمفاكهة  
قد أجديت بموت البابلي وإمام العبد وعبد العزيز البشري وحافظ إبراهيم  
وغيرهم من زعماء النكتة ، ولا تزال أماكنهم شاغرة تنتظر من يملؤها .  
وفن الهجاء نفسه لا يجيده كل شاعر ، لأن بعض النفوس لم تؤت  
موقبته ، وقد كان البحترى - وهو علم من أعلام الشعر ، وثاني المطبوعين  
على خياله بعد أبي نواس - في حكم النقاد بكيئاً متخلفاً في الهجاء لا يواتيه  
منه إلا الرذل السخيف المخشوب الذي ينال من قائله أكثر ممن قيل فيه ،  
على حين نرى جماعة من الشعراء على رأسهم الخطيئة وبشار وابن الرومي  
كأنهم خلقوا له لكثرة ما تصرفوا في فنونه ، ولجريانه على أسنتهم بلا  
جهد ولا كلفة ، حتى لتخالهم عقارب شائلة الأذنان مسوقة إلى ضرب كل  
ما لامسته بحكم الفطرة .

وهذه النزعة التهمكية قديمة نراها في هجاء زهير لآل حصين حيث يقول :  
وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء  
ولكن جريراً هو الذي أرسى قواعدا وثبت أركانها ووطأ نهجها  
حتى عرف بها وعرفت به ، فقد كانت عادته في الهجاء أن يتلعب بالمهجو  
ويعبث به ليملاه غيظاً وحنقاً .

وقد أوصى بذلك الشعراء فقال : إذا هجوت فأضحك . (١)  
وقد أضحكنا جرير كثيراً من هجائه ومن المهجو به معاً ، وإن صعب  
هذا الضحك كثير من التقزز والاشمئزاز  
ومن الذي لا يضحك بكل فمه ومن كل قلبه حين يسمع قوله (٢) :

(١) العقد الفريد - ٣ - ٣٩٨ (٢) ديوانه - ٦٦ - ٨١ - ١٧٢ - ٢١٦



تَعَرَّضَ التَّيْمُ لى عَمْدًا لَأَهْجَوْهَا      كما تَعَرَّضَ لَأَسْتِ الْخَارِىءِ الْحَجَرِ (١)

• • •

كَأَنَّ وَجْهَ السَّيِّدِ (٢) حَوْلَ ابْنِ اخْتَمِهِمْ      وَجْهَ خَنْسَازِيرٍ يَرِاقِبُنْ خَارِبَا

• • •

كَأَنَّ بَنَى طُهْيَةً رَهْطَ سَلْمَى      حِجَارَةً خَارِىءَ يرمى كَلَابَا

• • •

إِذَا ضَحَكْتَ شَبَّهْتَ أَنْيَابَهَا الْعُلَا      خَنْسَافَسَ سَرْدَاً فِى صَرَاةِ (٣) قَلْبِ

• • •

وَلَوْ وُضِعَتْ فِقَاحُ بَنَى نَمِيرٍ      عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذَا لَذَابَا  
فَصَبْرًا يَا تَبُوسَ بَنَى نَمِيرٍ      فَإِنَّ الْحَرْبَ مَوْقِدَةٌ شَهَابَا

• • •

إِذَا جَاءَ رُوحُ التَّغْلِبِ مِنْ أَسْتِهِ      دَنَا قَبْضُ أَرْوَاحِ خَبِيثِ مَآلَهَا  
أَيَفْخَرُ عَبْدُ أَمٍّ — تَغْلِبِيَّةَ      قَدْ أَخْضَرَ مِنْ أَكْلِ الْخَنَانِيصِ (٤) نَابَهَا  
غَلِيظَةً جَلَدَ الْمُنْخَرَيْنِ مُصْنَعَةً      عَلَى أَنْفِ خَنْزِيرٍ يُشَدُّ نَقَابَهَا

• • •

أَمْسَى الْفَرْزَدَقُ بِأَنْوَارِ (٥) كَأَنَّهُ      قَرْدٌ يَحْتَ عَلَى الزَّنَاةِ قَرُودَا

• • •

وَهَلْ كَانَ الْفَرْزَدَقُ غَيْرَ قَرْدٍ      أَصَابَتْهُ الصَّوَاعِقُ فَاسْتَدَارَا (٦)

(١) التيم : تيم عدى وكانت ترمى بالحسنة : (٢) السيد من بنى ضبة أخوال الفرزدق

(٣) الصراة بالفتح : الماء المجتمع المتغير .

(٤) الخنايص : صغار الخنازير جمع خنوص بكسر الخاء وتشديد النون المفتوحة .

(٥) الأنوار : زوج الفرزدق وبنت عمه . (٦) استدار : تحول ، وبهذا البيت

يشير جرير إلى نظرية درون من غير قصد .



على أنه حينما كان يقنع بالتمكّم المحض والسخرية الخالصة ، فلا يخطبها  
بشيء من هذه القاذورات التي كان يلهج بها كقوله للفرزدق :

زعم الفرزدق أن سيقتلُ مَرَبَعًا      أبشر بطول سلامة يا مربع

وقوله للراعي النميري :

فغض الطرف إنك من نمير      فلا كعبا بلغت ولا كلابا

ألم ت ترى طريقة جرير هي بعينها طريقة أولاد البلد في تلاحيهم  
وشتائمهم وتمكّمهم ؟

إن الفائز منهم في اللدّ والملاحاة ليس هو الذي يفحش في سبابه ،  
ولكن الذي يستطيع أن يجعل خصمه أضحوكة السامعين وموضع لهوهم  
وتندرهم .

وترى هذه السمة واضحة في بعض أهاجي الشعراء كقول جواس -  
يهجو بعض القبائل - :

كان خروء الطير فوق رموسهم      إذا اجتمعت قيس معا وتميم

جعلهم أذلاء يسكتون إذا اجتمعت القبائل في الموسم كأنما على رموسهم  
خروء الطير لا الطير فقط .

وقول يزيد بن قنافة الطائي يهجو حاتم طيء :

غداة أتى كالثور أخرج فاتق      بجبهته أقتاله وهو قائم

يصف حاتما على سبيل السخرية : بأنه خرج على أقرانه المقاتلين له  
مثل الثور الهائج إذا ضيق عليه ، فلما جاء وقت الدفاع ولى منهزما .

وقول حريث بن عتاب النبهاني - يهجو بني ثعل - :



ديافية<sup>(١)</sup> قُلف كأن خطيبهم سرّاة الضحا في سألحه يتمطق  
يصف خطيبهم إذا تكلم عنهم : بأنّه يتلجج في كلامه لعيه كأنّه يتمطق  
في خرّته

وقول الأخطل يهجو :

والخبز كالعبر الوردى عندهم والقمح سبعون إردبا بدینار  
وقول الحارث الخفاجي :

وتزيّنت لتروعي بجمالها فكأنما كسى الحمار خمارا  
نخرجت أعر في قوادم جيتي لولا الحياء أطرتها إحضارا<sup>(٢)</sup>  
وقول أعرابي - يهجو زوجه - :

إذا سمرت كانت لعينك سُخنة وإن برّقت فالفقر في غاية الفقر  
حديث كخلع الضرس أو تفت شارب ودلّ كشم الأنف عيل به صبرى  
وتفتر عن تلج عديمت حديثها وعن جبل طيء وعن هرمى مصر  
وقول شاعر - يهجو بخيلا - :

نوالك دونه خرط القتاد وخبزك كالثريا في البعاد  
ولو أبصرت ضيفا في منام لحرمت المنام إلى التنادى  
أرى عمر الرغيف بطول جدا لديك كأنه من قوم عاد  
وقول الناجم في لحية :

ولحية يحملها مائق مثل الشرايين إذا أشرا  
لو غاص في البحر بها غوصة صاد بها حيتانه أجمعا

(١) ديافية : أي أنباط منسوبون إلى دياف ؟ وهى أرض بالشام لهم ، وقلف : غير  
مختونين جمع أقلف ، وسرّاة الضحا : وسطه ، والساح : العذرة ، والتمطق : التذوق بضم  
إحدى الشفتين على الأخرى مع صوت بينهما .

(٢) الإحضار : ضرب من العدو .



وقول آخر :

ألم تر أن الله أعطاك لحية كأنك منها قاعد في جُوالق  
وقول آخر :

وله لحية تيس وله منقار نسر  
وله نكهة ليث خالطت نكهة صقر<sup>(١)</sup>

وقول الشعالي :

لي صاحب لا يسمي بين الوري إنسانا  
لأنه التيس قرنا ولحية وصنانا

وقول آخر - يهجو بقبح الخلقة - :

أما الرجال فجعلان ونسوتهم مثل القنافذ لا حسن ولا طيب  
وقول ابن شهيد الأندلسي :

ويح الكتابة من شيخ هبنقة ياتي العيون برأس مخه رار<sup>(٢)</sup>  
ومنن الريح إن ناجيته أبدا كأنما مات في خيشومه فار

وقول المنفلت القرطبي - يهجو ميمون الفراء - :

لابن ميمون قريض زمهرير البرد فيه  
فاذا بيت بيتا نفقت سوق أبيه<sup>(٣)</sup>

وقول بعض العرب :

نفرجة ينفر من ظل الشجر فواده أنثى وضرسه ذكر<sup>(٤)</sup>  
وقول دعبل :

وإن له أطباخا وخبزاً وأنواع الفواكه والشراب

(١) يوصف الليث والعقور بالبخر لقلّة ريقهما .

(٢) الهبنقة : الأحق والقصير ؛ واسم « جحا » والرار والريز : الفاسد .

(٣) يريد أن البرد يشتد إذا نظم شعره فيحتاج الناس إلى شراء الفراء للتدفئة .

(٤) النفرة : الجبان .



ولكن دونه حبس وضرب  
يذودون الذباب يمر منه  
وقول السلاوى :

يحلو بأفواه الأصابع صفعه  
وقول الناجم :

يُنْقَصُ الأحرارَ من شأنهم  
كانه البرغوث لم يُخْطِطه  
وقول أبي نواس فى الهجاء :

على خبز إسماعيل واقية البخل  
وما خبزه إلا كآوى يرى ابنه  
وما خبزه إلا كعنقاء مغرب  
يحدث عنها الناس من غير رؤية  
وما خبزه إلا كليب بن وائل  
وإذ هو لا يَسْتَبُ خصمان عنده  
فإن خبز إسماعيل حل به الذى  
ولكن قضاء ليس يُسطاع دفعه  
وقول ابن المعتز :

ويبرز للرائين وجهها كأنه  
وقول أبى الشمقمق :

الطريق الطريق جاءكم الأحق م رأس الأتان والقاذرة

(١) عنقاء مغرب: يقال : العنقاء المغرب ، وعنقاء مغرب ومغربة على الوصفية ، وعنقاء مغرب على الإضافة .



وابن عم الحمار في صورة الفيل م وخال الجاموس والبقره  
يمشى رويدا يريد خلعتكم مشى خنزيرة إلى عذره  
وقول أبي عثمان الخالدي :

ولي صاحب نحس على كل صاحب هو الداء أعيان يصيب دواء  
أخف الوري عقلا وأثقل طاعة وأخف  
وقول الصاحب :

زادت قرونك يا عمير م على مساويك الجليّة  
وأقل قرن حزنه كمنارة الإسكندرية

وقول غرارة الخياط في هجاء أبي السميّ المغني :

كان أبا السميّ إذا تغنى يحاكي عاطسا في عين شمس  
يلوك بلحيه طورا وطورا كأن بلحيه ضربان ضرس  
وقول بعض الظرفاء في ثقیل :

أنت والله ثقیل وثقیل وثقیل

أنت في المنظر بستا ن وفي المنظر فيل

وقول الأسعد بن بليطة في أسود :

يارب زنجي لهوت به الشمس عند سناه بمقوته

محدود ب قد غاب كاهله في منكبيه فلا ترى ليته<sup>(١)</sup>

قد أحكم التجعيد لمتنه فتراكت فكأنها تونه

وإذا سعى بالكأس تحسبه جعلاً يدحرج فص ياقوته

وكأنه والكأس في يده نجم رمى في الجو عفريته

وفي البيت الرابع يقول ابن بسام<sup>(٢)</sup> : وهو مأخوذ من قول ابن زرقون

الأندلسي في الكميت الشاعر :



تأملت الكمية وقد علاه من الأثواب ثوب ذواحرار  
فقلت لصاحي جُعل نمشي لعمري في ثياب الجلنار  
ورأى أنه مأخوذ من قول بعض أهل الكوفة المتقدم في المغيرة  
ابن شعبة :

إذا راح في قبطية متأزرا فقل جعل بستن في ابن محض  
ونحب أن يلاحظ : أن الهجاء في العصر العباسي قد تنوع وتلون فشمل  
العيوب الجسمية ، وما يخالف آداب اللياقة والسلوك ، لانتشار الترف  
والرفاهية ورقى الذوق الجماعي والفردى ، وقد مر طرف من ذلك .  
ويجب أن نقول : إن ابن الرومي ورث طريقة جرير وأمعن فيها  
وأمدته الحضارة بما يشبع سفاهته الجبلية ونهمه إلى التشفي والانتقام ، فأنى  
في ذلك بالعجب العجيب !

فمن ذلك قوله في ضرطة سليمان بن وهب (١) :

ما لقينا من ظرف ضرطة وهب تركت أهل دهرنا شعراء  
هي عندي كجود فضل بن يحيى غير أن ليس تنعش الفقراء  
وقوله في ثقبيل بارد :

يا أبا القاسم الذي ليس يدرى أرصاص كيانه أم حديد  
أنت عندي كماء بترك في الصيف م ثقبيل يعالوه برد شديد  
وقوله في صلعة أبي حفص الوراق :

يا صلعة لأبي حفص ممردة كأن ساحتها مرآة فولاذ

---

(١) هو وهب بن سليمان بن وهب صاحب بريد الحضرة ، أفادت منه ضرطة في مجلس  
الوزير عبد الله بن يحيى بن خاتان ، فطار خبرها في الآفاق وتغنى بها الشعراء وصارت شلا في الشهرة ،  
حتى قالوا : أشهر من ضرطة ابن وهب وأفزع من ضرطة ابن وهب ، وعمل أحمد بن أبي طاهر  
كتابا في ذكرها والاعتذار عنها .



تَرَنَ تحت الأَكفِ الواقعات بها      حتى ترن بها أكناف بغداد  
وقوله :

وجهك يا عمرو فيه طول      وفي وجوه الكلاب طول  
وأنت من بيت أهل سوء      قصتهم قصة تطول  
وجوههم للورى عظام      لكن أقفاءهم طبول  
مستفعلن فاعلن فعول      مستفعلن فاعلن فعول  
بيت كمنناك ليس فيه      معنى سوى أنه فُضول

وقد انتهى فن السخرية فى العصر العباسى الثانى إلى المعرى ، فنقد كل  
شئ وسخر من كل شئ ، وأعاناه على ذلك علم غزير وإطلاع واسع ولسان  
زليق وبيان طليق ، وأفق رحب وبصيرة نافذة وعاطفة حية ، وزهد فى  
الدنيا وتسام على الزمان واستهانة بالناس ، فترك نفسه على سجيتهما وعلى ما  
خيّلت يحد بالمجتمع ويهزل لا يرجوه ولا يخشاه !

وقد ورد للعرب أشعار تضمنت تشبيهات بما كانوا يُلذُّونه من الأطعمة  
والأشربة كقول شاعر :

كان ثناياها وما ذقت طعمها      لباً نعمة سَوَّطته بدقيق  
اللبأ بكسر ففتح : أول اللبن ، والتسويط : خلط الشيشين فى الإناء ثم  
ضربهما باليد حتى يختلطاً .

شبه ريقها بلبن النعجة أول ولادتها وقد خلط بالدقيق .

وقول آخر :

رمتنى بسهم الحب أما قذاده      فتمر وأما نصله فسويق  
القذاد : ريش السهم جمع قذة بالضم ، والسويق : ما يعمل من الخنطة  
والشعير .



يريد أنها كانت تطعمه التمر والسويق فهو لذلك أحبها .  
وقول آخر :

ألا رب خود عَيْنُها من خزيرة وأنيابها الغُرُّ الحسان سويق  
الخبزيرة : لحم يقطع صغاراً ويغلى بماء ويذر عليه الدقيق .  
شبه عينيها بهذا اللون من الطعام ، وقيل : المقصود بذلك بنو مجاشع  
وقريش ، وكانت العرب تعيرهما بأكل الخزيرة .  
وقول آخر :

فما صحفة مَادُومَة يَاهَالَة بأطيب من فيها ولا أقط رطب  
الإهالة : كل ما يؤتدم به ، والأقط : ما يتخذ من المخيض الغنمى .  
يريد : أن ترشف فمها أطيب مذاقة من طعم هذين الطعامين :  
وقول آخر :

فإنك إن ترى عَرَصات جمل بعاقبة فانت إذا سعيد<sup>(١)</sup>  
لها عينان من أقط وتمر وسائر خلقها بعد الثريد  
يريد بالأقط والتمر : ما اجتمع في عينيها من بياض وسواد ، وبالثريد  
لين جسمها وغضارته .

وقد أدخل أبو تمام هذا في باب الملح<sup>(٢)</sup> .  
هذا ، ومن أدباء المنشور الذين عرفوا بالتهكم : الجاحظ وأبو العيناء :  
ولكن ليس في أدباء العربية جميعاً من يصح أن يوصف بأنه بلغ  
مبلغ فولتير وأناطول فرانس .

وقد عرف الأول بين الغربيين بالكاتب الساخر<sup>(٣)</sup> .

والحمد على كل حال

(١) العرصات : الأمكنة الواسعة جمع عرصة ، وبعاقبة : أى عقب معرفتها .

(٢) ديوان الحماسة - ٢ - ٤٠٤ (٣) أبو الملاء ناقد المجتمع - ١٥٣ .



## فهرس لأمهات المسائل

### الفصل الأول

٢٨-٤

#### محسّنات التشبيه

وجوه البلاغة لا تحصر . ما تجب مراعاته في التشبيه إذا كان الغرض بيان الحال أو المقدار . مراعاة الأعرافية في وجه الشبه والسر النفسى في ذلك . تعليل تشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة في الآية الكريمة ، كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا . . . . . مراعاة أن يكون القدر المشترك أبعد من الزيادة والنقص في بيان المقدار . ما تجب مراعاته إذا كان الغرض تقرير المشبه أو بيان إمكانه أو تحسينه أو تقييده أو استطرافه أو كان التشبيه مقلوباً . صلب الأمور المعنوية في قوالب المحسوسات تحقيقاً لجود التشبيه . صحة وجه الشبه ودقته وشموله للطرفين . انتظام المعاني بتنسيق الأبيات الشعرية وحسن تجاورها والتشيل لذلك . التفريق بين ما به المشابهة وما به الامتياز . متى يسهل انتزاع الصور العقلية . استحسان قدامة اجتماع عدة تشبيهات ونقد ذلك . مجيء التشبيه على صورة التشكيك وفائدته . التوطئة للتشبيه وقيمته البلاغية . اجتماع لونين من الشعر في التشبيه . تشبيه حالة الوجود بحالة العدم وعكس ذلك . مذهب قدامة والآمى والخفاجى فى المدح والذم بالصفات البدنية . ونقد ذلك . قيمة الألفاظ ذات الظلال والأشعة فى التشبيه . عقد الصلة بين الأشياء المتباعدة فى التشبيه والتشيل لذلك .



## الفصل الثاني

### موقع الألفاظ حسنا وقبحا في التشبيه ٣٩ - ٦٤

اجتماع الإصابة والقبح في التشبيه . وصف الأنامل  
المخضبة في شعر الجاهليين والمولدين والموازنة بينهما . تشبيهات  
دقيقة غرض منها سوء اللفظ . التشبيهات بالآفაცი وحسن  
بعضها دون بعض . أثر العرف والعادة في استحسان التشبيه  
واستقبحه . ما تجب مراعاته في تشبيهات المطعوم والمشروب  
والتمثيل لذلك . متى يجوز استعمال الألفاظ الكريمة في التشبيه .  
أوصاف مختلفة لبيان حسن الألفاظ وقبحها في التشبيه  
ونقد ذلك .

## الفصل الثالث

### اقتران التشبيه بالحلي البديعية ٦٥ - ٨٢

قيمة الحلي الإضافية في التشبيه وشروط حسنها . التشبيه  
مع التذييل والإيغال وأسلوب الحكيم والتمثيل لذلك .  
الاستطراد بطريق التشبيه والعادة المتبعة في ذلك . التشبيه مع  
المذهب الكلامي والتمثيل لذلك . اعتذار النابغة للنعمان ومجيئه  
على صورة القياس مع تحليله ونقده . التشبيه مع التناسب  
والتقسيم والتسيم ، مع التمثيل وبيان سر الصنعة في ذلك :  
التشبيه مع حسن التعليل . إعجاب عبد القاهر بهذه الطريقة  
والتنويه بجمالها . التشبيه مع التدييج والمقابلة وصحة التفسير  
والرجوع والمزاوجة إلخ . التخيير البديعي في التشبيه . اجتماع



التشبيه مع عدة محسنات . موازنة طريفة بين قول أبي تمام  
وتميم بن مقبل في وصف القدود المهتزة .

## الفصل الرابع

### التشبيهات المبتكرة ٨٣-١٢٥

تعذر رسم طريق الابتكار وعلة ذلك . أثر الحضارة  
والثقافة في الابتكار . اختصاص الابتكار بقلة من الأدباء  
وسر ذلك . محاولة ابن الأثير رسم طريق الابتكار وإخفاقه  
فيه . نقد رأيه في أن أكثر المعاني قد طرقت وسبق إليها .  
الابتكار عند ابن رشيق ومطابقته لأرسطو في بعض الآراء .  
المعاني المبتكرة وغيرها عند ابن الأثير وتفصيل ذلك . النظرة  
التي يعتمد عليها الأديب في الابتكار . معنى الابتكار الذي  
نريده من المنشئ . أثر اختزان الصور والتشبع بالتجارب  
في سهولة الابتكار . أول من شبه الزوجين بالشمس والقمر .  
الابتكار عند أرسطو وبيان حدوده . ملكة الابتكار  
وجموحها وصعوبة رياضتها . طبيعة الابتكار الأدبي عند  
سقراط وحاجتها إلى التعبير . المبتكرون من الشعراء وما قيل  
فيهم . صور للتشبيهات المبتكرة في جميع العصور ونقدها .  
ليس حتما على الشاعر الابتكار كالفلاسفة والعلماء . اعتراف  
ابن رشيق بقلة الابتكار في عصره . تعصب ابن أفلاح للمحدثين  
ورد ابن الأثير عليه . الابتكار بين الجاهليين والمحدثين .



## الفصل الخامس

### التشبيهات القبيحة

١٢٦-١٨٤

ظهور العيب الطفيف في التشبيه بخاصة مرجع القبح في التشبيه . صور للقبح في التشبيه في جميع العصور مع نقدها والموازنة بينها . مؤاخذات النقاد لأمريء القيس نقد الأصمعي ، لنظر السقيم ، في شعر النابغة والرد عليه . أحسن ما قيل في فتور الطرف . اختلاف النقاد في معنى قول النابغة : خطاطيف حجن . . . . . المعاظلة في التشبيه . معنى أخذ يد القميص في شعر الفرزدق . تشبيه الثور بالكوكب ونقده . تشبيه المحبوبة بالخيزرانة وما قيل في ذلك . التشبيهات الباردة والتثيل لها . مخف تشبيه المحبوبة بالأخت . التشبيه بالدلو والرشاء والمفتاح والسلم وتفصيل ذلك عادة العرب في المدح والذم بالتشبيه . نقد بعض تشبيهات للبحتري والمتنبي . رأى الخفاجي وابن الأثير والعلوي في قول المتنبي : العارض الهن . . . . . ورأى المؤلف . تشبيه المحبوبة بضرة الشمس وما قيل في ذلك ونقده . قبح تراكم التشبيهات . مثال للتشبيه البالغ غاية القبح ونقده .

## الفصل السادس

### أثر البيئة في التشبيه

١٨٥-٢٠٩

دلالة التشبيه على بيئته . معنى البيئة المرادة هنا . أثر البيئة في نشأة الآداب وإيجاد الفوارق بينها . سر نشأة أدب القصيدة



في شمال أوربا . أثر البيئات الشرقية في تنوع آدابها ومظاهر  
هذا الأدب . أمثال شعرية تمثل البيئات المختلفة في جميع  
العصور . تشبيهات لا نستملحها لبعده العهد بها . تشبيهات  
حيوانية . من ضرب بهم المثل في أشياء . تشبيهات عصرية  
منزعة من البيئة .

## الفصل السابع

جمال الجسد في التشبيه ٢١٠-٢٢٣

معنى الجمال والحسن والملاحة لغة واصطلاحاً وما ينفها من  
فروق: الجمال غير محدود، ويختلف باختلاف الأذواق اختصاص  
كل عضو بصفة . سحر المرأة وسلطانها على الرجل . الشعراء  
العذريون والمرأة . سر هيام العربي بالمرأة . الأشياء التي  
شبهت بها المرأة الجميلة . كثرة التشبيهات الخاصة بالوجه وسر  
ذلك . وصف أعضاء المرأة تفصيلاً . ضيق الفم في النساء  
والرجال . جمال المرأة أرفع أنواع الجمال . المرأة الجميلة  
قديماً وحديثاً .

## الفصل الثامن

الخطأ في التشبيه ٢٢٤-٢٢٦

الخطأ اللفظي ومواضعه . الخطأ المعنوي . خطأ المعاني  
وصوابها وبيان ذلك . مرجع الخطأ في اللفظ والمعنى مع  
التمثيل لذلك . سبب خطأ العرب في وصف النجوم . وصف  
أمرئ القيس للأثر يا وما قيل فيه .



تفصيل ما قيل في أحر عاد . الخطأ بسبب المبالغة والتشيل  
لذلك . ما يحتاج إليه التشبيه حتى يعصم من الخطأ . صفات  
الخيل الجيدة . سبب ذهول الشاعر عن الصواب . التشبيه  
الفاسد وما قيل فيه .

## الفصل التاسع

### أخطاء الشعراء في التشبيه ٢٢٧ - ٢٧٥

أراء العلماء في جواز اللحن على العربي وتفصيل ذلك .  
رأى حمزة فتح الله وفارس الشدياق في وقوع اللحن من العربي  
الصميم وشواهد ذلك . أمثال لما لحن فيه الشعراء . أثر  
الأعاجم في شيوع اللحن . علوم العرب السمة . العلوم التي  
يستشهد عليها بكلامهم . أمثلة لأخطاء العرب في التشبيه  
جاهلية وإسلاما . أخطاء المولدين . مثال لما أخطأ فيه شوقي .

## الفصل العاشر

### أدوات الكتابة وحروف الهجاء في التشبيه ٢٧٦ - ٣٠٧

هذا اللون من التشبيه يروج في عصور العلم والحضارة .  
وجوده على قلة في العصر الجاهلي والإسلامي والتشيل لذلك .  
وصف أعرابي أمي لرقم خمسة . كثرة هذه التشبيهات في  
العصر العباسي وسر ذلك . وصف الجوارى الكاتبات وما  
يتصل بذلك . وصف الصحيفة والدواة والقلم والحبر .  
الاشياء التي كثر بها التشبيه . الشطبة . الهمزة . الألف . اللام .



الواو وكثرة ورودها في شعر الغزل وسبب ذلك . واوات  
الأصداغ في البلاغة . حشو اللوزينج . واو عمرو وما جاء فيها .  
النون . الحرف المشدد . لا . الشككتان وما قيل فيهما . عطفة  
الراء . السين . الشين . الصاد . العين . الميم . النقطة . أمثلة  
تنتظم التشبيهات المتقدمة . نوع من التوليد الغريب . تشبيهات  
الحروف في الرسائل الإخوانية .

## الفصل الحادي عشر

### التشبيهات العقم ٣٠٨-٣٣٠

معنى التشبيه العقيم وسبب هذه التسمية واشتقاقها . التشبيه  
الولود . ورود بعض الكلمات في جميع اللغات . تشبيهات  
زالت عنها صفة الاختراع . أوائل التشبيهات العقم . أمثلة  
للتشبيهات العقم في أغراض مختلفة . وصف الفرس . الضب .  
الزرافة . النسور . وصف بديع للرأفة . التقسيمات البديعة .  
وصف عنتره لذباب الروض وإعجاب النقاد به . خطأ عنتره في  
هذا الوصف وعدم تنبيه القدامى له . تقليد الشعراء لعنتره في  
وصف الذباب . لا يصح التعرض لتقليد المعاني المشهورة .  
وصف ذي الرمة لليل وما قيل فيه . تشبيهات عقم  
لابن الرومي وتحليلها . قوس قزح وما قيل فيه . التشبيهات  
العقم في القرآن والحديث . وصف أيام قصف لآبي نواس  
وتساوير الكشوس وتقليد الشعراء له ، مع شرح ذلك وإيراد  
أراء النقاد فيها .



## الفصل الثاني عشر

### تشبيهة السخرية والتهكم ٣٣١ - ٣٤٢

بيان كنه هذا التشبيه وجوهره . الغرض الأساسي منه .  
العناصر المؤلفة له . تشبيه عجيب في قصير أسود . روح  
الفكاهة والتندر وقلتها في الناس . فن الهجاء مقصور على بعض  
الشعراء . النزعة التهمكية في الشعر الجاهلي . طريقة جرير  
في الهجاء وآثارها الموجهة . أمثلة من تشبيهات السخرية  
والتهكم . براعة ابن الرومي في الهجاء . تنوع الهجاء في العصر  
العباسي وتناوله العيوب الجسمية وأداب اللياقة والسلوك  
وسبب ذلك . سخرية أبي العلاء بالمجتمع . تشبيهات العرب  
بما يلذونه من الطعام والشراب ودخول ذلك في باب الملح .  
الجاحظ وأبو العيلاء والتهكم .



# المراجع

التي ورد ذكرها في الأجزاء الثلاثة مرتبة على حسب ورودها

المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
الرازي	نهاية الإيجاز	قدامة	نقد النثر
السكاكي	مفتاح العلوم	الجاحظ	البيان والتبيين
العلوي	الطراز	المقري	نفح الطيب
عبد القاهر	أسرار البلاغة		ديوان أبي تمام
الجرجاني			ديوان البحري
المولى عصام	شرح الفوائد الغيائية	القالى	الأمالي
المرشدي	حاشية عقود الجمان		ديوان المتنبي
السيوطي	شرح عقود الجمان	المرزباني	الموشح
المغربي	مواهب الفتاح		ديوان العباس بن الأحنف
	حاشية الدسوقي على السعد	أحمد الشايب	الأسلوب
الشهاب الخفاجي	طراز المجالس		ديوان كشاجم
الحوي	خزانة الأدب	التنوخى	الأقصى القريب
	ديوان عمر بن أبي ربيعة	الحصري	زهر الآداب
	ابن الرومي	ابن رشيق	العمدة
	الشوقيات	سامي النشار	مناهج البحث
ابن الأثير	المثل السائر		ديوان الأعشى
"	كنز البلاغة	طبع وزارة	حافظ إبراهيم
ابن السبكي	عروس الأفراح	المعارف	
السيوطي	حسن المحاضرة		السري الرفاء



المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
المبرد	السكامل	أمين الخولي	فن القول
المرصفي	رغبة الآمل	عبد الحميد حسن	الفصول الفنية الأدب
ابن المعتز . ط	البديع	الفيروزا باذی	القاموس المحيط
الاستاذ خفاجی		الجوهري	المصباح
قدامة	نقد الشعر	العسكري	الصناعتين
الصفدي	شرح لأمية العجم		ديوان ابن هاني
اليازجي	العرف الطيب		ابن المعتز
حامد عبدالقادر	دراسات في علم النفس		الشریف الرضی
	الأدبی		ذی الرمة
	ديوان الأمير تميم	القزويني	الإيضاح
	ابن سناء الملك	»	التلخيص
	البارودي	البرقوقي	شرح التلخيص
	أبي فراس	الحلبي	حسن التوسل
	ابن حمد يس	الوطواط « ترجمة	حدائق السحر
حسن علوان	صريع الغواني	الدكتور الشواربي	
	ديوان زكي مبارك	الفيومي	المصباح المنير
	ابن النبيه	الجاحظ . ط -	الحيوان
	ابن خفاجة	الساسی	
	ابن نباتة		ديوان امری القيس
العقاد	المكروان		جرير
البغدادی	خزانة الأدب		الفرزدق
العسكري	ديوان المعاني		البهاء زهير
مصطفى السقا	مختار الشعر الجاهلي		
الباقلائی	إعجاز القرآن	ابن قتيبة	الشعر والشعراء



المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
التويرى	نهاية الأرب	الدكتور شوقي	الفن ومذاهبه في الشعر
جمع الأستاذ	رسائل البلغاء	ضيف	فنون الأدب
كرد علي	الوساطة	تشارلتن «ترجمة	
القاضي الجرجاني	الذخيرة	زكي نجيب	بلاغة أرسطو
ابن بسام	سلافة العصر	الدكتور سلامة	الأمالي
المدني	مطالع البدور	المرتضى	وفيات الأعيان
الفرولي	الأغاني	ابن خلكان	تزيين الأسواق
الأصفهاني ط		الأنطاكي	نزهة الألبا
دار الكتب		الأنباري	شرح المعلقات
الطرطوشي	سراج الملوك	الزوزني	ثمار القلوب
جبر ضومط	فلسفة البلاغة	الشعالي	بلاغة العرب
ابن المنير	الانتصاف	الدكتور أحمد	
علي الجندي	أحسان الأصيل	ضيف	العقد الفريد
ابن سنان الخفاجي	سر الفصاحة	ابن عبد ربه	ديوان أبي نواس
ديهامل . ترجمة	دفاع عن الأدب		المنویری
الدكتور مندور			مقامات الحريري
الشعالي	يتيمة الدهر		ديوان الصفي الحلبي
ابن حزم	طوق الحمامة		أساس البلاغة
محمود غنيم	صرخة في واد	الزنجشري	الكشاف
	ديوان صالح بن		ديوان الحماسة
	عبد القدوس	أبو تمام	معاهد التنصيص
	فؤاد الخطيب	العباسي	فوات الوفيات
	محمد الأسمر	الكتبي	أصول النقد الأدبي
الإمام علي	نهج البلاغة	أحمد الشايب	



المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
	ديوان نابغة بني شيبان	الحريري	المقامات
	ديوان عنتره	عبد الوهاب	التجديد في الأدب المصري
تيمور دباشا،	أوهام الشعراء	حمودة	
حمزة فتح الله	المواهب الفتحية	ابن حجلة المغربي	ديوان الصبابة
الحموي	ثمرات الأوراق	السراج	مصارع العشاق
الثعالبي	نثر النظم وحل العقد	ابن يعيش	شرح المفصل
الحضرمي	إقامة الحجة	ابن جني	الخصائص
كروتشة	المجمل في فلسفة الفن	مصطفى وعلى أمين	جريدة أخبار اليوم
كرد علي	أمراء البيان	علي الجندي	فن الأسجاع
الغمر اوى	الغرائز	البنسائي	التجريد
جويو «ترجمة	مسائل فلسفة الفن	جاريث ترجمة	فلسفة الجمال
الدروني،	المعاصرة	عبد الحميد يونس	
شارل بلوندل	مقدمة في علم النفس	الأصفهاني ط.	الأغاني
«ترجمة	الاجتماعي	دار الكتب	
الدكتورين		القالي	ذيل الآمال
قاسم وسلامة،		محمد بن قاسم	روض الأخبار
أغسطس ١٨٨١	مجلة العالمين	ابن قتيبة	عيون الأخبار
العقاد	شعراء مصر	الأبشيهي	المستطرف
علي الجندي	أغاريد السحر	علي الجارم	علم النفس
الدكتور طه حسين	في الأدب الجاهلي	ومصطفى أمين	
ابن منظور	نثر الأزهار	الطبعة الأهلية	ديوان حافظ
البيديعي، ط	هبة الأيام		«محمود حسن إسماعيل
محمود مصطفى،		ابن أبي الإصبع	تحرير التحبير
ابن قتيبة	أدب الكاتب		ديوان صر در



المؤلف	الكتاب	المؤلف	الكتاب
البرقوقي	دولة النساء	مسيد نوفل	شعر الطبيعة
الصولي	الأوراق	كامل حجاج	خواطر الخيال
بدوى طبانة	معروف الرصافي	أنطون غطاس	الرمزية والأدب العربي
رشيد سليم خوري	ديوان القروي	الزيات	دفاع عن البلاغة
علي أدهم	على هامش النقد والأدب	٥٢/١١/١٣	الأهرام
الدكتور مندور	النقد المنهجي	النفسي	مدارك التنزيل
الشهاب الخفاجي	شفاء الغليل	١٩٤٨/١	مجلة الكتاب
القاضي الجرجاني	كنايات الأدباء	ابن ظافر الأزدي	بدائع البدائ
الشمالي	الكنايات	١٩٤٤/١٢	المقتطف
أبو زيد القرشي	جمهرة أشعار العرب	زكي مبارك	مدامع العشاق
السيد الخضر حسين	الخيال في الشعر العربي	ابن تغري	النجوم الزاهرة
عبد السلام هارون	الميسر والأزلام	زكي مبارك	النثر الفني
ترجمة نقولا الحداد	أسرار الحياة الزوجية	أحمد زكي	مبادئ علم النفس التعليمي
الدكتور الحوفي	الغزل في الشعر الجاهلي	الدكتور طه حسين	من حديث الشعر والنثر
الدروبي	تعليقات على مسائل	عبد المتعال الصعيدي	بغية الإيضاح
السيوطي	المزهر	الجمحي	طبقات الشعر والشعراء
الشنقيطي	الدرر اللوامع	عدد ٣١ ص ٤٤	مجلة الواكب
الأب لويس شيخو	شعراء النصرانية	عبد القاهر الجرجاني	دلائل الإعجاز
الجاحظ	الحيوان	الأنباني	التفريز
عبد السلام هارون	لسان العرب	ابن عبد السلام	الإشارة إلى الإعجاز
ابن منظور	المقصورة	الدكتور محمد فتحي	فلسفة السعادة
حازم	أبو العلاء ناقد المجتمع	زكي مبارك	الموازنة بين الشعراء
الدكتور المحاسني		الفتح بن خافان	قلائد العقيان
		الدكتور إبراهيم سلامة	تيارات أدبية



---

مطبعة نهضة مصر

١٨ كامل صدق « بالفجالة »